

أول كتاب يعرض
أحداث القيامة بالصور

العالم الآخر

أحداث القيامة الصغرى والكبرى وما بعدها بالصور والتوضيحات
من القرآن والسنة الصحيحة

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض
دكتوراه في العقيدة ومقارنة الأديان

دار البدر للطباعة

- أحداث الموت وأحوال الموتى..
- القبر وأسرارہ..
- النفخ في الصور.. صورة الصور..
- الصراط.. الميزان.. ما شكلهما؟
- كيف نرى ربنا في الآخرة؟
- أحوال الأنبياء والشهداء..
- وصف الجنة.. والنار..
- النساء في الجنة أكثر من الرجال..
- للرجال في الجنة حور عين.. فماذا للنساء؟



ISBN: 978-603-90221-2-1



للكميات والتوزيع الخيري

دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض

هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ ٠٠٩٦٦١

جوال: ٠٥٠٣٤٧٥٩٧٥

خارج السعودية ٠٠٩٦٦٥٠٣٤٧٥٩٧٥

فاكس: ٤٩٣٧١٣٠ ٠٠٩٦٦١

مؤسسة الجريسي

للتوزيع - الرياض

هاتف: ٤٠٢٢٥٦٤ ٠٠٩٦٦١

فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦ ٠٠٩٦٦١

مراجعة لغوية وتصميم وتصوير

مُسْلِم

moslem.graphics@gmail.com

٠٠٢ ٠١٠٠٨٢٠٢٧٢٤

٠٠٢ ٠١١٤٤٨٧٤٤٨٣

٠٠٢ ٠١٣٢٧١٨٨٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العَامِلُ الْأَخِيرُ

جميع الحقوق محفوظة للناسر
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ج) دار التدمرية للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العريفي، محمد عبدالرحمن

العالم الأخير أحداث القيامة الصغرى والكبرى وما بعده. / محمد

عبدالرحمن العريفي - الرياض، ١٤٣٢هـ

٥٧٦ص: ..سم..

ردمك: ١-٢-٣-٩٠٢٢١-٩٧٨-٦٠٣

١ - القيامة، ٢ - الجنة والنار ٣ - الديانات المقارنة: ١ - العنوان

١٤٣٢/١٠٦٥٩

ديوي ٢٤٣

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٦٥٩

ردمك: ١-٢-٣-٩٠٢٢١-٩٧٨-٦٠٣

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

أول كتاب يعرض
أحداث القيامة بالصور

العالم الآخر

أحداث القيامة الصغرى والكبرى وما بعدها بالصور والتوضيحات
من القرآن والسنة الصحيحة

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض
دكتوراه في العقيدة ومقارنة الأديان

دار التلمذة

مراجعة لغوية وتصميم وتصوير

- النشر المكتبي والإخراج الفني.
- إعداد الأبحاث والمواد العلمية.
- المراجعات اللغوية والشرعية.
- الإنتاج الإعلامي.
- الترجمة.
- برمجة وتصميم الويب.



٠٠٢ ٠١٠٠٨٢٠٢٧٢٤



٠٠٢ ٠١١٤٤٨٧٤٤٨٣



٠٠٢ ٠١٣٢٧١٨٨١



مُسْلِم

moslem.graphics@gmail.com

لا يجوز لأي فرد أو جهة استخدام تصميمات هذا الكتاب أو التعديل عليها أو الاقتباس منها دون إذن كتابي من الجهة المصممة للكتاب وإلا تعرض للمساءلة القانونية.



قصة ..

بي مراراً.. كنت مزحوماً فتأخرت في إجابة اتصاله.. جعل يُرسل الرسائل تِباعاً على هاتفي..

اتصلت به.. كان هادئاً.. لكن نبرته بدت حزينة جداً..

قال لي بهدوء: يا شيخ.. أين نذهب بعد الموت..!!

قلت: عجباً!! نموت.. ثم نُبعث.. ونُحشر.. ونلقى الله تعالى.. و...

فقاطعني.. وقال باضطراب: لا أُصدِّق!!.. لا أُصدِّق!!



أدركت من أسلوبه أنه شاب ابتلي
بقراءة كتب أو مقالات.. أو دخل مواقع
في الإنترنت لبَّست عليه.. أو ربما ناقش
أشخاصاً مُلجدين.. وهو خالي الوفاض
من العلم والحُجة.. فغلبوه..

قلت: ولدي.. لماذا لا تُصدِّق؟

قال: يا شيخ!!.. دخلت مواقع تتحدث عن الحياة الدنيا والآخرة.. تناقشت
مع أشخاص.. فكرت فيما تربيت ونشأت عليه من عقيدة.. جنة.. نار..
صراط.. حساب.. عقاب.. ما هذا؟

قلت: ولدي!! هوّن على نفسك.. ولا تناقش في أمر إلا وأنت على علم به..
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦) ..

كل من تكلم في فن لا يحسنه اضطرب والتبست عليه الأمور.. وصار
عرضة لمن أراد أن يغيّبه أو يفسد تفكيره..

ولدي.. عقيدة التوحيد والإيمان.. هي أصل خُلقنا.. ولا ترتاح النفوس
إلا بها.. لذا تجد أن الذين يدخلون في الإسلام يزدون ولا ينقصون..
وفيهم أساتذة جامعات وكبار مخترعين وسفراء ووزراء.. فضلاً عن
غيرهم..

ما الذي جرّ هؤلاء ليدخلوا في دين يعتقدون فيه بجنة ونار وحساب
وعقاب؟ من غير أن يكرههم أحد عليه! أو يغيرهم بمكافأة إذا دخلوا فيه!
إنه التوحيد والفطرة.. إنه سكينّة النَّفس، وراحة الرُّوح، وطُمأنينة
القلب..

خلقنا الله تعالى من نفس واحدة، من أبينا آدم، ثم خَلَقَ أُمَّنا حواء، ثم
انتشر الخلق منهما.. نُعمّر هذه الدنيا، ونُحسّن إلى الناس، ونعيش حياتنا في
سرور وسعادة.. ثم نموت.. فنُبعث بعدها.. ونُحاسِب.. وعلى هذا أدلّة عقلية،
ونقلية، و...

كان صاحبي يُنصت باهتمام.. حتى إنني لشدة هدوئه ظننته قد أقفل
الاتصال! فكنت أناديه بين الفينة والأخرى، أنت معي؟ صحيح؟..

وهو يتابع بهدوء وهدوء.. واستغراق في التفكير..



أدركت أنه يحتاج هو وغيره إلى
كتاب يتحدث عن الآخرة، يُكتب بأسلوب
عصري.. فشرعت في تأليف هذا الكتاب
الذي بين يديك (العالم الأخير)..

أسأل الله تعالى أن يَنْفَع به ويجعله
خالصاً لوجهه الكريم.. آمين..^(١)

كتبه /

د. محمد بن عبد الرحمن الغزالي

دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض
عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي
عضو الهيئة العليا للتنمية البشرية
الرياض ٩ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ
الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١ م

(١) هذا الكتاب «العالم الأخير» يمكن اعتباره المكمل لكتابي «نهاية العالم» الذي تحدثت فيه عن
أشراط وعلامات الساعة ونهاية العالم الدنيوي.

لماذا... العالم الأخير؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. وعلى آله
الطيبين.. وأصحابه الغر الميامين.. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد..



اتفقت جميع الرسالات على أن الناس
يموتون ويُبعثون ليوم يُجازون فيه على
أعمالهم، فالظالم يُجازى على ظلمه..
والمحسن يُكافأ على إحسانه.. فليست
الحياة الدنيا نهاية المطاف..

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]..

وقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ لِنَبِّئَنَّهُ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]..

والإيمان باليوم الآخر.. ركن من أركان الإيمان، ومن كذب بالبعث
والحساب.. فهو كافر بالله العظيم..

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾

[الأعراف: ٤٥]..



- فما معنى الإيمان بالآخرة؟
- وما هو الموت؟
- وماذا يحصل في القبر؟
- وما الحوض؟ وما الميزان؟
- وما الصراط؟ وما الضحف؟
- وما صفة الجنة والنار؟
- وما أعاجيب الآخرة؟.. وما أحوال الناس فيها؟..
- ومتى نرى ربنا في الآخرة؟..

تعال في رحلة إلى العالم الآخر..



لماذا الإيمان باليوم الآخر؟

فَضِي الله تعالى أن يكون بعد الحياة الدنيا حياة آخرة، أخبرنا بأحداثها، ووعظنا بخبرها، وأوجب علينا الإيمان بها، والاستعداد لها.

فتذكّر اليوم الآخر بحث على عمل الصالحات، والمبادرة لفعل الخيرات، ويطرّد القلق والاكتئاب عن الإنسان، ويُجَنَّب الوقوع في الظلم، والتسلط على الضعفاء.

كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]..

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]..

وقال ﷺ: «من كانت له مَظْلَمَةٌ لأحد من عِرْضِهِ أو شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري، ومن رحمة الله تعالى بالناس.. أنه يصلح بين المتخاصمين.. ليعفو عن الظالم ويرضي المظلوم.. عن أبي هريرة ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلا من أمتي جثيا بين يدي ربي ﷻ فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء! فقال: يا رب، فليحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تُحْمَلَ عنهم أوزارهم.

ثم قال الله تعالى للطلال حقه: ارفع بصرك. فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب! وقصورا من ذهب! مَكَلَّةً باللؤلؤ! لأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه. قال:



والإيمان بالآخرة يمنع من الفساد
والإلحاد، أما الكافر باليوم الآخر فلا يرتدع
عن قبيح ولا منكر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّنَنَّ

[المؤمنون: ١٧٤].



والإيمان باليوم الآخر يُحسِّن أخلاق الإنسان،
ويُصبره على المصائب، ولا يتحسر على ما فاتته
من الدنيا لعلمه أن ثوابه الأعظم في الآخرة،
كما قال ﷺ: « ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا
كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها »^(١).



والإيمان باليوم الآخر يجعل المرء يعترف
بجريمته، ويطلب تطهيره منها.

وقد كان الصحابة الكرام قدوة في محاسبة
النفس وتطهيرها.

قصة:

ما عَزَبَ بَنَ مَالِكٍ ﷺ.. كان رجلاً من الصحابة.. وَسَوَّسَ لَهُ الشَّيْطَانُ
يَوْمًا.. وَأَغْرَاهُ بِجَارِيَةٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ.. فَخَلَا بِهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ.. وَكَانَ
الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا.. فَلَمْ يَزَلْ يُزَيِّنُ كَلًّا مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ حَتَّى زَنَى..

وَمَنْ يَمْلِكُ ثَمَنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْتَ. قَالَ: بِمِ إِذَا قَالَ: بَغْفُوكَ عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ.
قَالَ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (٥٦٤٠).

فلما فرغ ماعز من جُزمه.. تَخَلَّى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقَت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى أحرَق الذَّنْب قلبه.. فجاء إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حرٍّ ما يجد وقال:

يا رسول الله.. إن الأبعد قد زنى.. فطهرني.. فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شِقِّه الآخر فقال: يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني.. فقال ﷺ: وَيَحْك أَرْجِع.. فاستغفر الله وتُب إليه..

فرجع غير بعيد.. فلم يُطق صبرًا.. فعاد إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني.. فقال ﷺ: ويحك.. ارجع فاستغفر الله وتب إليه..

فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني.. فصاح به النبي ﷺ وقال: وَيْلَكَ.. وما يسريك ما الزنا؟.. ثم أمر به فطُرد.. وأُخرج..

ثم أتاه الثانية، فقال: يا رسول الله، زنيت.. فطهرني.. فقال ﷺ: وَيْلَكَ.. وما يدريك ما الزنا؟.. وأمر به.. فطُرد.. وأُخرج..

ثم أتاه الثالثة.. والرابعة كذلك.. فلما أكثر عليه.. سأل رسول الله ﷺ قومه: أبه جنون؟ قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأسًا.. فقال: أَشْرَبَ خمرًا؟ فقام رجل فاستنكَّه وشمَّه فلم يجد منه ريح خمر.. فقال ﷺ: هل تدري ما الزنا؟ قال: نعم.. أتيت من امرأة حرامًا، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالًا.. فقال ﷺ: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني.. قال ﷺ: نعم.. فأمر به أن يُرجم.. فرجم حتى مات..

فلما صلُّوا عليه ودفنوه مرَّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه.. فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رُجم رَجَم الكلاب..

فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار.. قد أحرقت الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه..

فقال ﷺ: أين فلان وفلان؟ قالوا: نحن ذان.. يا رسول الله.. قال: انزلا.. فكلّا من جيفة هذا الحمار.. قالوا: يا نبي الله!! غفر الله لك.. من يأكل من هذا؟ فقال ﷺ: ما نلتما من عرض أخيكما أنفاً أشدّ من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لو سعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها..

فطوبى لما عَزِ بن مالك.. نعم وقع في الزنا.. وهتك الستر الذي بينه وبين ربه.. فلما فرغ من معصيته.. ذهب اللذات.. وبقيت الحسرات.. لكنه تاب توبة لو قُسمت بين أمة لو سعتهم..

وأخيراً:

الإيمان بالله واليوم الآخر، يجعل الإنسان يُحافظ على الأمانة ويمنعه من الرياء، كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

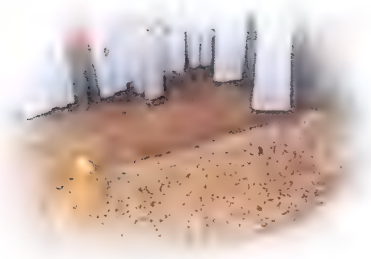
إضاءة..

الإيمان باليوم الآخر راحة في الدنيا.. وسعادة في الآخرة

القيامة ..

القيامة يُطلق على شيئين، أحدهما يقع أمامنا كثيرًا ونراه،
والثاني يقع مرة واحدة، يَفْزَعُ له جميع الخلائق، فالقيامة قِيامتان،
قيامة صُغرى وقيامة كُبرى..

القيامة الصغرى: ❁



وهي قِيامة خاصة، فإذا مات
العبد فإن قِيامته وساعته قامت،
كما قال المُغيرة بن شُعْبَةَ: يقولون:
القيامة.. القيامة، وإنَّما قِيامة
أحدهم موته.

والقيامة الصغرى هي المذكورة في حديث عائشة رضي الله عنها لما قالت:

« كان رجالٌ من الأعراب جُفَاءً يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟
فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعيش هذا لا يُدرِكه الهرم حتى تقوم
عليكم ساعتكم »^(١).

يعني يأتكم الموت جميعاً قبل أن يكبر هذا الصغير.. فهذا الصغير هو
آخركم موتاً..

(١) متفق عليه.

❁ القيامة الكبرى:



وهي القيامة العامة، وبها
تَفنى الحياة على الأرض، ويبعث
الله الخلائق للجزاء والحساب،
والجنة والنار..

وقد ذكر الله تعالى القيامتين: الصغرى، والكبرى، في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ، فَاقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢١ - ٢٢].

﴿أَمَّا لَهُ،﴾ القيامة الصغرى.

﴿أَنْشَرَهُ،﴾ هو البعث والنُّشور للقيامة الكبرى.

وسنبداً الحديث عن القيامة الصغرى.. الموت.

همسة..

من استعد للقيامة الصغرى..
سَهِّلَتْ عليه القيامة الكبرى.

القيامة الصغرى

- مدخل ١٥
- إنه الموت ١٧
- مَشَاهِدِ الاِخْتِضَارِ ١٩
- مَواعِظُهُم في الاِخْتِضَارِ ٣٠
- الايمان بالموت ٣٦
- الاستعداد للموت ٤١
- أحكام الميت ٤٤





الصغرى هي الموت ومُفارقة الرُّوح الجسد، وهي تُصيب كل
الخلائق.. وللخلائق في ذلك أخبار وأسرار، ومواعظ في الاختصار..

القيامة

• فما أحوال الناس عند القيامة الصغرى؟

• وما قصص المحتضرين؟

• وما علامات حُسن الخاتمة وسُوئها؟

• وما حقيقة الرُّوح؟

إنه الموت



ذُكر أن وزيراً جليل القدر..
كان عند داود عليه السلام..

فلما مات داود.. صار وزيراً
عند سليمان بن داود..

فكان سليمان عليه السلام يوماً.. جالساً في مجلسه في الضحى.. وعنده هذا
الوزير.. فدخل عليه رجل يُسلم عليه.. وجعل هذا الرجل يُحدث سليمان..
ويُحدّ النظر إلى هذا الوزير.. ففزع الوزير منه..

فلما خرج الرجل.. قام الوزير وسأل سليمان.. وقال: يا نبي الله! من هذا
الرجل.. الذي خرج من عندك؟.. قد والله أفرغني منظره؟ فقال سليمان عليه السلام:
هذا ملك الموت.. يتصوّر بصورة رجل.. ويدخل عليّ.. ففزع الوزير.. وبكى..
وقال: يا نبي الله.. أسألك بالله.. أن تأمر الريح فتحملني إلى أبعد مكان..
إلى الهند.. فأمر سليمان الريح فحملته..

فلما كان من الغد.. دخل ملك الموت عليه السلام على سليمان عليه السلام يُسلم عليه
كما كان يفعل.. فقال له سليمان عليه السلام: قد أفرغت صاحبي بالأمس..
فلماذا كنت تُحدّ النظر إليه؟

فقال ملك الموت عليه السلام: يا نبي الله.. إنني دخلت عليك في الضحى.. وقد
أمرني الله أن أقبض روحه بعد الظهر في الهند.. ففجبت أنه عندك..
قال سليمان عليه السلام: فماذا فعلت؟ فقال ملك الموت عليه السلام: ذهبت إلى المكان
الذي أمرني بقبض روحه فيه.. فوجدته ينتظرني.. فقبضت روحه..



نعم.. أعظم تحدٍّ تحدى الله به الناس
أجمعين:

﴿ قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
مُلَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨]..

الملوك والأمراء.. والحُجَّاب والوزراء.. والشُرفاء والوُضَّعاء.. والأغنياء
والفقراء.. بل الملائكة العِظام.. والجن والشیاطین.. والحيوانات والطيور..
كلهم عجزوا أن يثبتوا أمام هذا التحدي الإلهي..

﴿ قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]..
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]..



أين الجنود؟ أين الملك؟ أين الجاه؟

أين الأكاسرة؟ أين القياصرة؟

أين الزعماء؟ والتجار؟ بل أين الأطباء؟

حتى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
كما حَكَى عن خيال الطيفِ وسنانٍ

أتى على الكلِّ أمرًا مَرَدَ له
وصار ما كان مِنْ مَلِكٍ وَمِنْ مَلِكٍ

بداية..

الموت هو بوابة العالم الأخير.

مَشَاهِدُ الْاِحْتِضَارِ



مشهد الاحتضار وخروج الرُّوح..
عجيب.. وهو ينزل بكل المخلوقات..

فأَيُّ عَيْشٍ صَفا وما كَدَّره الموت؟

وأَيُّ قَدَمٍ سَعَتْ وما عَثَرها الموت؟

أَمَّا أَخَذَ الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَ؟ أَمَّا سَلَبَ
الْحَبِيبِ وَقَطَعَ الْوُدَادَ؟

أَمَّا أَزْمَلَ النِّسْوانَ.. وَيَتَّمَ الْأَوْلَادَ؟

وللناس عند الاحتضار وخروج الروح عجائب..

❁ موت نبينا محمد ﷺ :

بعدما رجع النبي ﷺ من حَجَّةِ
الْوَدَاعِ.. جعل مرض الموت يشته
عليه.. يوماً بعد يوم.. وهو في
كلمة يتكلمها.. ونظرة ينظرها..
يودّع هذه الدار..

ولما اشتدت عليه الحُمَّى.. وأيقن النقلة للدار الأخرى.. أراد أن يودّع الناس..
فغصّب رأسه.. ثم أمر الفضل بن العباس أن يجمع الناس في المسجد.. فجمعهم..
فاستند ﷺ إليه.. حتى رَقَى إلى المنبر.. ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد.. أيها الناس.. إنه قد دُني مني خُلوْف من بين أظهركم.. ولئن تروني في هذا المَقام فيكم.. ألا فَمَنْ كُنت جلدت له ظهراً.. فهذا ظهري فليستَقِد منه.. ومن كُنت أخذت له مالاً.. فهذا مالي فليأخذ منه.. ومن كُنت شتمت له عِرضاً.. فهذا عِرْضي فليستَقِد منه.. ولا يقولن قائل إني أخشى الشَّخْءاء.. ألا وإن الشَّخْءاء ليست من شأني.. ولا من خُلْقي.. وإن أحبكم إليّ من أخذ حقاً.. إن كان له عليّ.. أو حللني فلقيت الله رجياً.. وليس لأحد عندي مظلمة»^(١).

ثم نزل رسول الله ﷺ من على منبره.. ومضى إلى بيته المبارك..

مرض موت النبي ﷺ:

وبدأت الحُمى تأكل جسده.. وهو يتحامل على نفسه ويخرج إلى الناس ويُصَلِّي بهم.. حتى صلى بأصحابه المغرب.. من يوم الجمعة.. ثم دخل بيته.. وقد اشتدت عليه الحمى.. فوضعوا له فِرَاشاً فانطَرَح عليه.. وظلَّ على فراشه والحمى تَكْوِي جسده الطاهر.. ثم ثَقُلَ به مرض الموت.. وهو على فراشه..

واجتمع الناس لصلاة العشاء.. وجعلوا ينتظرون إمامهم ﷺ ليصلي بهم.. ورسول الله ﷺ قد هدَّه المرض.. يحاول النهوض من فراشه.. فلا يقدر.. فأبْطَأَ عليهم.. فجعل بعض الناس ينادي: الصلاة.. الصلاة..

فسمع النبي ﷺ صوتهم.. فالتفت إلى من حوله وقال: أصلي الناس؟ قالوا: لا.. يا رسول الله.. هم ينتظرونك.. فنظر فإذا حرارة جسده ﷺ تمنعه من النهوض.. فقال: **صَبُّوا لي ماء في الخَضَب**.. وهو إناء كبير.. فنصبوا له الإناء.. وجعلوا يصبون الماء البارد من القَرَب.. فوق جسده..

فلما برد جسده.. وشعر بشيء من النشاط.. جعل يشير لهم بيده أن كفى.. فأوقفوا الماء عنه.. فلما اتكأ على يديه ليقوم، أُغْمِيَ عليه.. فلبث مَلِيّاً..

(١) رواه الطَّبْراني في الكبير، وأبو يَعْلَى في مسنده.

ثم أفاق.. فكان أول سؤال سألته.. أن قال: **أصلى الناس؟** قالوا: لا.. يا رسول الله.. هم ينتظرونك.. قال: **ضعوا لي ماء في المخضب..**

فاغتسل.. وجعلوا يصبون عليه الماء.. حتى إذا شعر بشيء من النشاط.. أراد أن يقوم.. فأغمي عليه.. فلبث ملياً مغمى عليه.. ثم أفاق.. فكان أول سؤال سألته.. أن قال: **أصلى الناس؟** قالوا: لا.. يا رسول الله.. هم ينتظرونك.. فقال: **ضعوا لي ماء في المخضب..**

فوضعوا له الماء.. وجعلوا يصبون الماء البارد على جسده.. وأكثروا الماء.. حتى أشار لهم بيده.. فأوقفوا صب الماء.. ثم اتكأ على يديه المزهقتين ليقوم.. فأغمي عليه.. وأهله ينظرون إليه.. تضطرب أفئدتهم.. وتدمع أعينهم.. والناس عُكُوف في المسجد ينتظرونه.. ويشتاقون إلى رؤيته إماماً لهم.. يُكَبِّرون بتكبيره.. ويركعون ويسجدون معه.. وهو ﷺ مغمى عليه..



فلبث ملياً.. ثم أفاق.. فقال:
أصلى الناس؟ قالوا: لا.. هم
ينتظرونك يا رسول الله.. فتأمل
ﷺ في جسده.. فإذا الحمى قد
هدته هداً..

نعم هـذا المرض ذاك الجسد المبارك.. الذي نصر الدين.. وجاهد لرب العالمين.. ذاك الجسد.. الذي ذاق من العبادة حلاوتها.. ومن الحياة شدتها.. الجسد الذي تقطرت منه القدمان.. من طول القيام.. وبكت العينان.. من خشية الرحمن.. عُذِبَ في سبيل الله.. وجاع.. وقاتل..

لما رأى ﷺ حاله.. وتمكن المرض من جسده.. التفت إليهم وقال: **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فليُصَلِّ بالناس..**

فيُقيم بلال الصلاة.. ويتقدم أبو بكر.. في مِخْرَابِ النَّبِيِّ ﷺ.. فيُصَلِّي بالناس.. ولا يكادون يسمعون قراءته من شدة بكائه وحزنه.. وانتهت صلاة العشاء..

ثم يجتمع الناس لصلاة الفجر.. فيصلي بهم أبو بكر.. ويجتمع الناس بعدها للصلوات.. ويصلي أبو بكر بهم.. أياماً.. ورسول الله ﷺ على فراشه..



صلاة الجماعة:

فلما كانت صلاة الظهر أو العصر من يوم الاثنين.. وجد رسول الله ﷺ نشاطاً في جسده.. فدعا العباس وعلياً - رضي الله عنهما -.. فأسنداه عن يمينه ويساره..

ثم خرج يمشي بينهما.. تَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ.. وَكَشَفَ السِّتْرَ الَّذِي بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ.. فَإِذَا الصَّلَاةُ قَدْ أُقِيمَتْ.. وَالنَّاسُ يَصْلُونَ..

فرأى ﷺ أصحابه صفوفاً في الصلاة.. فنظر إليهم.. فإذا هم وجوهٌ مُبَارَكَةٌ.. وَأَجْسَادٌ طَاهِرَةٌ.. طَالَمَا صَلَّى بِهِؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ.. وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.. وَجَالَسَهُمْ.. كَمَ لَيْلَةٍ قَامَهَا وَقَامُوهَا.. وَأَيَّامَ صَامَهَا وَصَامُوهَا.. كَمَ صَبَرُوا مَعَهُ عَلَى الْبَلَاءِ.. وَأَخْلَصُوا مَعَهُ الدُّعَاءَ.. كَمَ فَارَقُوا لِنُصْرَةِ دِينِهِ الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ.. وَهَجَرُوا الْأَحْبَابَ وَالْأَوْطَانَ.. مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ.. وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ.. وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا.. ثُمَّ هَا هُوَ الْيَوْمَ يَفَارِقُهُمْ.. إِلَى تِلْكَ الدَّارِ.. الَّتِي طَالَمَا شَوَّقَهُمْ إِلَى سُكْنَاهَا..

فلما رآهم في صلاتهم.. أعجب بهم.. فَتَبَسَّمَ.. حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ فَلَقَّةٌ مِنْ قَمَرٍ.. ثُمَّ أَرَخَى السِّتْرَ.. وَعَادَ إِلَى فِرَاشِهِ.. وَنَزَلَ مَلِكُ الْمَوْتِ مِنَ السَّمَاءِ لِيَقْبِضَ أَزْكَى وَأَطْهَرَ رُوحٍ خُلِقَتْ..

سكرات الموت على نبينا ﷺ:

بدأت سكرات الموت تصارع روحه وجسده ﷺ..

قالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة ؓ:

رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قَدْحٌ فيه ماء.. فَيُدْخِلُ يده في القَدْحِ ثم يمسح وجهه بالماء.. ثم يقول: لا إله إلا الله.. إن للموت سَكْرَاتٍ.. وجعلت فاطمة تبكي وتقول: واكْرَبْ أبتاه.. فيلتفت إليها ويقول: ليس على أبيك كرب بعد اليوم.. فَجَعَلْتُ أَمْسَحَ وجهه.. وأدعوه بالشفاء.. فقال: لا.. بل أسأل الله الرفيق الأعلى.. مع جبريل وميكائيل وإسرافيل..

ثم لما ضاق به النَّفْسُ.. واشتدت عليه السَّكرات.. جعل يردد كلمات يُودِّعُ بها الدنيا.. فكان يتكلم فيما أهَمَّهُ.. وَيُحَذِّرُ من صُورِ الشُّرْكَ ويقول:

« لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »..

« اشتد غضب الله على قوم جعلوا قبور أنبيائهم مساجد »..

وكان من آخر ما قال ﷺ: « الصلاة.. الصلاة.. وما ملكت أيمانكم »..

ثم مات بأبي هو وأمي وروحي.. ﷺ..

نعم.. مات.. سيد المرسلين.. وإمام المتقين.. وحبيب رب العالمين.. مات، وليس أحد يطالبه بمظلمة.. ولا أذى أحداً بكلمة.. مات، ولم يتدنَّس بأموال حرام.. ولا غيبة ولا آثام.. بل كان إلى الله داعياً.. ولعفوره راجياً.. يأمر بالصلاة وعبادة الرحمن.. وينهى عن الشرك والأوثان..

ولقد صدق ربنا في وصفه لما قال ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]..

❁ وفاة عمر رضي الله عنه ❁

انتقل معي إلى المدينة لترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. الخليفة الراشد.. الذي نصر الدين.. وجاهد لرب العالمين.. وأطفاً نيران دولة المجوس.. حقد عليه الكافرون.. وكان من أكثرهم حقداً.. أبو لؤلؤة المجوسي.. وكان عبداً نجاراً حداًداً في المدينة.. وكان يصنع الرِّحاء ^(١)..

أخذ هذا العبد الكافر يتحَّين الفرص للانتقام من عمر رضي الله عنه.. فلقيه عمر رضي الله عنه يوماً في طريق فسأله وقال: حَدِّثْ أَنْكَ تَقُول: لَوْ أَشَاءَ لَصَنَعْتَ رَحَى تَطْحَنُ بِالرَّيْحِ؟! فالتفت العبد عابساً إلى عمر رضي الله عنه.. وقال: بلى.. لأصنعن لك رحى يتحدث بها أهل المشرق والمغرب.. فالتفت عمر رضي الله عنه إلى أصحابه وقال: لقد تَوَعَّدَنِي العبد..



ثم مضى العبد وصنع خنجراً له رأسان.. مقبضه في وسطه.. فهو إن طعن به من هذه الجهة قَتَلَ.. وإن طعن به من الجهة الأخرى قَتَلَ.. وأخذ يظليه بالسُّم.. لأجل إذا طعن به.. يقتل إما بقوة الطعن أو بنفاذ السُّم..

ثم أقبل في ظلمة الليل.. واختبأ لعمر في زاوية من زوايا المسجد.. فلم يزل هناك حتى دخل عمر رضي الله عنه إلى المسجد يُنبِّه الناس لصلاة الفجر.. ثم أقيمت الصلاة.. وتقدَّم بهم عمر رضي الله عنه.. فكبَّر..

فلما ابتدأ القراءة.. هجم عليه المجوسي.. وفي طَرْفة عين.. عاجله.. بثلاث طعنات.. وقعت الأولى في صدره والثانية في جنبه.. والثالثة تحت سُرَّتِهِ..

(١) الرِّحاء: جمع رحى، وهي آلة لطحن الشعير.. وهي حجران مُصَفَّحان يوضع أحدهما فوق الآخر ويُطرح القمح والشعير بينهما.. وتدار باليد.. فيطحن..

فصاح عمر رضي الله عنه .. ووقع على الأرض.. وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]..

وتقدّم عبد الرحمن بن عوف وأكمل الصلاة بالناس.. أما العبد فقد طار بسكينه يشقّ صفوف المصلين.. ويطعن المسلمين.. يميناً وشمالاً.. حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً.. مات منهم سبعة..

ثم وقف شاهراً سكينه ما يقترب منه أحد إلا طعنه.. فاقترب منه رجل وألقى على وجه المجوسيّ رداءً غليظاً.. فاضطرب المجوسيّ.. وعلم أنهم قدروا عليه.. فطعن نفسه.. فتفجرت دماؤه ومات.. وحمل عمر مغشياً عليه إلى بيته.. وانطلق الناس معه ليكون.. وظلّ مُغمى عليه.. حتى كادت أن تطلع الشمس..

أصلّى الناس؟

فلما أفاق عمر رضي الله عنه.. نظر إلى وجوه من حوله.. ثم كان أول سؤال سأل.. أن قال: أصلّى الناس؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين.. فقال: الحمد لله.. لا إسلام لمن ترك الصلاة..

ثم دعا بماء فتوضأ.. وأراد أن يقوم ليصلي فلم يقدر.. فأخذ بيد ابنه عبد الله فأجلسه خلفه.. وتساند إليه ليجلس.. فجعلت جراحه تنزف دماً..

قال عبد الله بن عمر: والله إني لأضع أصابعي.. فما تسدّ الجرح.. فربطنا جرحه بالعمائم.. فصلّى الصبح.. ثم قال:

يا ابن عباس انظر من قتلني.. فقال: طعنك الغلام المجوسي.. ثم طعن معك رهطاً.. ثم قتل نفسه.. فقال عمر: الحمد لله.. الذي لم يجعل قاتلي يُحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط..

ثم دخل الطبيب على عمر.. لينظر إلى جرحه.. وأراد أن يعلم هل وصلت الطعنة إلى المعدة والأخشاء أم لا.. فسقاه ماءً مخلوطاً بتمر.. فدخل الماء من فمه وخرج من جروحه أسفل بطنه.. فظن الطبيب أن الذي خرج هو دم وصديد.. فدعا بإناء من لبن فأسقاه إياه.. فخرج اللبن من جرحه الذي تحت سرتة.. فعلم الطبيب أن الطعنات قد مزقت جسده.. وأن بطنه لن يُمسك طعاماً ولا شرباً..

فقال: يا أمير المؤمنين.. أوص.. فما أظنك إلا ميتاً اليوم أو غداً.. فقال عمر بكل إيمان وهو يُبشّر بالموت: صدقتني.. ولوقلت غير ذلك لكذبتك.. ثم قال: والله لو أن لي الدنيا كلها.. لافتديت به من هول المَطْلَع.. يعني الوقوف بين يدي الله تعالى..

ثناء ابن عباس على عمر رضي الله عنه:

فلما سمع ابن عباس كلام عمر.. بتواضعه.. ورغبته فيما عند الله.. قال:

وإن قلت ذلك يا أمير المؤمنين.. فجزاك الله خيراً.. أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يُعز الله بك الدين والمسلمين.. إذ يخافون بمكة؟ فلما أسلمت.. كان إسلامك عزاً.. وظهر بك الإسلام.. وهاجرت.. فكانت هجرتك فتحة.. ثم لم تخب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ.. من قتال المشركين؟ ثم قبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض.. ووازرت الخليفة بعده.. وقبض وهو عنك راض.. ثم وليت بخير ما ولي الناس.. مَصّر الله بك الأمصار.. وجبا بك الأموال.. ونفى بك العدو.. ثم ختم لك بالشهادة.. فهنئاً لك..

فلما قضى ابن عباس كلامه، قال عمر: أجلسوني.. فلما جلس.. قال لابن عباس: أعد علي كلامك.. فلما أعاد عليه.. قال: والله إن المخرور من تغرؤنه..

ثم نظر عمر إلى ابن عباس.. وهو يعرف علمه، وتقواه، وقال له: أتشهد لي بذلك عند الله يوم تلقاه؟ فقال ابن عباس: نعم.. ففرح عمر.. وقال: اللهم لك الحمد... ثم جاء الناس فجعلوا يُثنون عليه.. ويُودِّعونه..

نصيحة على فراش الموت..

وجاء شاب فدخل على عمر.. فقال: أبشري يا أمير المؤمنين.. صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.. ثم وُلِّيتَ فَعَدَلْتُ.. ثم شهادة.. فقال عمر: وِدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَفَافًا.. لَا عَلَيَّ وَلَا لِي..

فلما أدبر الشاب.. فإذا إزاره يَمَسُّ الأرض.. فقال عمر: رُدُّوا عَلَيَّ الْخِلَامَ.. فرجع الشاب إليه.. فقال عمر ناصحًا له: يا ابن أخي.. ارفع ثوبك.. فإنه أنقى لثوبك.. وأتقى لربك..

ثم اشتد الألم على عمر.. وجعل يتغشاه الكرب.. ويُغْمَى عليه.. قال عبد الله بن عمر: غُشِيَ على أبي فأخذت رأسه فوضعتَه في حجري.. فأفاق.. فقال: ضع رأسي في الأرض.. ثم غُشِيَ عليه، فأفاق ورأسه في حجري.. فقال: ضع رأسي على الأرض.. فقلت: وهل حجري والأرض إلا سواء يا أبتاه.. فقال: اطْرَحْ وجهي على التراب.. لعل الله تعالى أن يرحمني.. فإذا قُبِضْتُ.. فأسرعوا بي إلى حُفْرَتِي.. فإنما هو خير تُقَدِّمُونِي إليه.. أو شَرَّ تضعونه عن رقابكم..



ثم قال: ويلٌ لعمر.. وويلٌ لأمه.. إن لم يُغفر له..

ثم ضاق بعمر النَّفْسُ.. واشتدت عليه السَّكَرات.. ثم مات ﷺ.. ودفنوه بجانب صاحبيه.. رسول الله ﷺ.. وأبي بكر الصديق ﷺ..

نعم.. مات عمر بن الخطاب.. لكن مثله في الحقيقة لم يمِت.. قَدِمَ على أعمال صالحات.. ودرجات رفيعات.. صاحبه في قبره قراءته للقرآن.. وبكاؤه من خشيته الرحمن.. تُؤنسه صلاته في وخشته.. ويرفع جهاده من درجته.. تَعِبَ في دنياه قليلاً.. لكنه استراح في آخرته طويلاً..

بل قد عَدَّه النبي ﷺ من العشرة المبشرين بالجنة.. فقال ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ.. فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ.. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْقَصْرِ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ.. فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَكَّيْتُ مُدْبِرًا.. فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَضَارِيَا رَسُولَ اللَّهِ؟» (١) ..

❁ أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :



مرض أبو بكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واشتد مرضه.. فعرض عليه أبنائه أن يأتوه بطبيب.. فأبى.. فلما نزل به الموت وعَايَنَ الاحتضار.. صرخ بأبنائه وقال: أين طبيبكُم؟.. ليردّها إن كان صادقاً..

❁ عَامِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ :

كان على فراش الموت.. يَعُدُّ أنفاس الحياة.. وأهله حوله يكون.. فبينما هو يصارع الموت.. سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب.. ونفسه تَحْشَرُجُ في حَلْقِهِ.. وقد أَشْتَدَّ نَزْعُهُ.. وَعَظُمَ كَرْبُهُ.. فلما سمع النداء للصلاة قال لمن حوله: خذوا بيدي..!! قالوا: إلى أين؟.. قال: إلى المسجد.. قالوا: وأنت على هذه الحال!! قال: نعم، سبحان الله!! أَسْمَعُ مُنَادِي الصَّلَاةِ وَلَا أُجِيبُهُ.. خذوا بيدي..

(١) رواه البخاري.



فحملوه بين رجلين.. فصلّى ركعة مع الإمام.. ثمّ مات في سجوده..

نعم.. مات وهو ساجد.. فمن أقام الصلاة.. وصبر على طاعة مولاه.. ختم له برضاه..

❁ عبد الرحمن بن الأسود:

كان الصالحون يتحسرون عند الممات.. على فراق الأعمال الصالحات.. ويودّون لو طالت بهم الحياة للترؤد في رفع الدرجات.. وتكثير الحسنات..

احتضر عبد الرحمن بن الأسود.. فبكى.. فقيل له: ما يبكيك! وأنت.. أنت.. يعني في العبادة والخشوع.. والزهد والخضوع.. فقال: أبكي والله.. أسفاً على الصلاة والصوم.. ثمّ لم يزل يتلو القرآن حتى مات..

❁ يزيد الرقاشي:

لما نزل به الموت.. أخذ يبكي ويقول: من يصلي لك يا يزيد إذا مت؟ ومن يصوم لك؟ ومن يستغفر لك من الذنوب.. ثمّ تشهّد ومات..

نسأل الله تعالى أن يحسن لنا الخاتمة.. آمين..

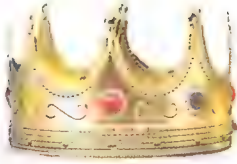
موعظة..

﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(النحل: ٣٢)

مواعظهم في الاحتضار

الموت لا يفرق بين صغير وكبير.. لا يعرف ملكاً ولا وزيراً.. ولا تاجراً ولا أميراً.. والملوك لهم عند احتضارهم مواعظ..



هارون الرشيد:

ذاك الذي مَلَك الأرض وملاها جنوداً..
ذاك الذي كان يرفع رأسه.. فينظر إلى
السحابة ويقول:

أمطري في الهند أو في الصين.. أو حيث شئت.. فوالله ما تمطرين في أرض
إلا وهي تحت مُلكي..

هارون الرشيد.. خرج يوماً في رحلة صيد فمرّ برجل يقال له بهلول..
فقال هارون: عِظني يا بهلول..

قال: يا أمير المؤمنين!! أين أبؤك وأجدادك؟ من لَدُن رسول الله ﷺ إلى أبيك؟
قال هارون: ماتوا.. قال: فأين قصورهم..؟ قال: تلك قصورهم.. قال: وأين
قبورهم؟ قال: هذه قبورهم..

فقال بهلول: تلك قصورهم.. وهذه قبورهم.. فما نفعهم قصورهم في
قبورهم؟

قال: صدقت.. زدني يا بهلول.. فقال بهلول:

أما قصورك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع

فبكى هارون وقال: زدني.. فقال: يا أمير المؤمنين:

هَبْ أَنْكَ مَلَكْتَ كَنُوزِ كِسْرَى وَغَمَّرْتَ السِّنِينَ فَكَانَ مَاذَا
أَلَيْسَ الْقَبْرُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ وَتُسَالُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ هَذَا؟

فقال الخليفة هارون: بلى..

ثم رجع هارون.. وانطرح على فراشه مريضاً.. ولم تمضِ عليه أيام حتى
نزل به الموت.. فلما حضرته الوفاة.. وعاین السَّكَرات.. صاح.. بِقُودِهِ وَحُجَابِهِ:
اجمعوا جيوشي..

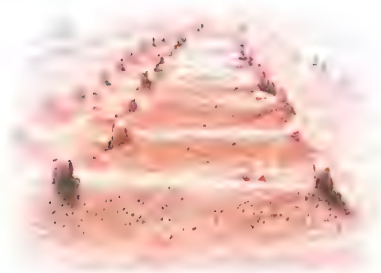
فجاؤوا بهم.. بسيوفهم.. ودروعهم.. لا يكاد يحصى عددهم إلا الله.. كلهم
تحت قيادته وأمره.. فلما رآهم.. بكى.. ثم قال: يا من لا يزول مُلْكُهُ.. ارحم من
قد زال ملكه..

ثم لم يزل يبكي حتى مات.. فلما مات.. حُمل هذا الخليفة.. الذي ملك
الدنيا وأودع حفرة ضيقة.. ثم يصاحبه فيها وُزْرَاؤُهُ.. ولم يُسَاكِنَهُ نُدْمَاؤُهُ..
لم يدفنوا معه طعاماً.. ولم يفرشوا له فراشاً.. ما أغنى عنه ملكه وماله..

عبد الملك بن مروان:

الخليفة عبد الملك بن مروان.. فإنه لما نزل به الموت.. جعل يتغشاه الكُزْبُ..
ويَضِيقُ عَلَيْهِ النَّفْسُ.. فأمر بنوافذ غرفته فمُتَّحَتْ.. فالتفت فرأى رجلاً
غَسَّالاً فقيراً في دُكَّانِهِ.. يغسل الثياب ويضربها على الجدار لتتشف.. فبكى
عبد الملك ثم قال:

يا ليتني كنت غَسَّالاً.. يا ليتني كنت نجاراً.. يا ليتني كنت حَمَّالاً.. يا
ليتني لم أَلِ من أمر المؤمنين شيئاً.. ثم مات..



نعم.. انتقلوا.. إلى دور ليس فيها خَدَم
يخدمون.. ولا أهل يُكْرِمون.. ولا وزراء
يُنَادِمون.. انتقلوا إلى دور.. تُجَالِسهم
فيها أعمالهم.. وتُخَاصِمهم صَحائفهم..
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وهناك فريق من الناس.. وَسَّعَ اللهُ عليهم في أرزاقهم.. وعافاهم في أبدانهم..
فغفلوا عن الاستعداد للموت حتى باغتهم.. فَبَدَّدَ شملهم.. وأخذهم على قبيح
فِعْلهم.. فلما عاينوا الموت طلبوا الرجوع للدنيا.. لا لتجارة ولا مال.. ولا أهل
ولا عيال.. وإنما لإصلاح الأحوال.. وإرضاء القوي المتَّعَال.. ولكن قد حكم
الخالق العظيم أنهم إليها لا يُرْجَعون..

❁ أنواع أخرى من الاحتضار:

العصاة والمذنبون.. اللَّاهُونَ المُضَيِّعون.. غَلَبَ عليهم حبهم لدنياهم.. فكان
لهم في احتضارهم عذاب وتَهْوِيل.. وحِيل بينهم وبين الخالق الجليل..



ذكر القُرْطُبي: أن أحد المحتضرين.. ممَّن بدنياء
انشغل.. وغرَّه طول الأمل.. لما نزل به الموت.. واشتدَّ عليه
الكَرْب.. اجتمع حوله أبنائه.. يُودِّعونه.. ويقولون: قل
لا إله إلا الله.. فأخذ يَشْهَقُ.. ويصيح.. فأعادوها عليه..
فصاح بهم وقال: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا..
والبستان الفلاني ازرعوا فيه كذا.. والدكان الفلاني
اقبضوا منه كذا.. ثم لم يزل يردد ذلك حتى مات..^(١)

نعم.. مات.. وترك بستانه ودكانه.. يتمتع بهما ورثته.. وتدوم عليه حسرته..

(١) ذكرها في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢١٧.

شارب خمر:



قال ابن القيم:

احتضر رجل ممن كان يجالس شراب الخمر..
فلما حضره نزع روحه.. أقبل عليه رجل ممن
حوله.. وقال: يا فلان.. يا فلان.. قل لا إله إلا الله..

فتغير وجهه.. وتلبّد لونه.. وثقل لسانه.. فردد عليه صاحبه: يا فلان.. قل
لا إله إلا الله.. فالتفت إليه وصاح: لا.. اشرب أنت ثم اسقني.. اشرب أنت ثم
اسقني.. وما زال يُردّها.. حتى فاضت روحه إلى باريها..^(١)

وكان محمد بن المغيث رجلاً فاسقاً.. مفتوناً بشرب الخمر.. ولا يكاد
يخرج من بيت الخمار.. فلما مرض.. ونزل به الموت.. وخارت قواه.. سأله
رجل ممن حوله.. هل بقي في جسمك قوة؟ هل تستطيع المشي؟ فقال: نعم..
لوشئت مشيت من هنا إلى بيت الخمار.. فقال صاحبه: أعوذ بالله أفلا قلت
أمشي إلى المسجد فبكي.. وقال: غلب ذلك عليّ لكل امرئ من دهره ما تعودا..
وما جرت عادتي بالمشي إلى المسجد^(٢)..

وقال ابن أبي رواد:

حضر رجلٌ عند الموت.. فجعل من حوله يُلقّنه لا إله إلا الله.. فحِيلَ
بينه وبينها.. وثقلت عليه.. فجعلوا يُعيدون عليه.. ويكرّرون.. ويذكّرونه
بالله.. وهو في كُرب شديد.. فلما ضاق عليه النَّفس.. صاح بهم وقال:
هو كافر بلا إله إلا الله.. ثم شهق ومات..

قال: فلما دفنّه.. سألت أهله عن حاله: فإذا هو مدمن للخمر..^(٣)

(١) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ١٤٣.

(٢) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢٥٤.

(٣) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ١٦٥.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة.. بل نعوذ بالله من أم الخبائث.. ورأس الفواحش.. ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.. ومن شرب الخمر في الدنيا كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال..

قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل النار»^(١)..

إلا أن يتوب قبل موته.. ويعامله ربنا بعفوه..

أما أهل المعازف والغناء.. فلهم عند الموت كرباً وبلاء..



تارك الصلاة:

أهل الجريمة الكبرى.. والداهية العظمى.. فهم أنصار الشيطان.. تاركو الصلاة.. وبين الرجل وبين الكفر أو الشرك.. ترك الصلاة.. وحالهم عند الموت وبعده أدهى وأفظع..

ذكر ابن القيم: أن أحد المحتضرين.. كان صاحب معاصٍ وتفريط.. فلم يلبث أن نزل به الموت.. ففرع من حوله إليه.. وانطرحوا بين يديه.. وأخذوا يُذكرونه بالله.. ويُلقنونه لا إله إلا الله.. وهو يُدافع عباته.. فلما بدأت روحه تُنزع.. صاح بأعلى صوته.. وقال: أقول: لا إله إلا الله!! وما تنفعني لا إله إلا الله!! وما أعلم أنني صليت لله صلاة!! ثم مات..^(٢)

هذا هو الموت.. أول طريق الآخرة..

(١) رواه مسلم.

(٢) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢١٥.

هل يجوز أن يتمنى الإنسان الموت لضرّ نزل بماله أو جسده؟

مسألة



الجواب: لا يجوز أن يتمنى الموت؛ لأنه لا يدري فاعلُ عُسرهِ يعقبه يُسرٌ عظيم، وعليه أن يدعو بالدعاء المأثور، قال ﷺ: « لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لأبد مُتمنّيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي »

وقال ﷺ: « لا يتمنّين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عُمره إلا خيرًا »^(١).

بيان..

عمل الإنسان صالحاً كان أو فاسداً..
يؤثر في هائمته حسناً أو سوءاً.

(١) رواه البخاري.

الإيمان بالموت

من تأمل في الموت علم أنه أمر كُبار.. وكأس تُدار.. على من أقام أو سار..
يخرج به العباد من الحياة الدنيا إلى جنة أو نار..

ولو لم يكن في الموت إلا الإعدام.. وانحلال الأجسام.. ونسيان أجمل الليالي
والأيام..

ولست المشكلة في الموت.. فالموت باب وكل الناس داخله.. لكن المشكلة
الكبرى.. والداهية العظمى.. ما الذي يكون بعد الموت..

أم في: ﴿ضَلَّلِ وَسُعِّرِ﴾ [القمر: ٢٤]؟

أي في: ﴿جَنَّتْ وَنَهَرَ﴾ [القمر: ٥٤]؟



ومن عدل الله تعالى أن العبد يُختم له في الغالب على ما عاش عليه..
فمن كان في حياته يشتغل بالذكر والقيام.. والصدقات والصيام.. ختم له
بالصالحات.. ومن تولى وأعرض عن الخير.. خشي عليه أن يموت على ما
اعتاد عليه..

❖ ما الموت؟

الموت.. هو الشيء الوحيد الذي تفهمه كل المخلوقات.. الإنس والجن.. البشر والحيوانات.. لا يحتاج إلى تعريف طويل.. ولا شرح وتفصيل.. فالموت باختصار هو:

**مُفَارَقَةُ النَّفْسِ - الرُّوحِ - الْجَسَدِ
بمخرجها منه..**

والموت ليس فناءً للروح، فإنَّ الروح لا تَفْنَى، وإنَّما تُفَارِقُ الجسد فتُنْعَمُ أو تُعَذَّبُ، وقد يكون النعيم أو العذاب على الروح فقط، أو على الروح والبدن. والإيمان بالموت يتضمن الإيمان بأنَّ الهلاك مُتَحَتِّمٌ على كل المخلوقات، وكل نفس ذائقة الموت..

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]..

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]..

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]..

وكان ﷺ يقول كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أعوذ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

والموت قد وُكِّلَ به ملك الموت..

(١) رواه البخاري.

❁ من ملك الموت؟

كل ملك من ملائكة الرحمن له وظيفة كلفه الله تعالى بها.. فجبريل ملك الوحي.. وميكائيل ملك المطر.. وإسرافيل ينفخ في الصور.. ومنهم ملك الجبال.. وملك الموت..

ذكره الله تعالى فقال: ﴿قُلْ يَتُوقَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

[السجدة: ١١]..

وملك الموت له أعوان.. قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]..

وقال ﷺ: «ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه...»^(١)..

وملك الموت لا يقبض رُوحًا قبل موعد موتها.. فكلُّ له أجل محدود ينتهي إليه، لا يزيد عليه، ولا يقصر عنه..

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]..

وهذا الأجل مكتوب على الإنسان منذ أن كان في بطن أمه.. كما قال ﷺ:

«إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقَةً مثل ذلك، ثم يكون مُضْغَةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد»^(٢)..

(١) رواه أحمد، صحيح.

(٢) متفق عليه.



❁ لا يدري أحد أين مكان موته؟

قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[لقمان: ٣٤]

وقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أراد
قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةً»^(١).

وهذا واقع مُشَاهَد.. فكم من إنسان يسمع عن بلد ولم يفكر يوماً أن يسافر
إليها.. والله تعالى قد كتب منذ الأزل أنه سيموت فيها.. فإذا اقتربت ساعة
موته جعل الله له حاجة تحمله إلى ذلك البلد.. من علاج أو تجارة أو عمل..
أو غيرها.. فيقبضه الله تعالى هناك..

❁ تَذَكُّرُ الْمَوْتِ؛

قال ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ»^(٢). يعني الموت..

وقال ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»^(٣)..

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ
فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٤)..

(١) رواه أحمد (صحيح).

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه (صحيح).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

هل كراهية الموت تعني كراهية لقاء الله تعالى؟

إشكال



قد سألت عائشة رضي الله عنها نبينا ﷺ عن ذلك..

قالت عائشة: « قال رسول الله ﷺ: من أَحَبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كَرِهَ لقاء الله، كره الله لقاءه. فقلت: يا نبي الله، أكرهية الموت؟ فكلنا نكره الموت! فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه »^(١).

واقع..

كثيرون يرفقون بوقوع الموت
لكن قليلون من يستعدون له.

(١) رواه مسلم.

الاستعداد للموت



على العبد أن يستعدّ للموت قبل نزوله، فهو لا شك نازلٌ بنا جميعاً، يهجم على الكبير والصغير، ولا يؤجل العبد ولا يعطيه فرصة، ليحسن حاله.

● فكيف يستعد الإنسان للموت؟

● وما الأعمال النافعة بعد الموت؟

مداخل:

التوبة والعمل الصالح.. طريق لصلاح الحال بعد الموت..

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١٠ - ١١).

وقال ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

(١) رواه الحاكم (صحيح).



❁ أعمال تنفع بعد الموت:

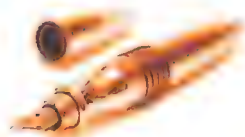
السعي في تربية الأولاد ليكونوا صالحين؛
ليدعوا لأهلهم، والاجتهاد في طلب العلم
الشرعي النافع ونشره، وعمل الصدقات الجارية،
وقد جمع النبي ﷺ هذه الفضائل في حديث واحد،
فقال ﷺ:

« إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع
به، وولد صالح يدعو له »^(١).

ومن الصدقة الجارية التي تلحق المسلم بعد موته، ما جاء في قوله ﷺ:

« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً
صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً
أجراد، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته »^(٢).

❁ كتابة الوصية:



من الاستعداد للموت كتابة
الوصية، ويُسن أن يوصي الإنسان
بشيء من ماله صدقة، فقد
أوصى بعض الصحابة بثُلث ماله،
وبعضهم برُبُع ماله، كما قال ﷺ:

« إن الله تصدَّق عليكم عند وفاتكم بثُلث أموالكم زيادة لكم في أعمالكم »^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه، حسن.

(٣) رواه ابن ماجه، حسن.

وقال ﷺ: « ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يُريد أن يُوصي به أن يبيتَ ليلتين إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده »^(١).

قال عبد الله بن عمر: ما مرَّت عليَّ ليلةٌ منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي مكتوبة^(٢).

❁ علاقة الموت بالروح:

اختلف الناس في حقيقة الروح التي في البدن.. وهي خفيفة حيّة تسري في الأعضاء سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والروح بها حياة البدن، والروح والنفس شيء واحد، ومسكنها الجسد، وإذا فارقت الروح الجسد فارقت حياته.

والروح مخلوقة، لكنها لا تموت بموت الجسد، وموت الأرواح هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، لكنها لا تَغْدَم، بل هي باقية بعد فناء الجسد، وتكون هي في النعيم أو العذاب.

حقيقة..

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه،
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الجماعة.

أحكام الميت



مع انتشار العلم، وتطور الطب اليوم، أصبحت مظاهر وعلامات الموت التي تظهر على الميت فيتيقن بها الحاضرون عنده بموته، أصبحت هذه العلامات واضحة.

ولكن قد يموت الشخص بعيداً عن الطبيب والأجهزة الطبية، فكان لزاماً أن يعرف المرء علامات الموت ليعرف الميت من المغمى عليه..

فالموت له أحكام شرعية، ومسائل فقهية، تتعلق به، لذا كان من المهم معرفة كيفية حصول الموت وعلاماته إذا وقع، وكيفية التغسيل والتكفين..

- فما علامات الموت؟
- وكيف نُغسِّل الميت ونُكفِّنه؟
- وما كيفية الصلاة عليه ودفنه؟

❁ علامات الموت:

للموت علامات تظهر على الميت إذا خرجت روحه، منها:

- شُحُوص البصر، فكأن العين تنظر إلى شيء فوقها ذهب بعيداً.
 - انحراف الأنف عن اليمين أو الشمال.
 - ارتخاء الفك السفلي لارتخاء الأعضاء عموماً.
 - برودة الجسم عامة.
 - سُكون القلب ووقوف ضرباته.
- فهذه العلامات إذا ظهرت على الشخص، أو ظهر بعضها، دلّ على الموت، أو وقوعه.

✿ حمل الجنازة للقبر:

يُستحب الإسراع بتجهيز الجنازة وحملها إلى القبر، قال ﷺ:

« إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم. فإن كانت صالحة قالت: قدموني.. قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه لَصُعِقَ »^(١).

ويُسَنّ التعجيل بتجهيز الميت، والمصارعة بدفنه، كما قال ﷺ:

« أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم »^(٢).

(١) رواه البخاري، ومعنى صعق: أي أغمى عليه.

(٢) رواه مسلم.



❦ يتبع الميت ثلاثة:

الإنسان خلال حياته يهتم بأمور، منها جمع المال، وشراء الأثاث، واقتناء السيارات الحسنة، وامتلاك البيوت الفارهة، ويهتم بأهله وولده ونسائه، ويهتم أيضاً بعمله، سواء كان عملاً صالحاً أو سيئاً.

فإذا مات ابن آدم تبعه الثلاثة: ماله.. من سيارات وغيرها، وأهله.. من إخوان وأبناء، وعمله الصالح أو السيئ.. فإذا دُفن في التراب تولى عنه اثنان ودخل معه في قبره واحد!

نعم.. تولى عنه الأهل والأصحاب، والأموال والأحباب، وبقي معه عمله، يدخل معه في قبره، كما قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(١).

والميت بمجرد مفارقة روحه جسده ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية..

فما هي الحياة البرزخية؟ وما هي أحوال سكان القبور؟

هذا ما نعيش معه في الصفحات القادمة..

وقفة..

والله اعلم!!

نحن في دنيانا نهتم بمن يتولى عنا..

ونهمل من يدخل القبر معنا..!!

(١) رواه مسلم.

الحياة البرزخية

مدخل.....	٤٩
القبر.....	٥١
حال الإنسان في قبره.....	٥٣
بين الرُّوح والبدن.....	٥٨
أدلة عذاب القبر ونعيمه.....	٦٧
أحوال الناس في الحياة البرزخية.....	٧٤
أسباب عذاب القبر.....	٨٠
النجاة من عذاب القبر.....	٨٥
مخلوقات لا تَمُت.....	٩٢
سبع مسائل عن القبر.....	٩٦



هو الحدّ الفاصل بين شيئين، كما قال تعالى عن البحر الحلو والمالح: ﴿يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ٢٠). أي: بين الماء الحلو والماء المالح حاجز يفصل بينهما فلا يختلطان.

والحياة البرزخية هي الحياة الفاصلة بين الحياتين، الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهي ما بين موت الإنسان إلى البعث، سواء دُفن هذا الميت أو أُحرق أو غرق أو أكلته السباع، أو غير ذلك.

فكل من مات، فإنه يدخل في الحياة البرزخية ويبقى فيها إلى يوم يُبعثون، كما قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ (١١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠).

القبر

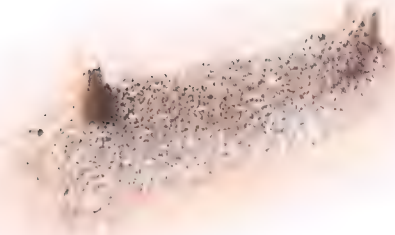
القبر هو بيت الإنسان وسكنه إلى قيام الساعة، وقد عرف الإنسان القبر ودفن الميت منذ أن قتل ابن آدم أخاه فدفنه.

الصالحون يتخذون من رؤية القبور عبرة وعِظة، تدمع عيونهم، وتخشع قلوبهم، لأنهم يعلمون أنهم ساكنوها يوماً من الأيام.

• فما هو القبر؟

• وما حال الإنسان فيه؟

• ولماذا أمرنا النبي ﷺ بزيارة القبور؟



قصة:

خرج عُمر بن عبد العزيز.. في جنازة بعض أهله.. فلما دَسَّه في التراب.. التفت إلى الناس فقال:

أيها الناس: إن القبر قد ناداني فقال: يا عمر بن عبد العزيز.. ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى. قال: خرَّقت الأكفان.. ومزَّقت الأبدان.. ومصَّضت الدم.. وأكلت اللحم.. ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت: بلى. قال: نزعَت الكفين من الذراعين.. والذراعين من العضدين.. والعضدين من الكتفين.. والوركين من الفخذين.. والفخذين من الركبتين.. والركبتين من الساقين.. والساقين من القدمين.

ثم بكى عمر وقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل.. وعزيزها ذليل.. وشبابها يَهْرَم.. وحيها يموت.. فالمرور من اغترَّبها..

أين سكانها الذين بنوا مدائنهم.. ما صنع التراب بأبدانهم؟ والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أَسِرَّةٍ مُمَهَّدَةٍ.. وَفُرْشٍ مَنْصُودَةٍ.. بين خَدَمٍ يَخْدِمُونَ.. وأهل يُكْرِمُونَ.. فإذا مررت فنادهم.. وانظر إلى تقارب قبورهم من منازلهم.. وَسَلِّ غَنِيَّهم ما بَقِيَ من غِنَاهُ؟ وَسَلِّ فَقِيرَهم ما بَقِيَ من فقره؟

سَلِّهم عن الأَلْسُنِ.. التي كانوا بها يتكلمون.. وعن الأَعْيُنِ التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون.. سَلِّهم عن الجلود الرقيقة.. والوجوه الحَسَنَةِ.. والأجساد الناعمة.. ما صنع بها الديدان؟ مَحَتِ الألوان.. وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانِ.. وَعُفِّرَتِ الوجوه.. وَمُحِتِ المحاسن.. وَكُسِرَتِ القفا.. وَأَبَانَتِ الأعضاء.. وَمُرِّقَتِ الأشلاء..

أين خدمهم وعبيدهم.. أين جَمَعَهُم ومَكْنُوزَهُم؟ والله ما زَوَّدُوهم فُرْشًا.. ولا وضعوا هناك مُتَكِنًا.. أليسوا في منازل الخُلُواتِ.. وتحت أطباق الثَّرَى في الفُلُواتِ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ قد حِيلَ بينهم وبين العمل.. وفارقوا الأحبة والأهل.. قد تزوجت نساؤهم.. وترددت في الطُرُقِ أبناؤهم.. وتوزَّعت القَرابات ديارهم وتُراثهم.. ومنهم والله المُوسِعُ له في قبره.. الغَضُّ الناضِر فيه.. المُتَنَعِّم بِلَدَّتِهِ..

ثم بكى وقال: يا ساكن القبر غدا.. ما الذي غَرَّكَ من الدنيا.. أين رفاق شبابك.. أين طِينِكَ.. أين بُخُورِكَ.. كيف أنت على خشونة الثَّرَى.. كَيْتِ شَعْرِي بأي خَدِيكِ يبدأ الدود البِلَى.. ليت شعري ما الذي يَلْقَانِي به مَلَكُ الموت عند خروجي من الدنيا.. وما يَأْتِينِي به من رسالته ربي..

ثم بكى بكاءً.. ثم انصرف.. فما بقي بعد ذلك إلا جُمُعَةٌ.. ومات.. رحمه الله..

عبرة..

القبر دلوك..

فاعمرها.. أو أهملها..

حال الإنسان في قبره

القبر دار يحصل فيها أحداث، أخبرنا النبي ﷺ بها، لنستعد لها.. وتختلف أحوال الناس في قبورهم بحسب اختلاف أحوالهم في الدنيا..

وقد فصل النبي ﷺ أحوال الميت، وخروج روحه، وشهود الملائكة، وكيف تُفتح أبواب السماء للمؤمنين، وتُغلق في وجوه غيرهم.

• فما الفرق بين المؤمن وغيره؟

• وما علاقة الروح بالجسد؟

❁ حال المؤمن:



قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة، فجلس رسول الله ﷺ على القبر، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحده.

فقال ﷺ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر.
قال ﷺ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال ﷺ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر..

ثم قال ﷺ: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة^(١)، حتى يجلسوا منه مد البصر^(٢)،

(١) المعنى: أي خرق يُلف بها، وطيب يُطيب به، كل هذا من الجنة.

(٢) المعنى: أنهم يجلسون بعيداً عنه ينتظرون خروج روحه.

ثم يَجِيء مَلَكُ المَوْتِ عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النُّفْس الطَّيِّبَةُ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تَسِيلُ، كما تسيل القطرة من في السَّقاء ^(١)، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

رحلة إلى السماء:



ثم قال عليه السلام: فيصعدون بها، فلا يمرون على مَآلٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الطيب؟ فيقولون: فُلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء

الدنيا، فيُسْتَفْتَحون له، فيُفْتَح لهم، فيُشَيِّعُه من كل سماء مُقَرَّبوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى.

فَتُعَاد روحه في جسده، فيأتيه مَلَكُا، فيُجَلِّسُا، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمُك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به، وصدَّقت.

فَيُنَادِي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.

(١) المعنى: أي تخرج روحه برفق وهدوء وسكينة وراحة، كما تخرج قطرة الماء من القِزْبَةِ بكل هدوء.

فِيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيِّبُهَا؛ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُكَ بِأَنْتَ يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، كُنْتَ وَاللَّهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

نعم، يقول له: أنا عملك الصالح، فما عمله الصالح؟

إِنَّهُ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ، إِنَّهُ بَرٌّ وَصِدْقَتُهُ، إِنَّهُ بَكَوْهُ وَخَشْيَتُهُ، إِنَّهُ حَجَّهِ وَغُمْرَتُهُ، إِنَّهُ قِرَاءَتُهُ لِلْقُرْآنِ، وَحُبُّهُ لِلرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قِيَامُهُ فِي الْأَسْحَارِ، وَصَوْمُهُ فِي النَّهَارِ، وَخَوْفُهُ مِنَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، إِنَّهُ بَرٌّ لَوَالِدَيْهِ، إِنَّهُ طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ، إِنَّهُ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنَّهُ جِهَادُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ هَذَا الْوَجْهَ الصُّبُوحَ يُبَشِّرُهُ، وَالتَّفَتُّ حَوْلَهُ فَرَأَى قَبْرَهُ قَدْ أَصْبَحَ وَاسِعًا، فِيهِ فُرْشٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَنَظَرَ إِلَى لِبَاسِهِ فَإِذَا هُوَ مِنَ الْجَنَّةِ، عَلِمَ أَنَّ هَذَا النِّعَمَ لَا يَسَاوِي شَيْئًا بِجَانِبِ مَا يَنْتَظَرُهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

❁ حال الكافر أو الفاسق:

ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ أَوْ الْفَاسِقَ، إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَاقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوَّدَ الْوُجُوهَ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ^(١)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ.

ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ الْمُسُوحُ: جَمْعُ مَسْحٍ، وَهُوَ لِبَاسٌ شَدِيدُ الْغِلَظِ وَالْخَشَوَةِ.

السَّفُود من الصُّوف المَبْلُول ^(١)، فيلعنه كل مَلَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعُوها في يده طَرْفَةً عين، حتى يجعلوها في تلك المَسُوح، ويخرج منها كَأَثْنِ رِيحٍ جَنيفَةٍ وَجَدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على مَالٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ ﷻ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سَجِّين، في الأرض السُّطلى، فتُطرح رُوحه طرْحًا، ثم قرأ ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢١].

فتُعاد رُوحه في جسده، ويأتيه مَلَكَان، فيُجلِسانه، فيقولان له: من رَبُّكَ؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري. فيقولان: لا دريت، ولا تَلَوْتَ.

فينادي منادٍ من السماء: أَنْ كَذَبَ، فافْرُشُوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حَرِّها، وَسَمُومِها، وَيُضَيِّقُ عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنْتِن الرِّيح، فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُوءُكَ، هذا يومك الذي كنت تُوعَد، كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً في معصية الله فجزاك الله شراً، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث..

نعم، يقول له أنا عمك الخبيث، فما عمله الخبيث؟

إنه وقوعه في الشُّرْك، إنه حلفه بغير الله، إنه طوافه على القبور، وشربه للخمور، بل، إنه وقوعه في الزنا، وأكله للربا، وسماعه للغناء، إنه تكبُّره

(١) المعنى: السفود هو الحديد التي يُشوى بها اللحم، وذلك أن اللحم يلتصق بها، فيكون بها زوائد تلتصق بما تمر به، فإذا لَفَّت عليها صوفاً مبلولاً، ثم جذبتها، قَطَّعت ذلك الصوف ومَرَّقته.

على الناصحين، وجراته على رب العالمين، عندها يتحسّر هذا العبد، وهل تُغني الحسرات، «ويشتد ندمه، وهل تنفعه العبرات، «أين كان هذا البكاء، وأنت تنظر إلى المحرّمات؟ وتواقع الفواحش والشهوات؟ كم نُصحت بحفظ فَرْجِكَ، وصيانة سمعك وبصرِكَ، فانكِ اليوم أو لا تبكِ، فلن تنجو من العذاب، ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

عندها يوقن هذا العبد، أن ما يلقاه بعد القبر أشد وأبقى.

قال ﷺ: «فيقول: رَبِّ لَا تُقِم الساعة، ثم يُقَيِّض له أعمى، أصم، أبكم، في يده مِرْزَبَةٌ^(١). لو ضُرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربةً، حتى يصير ترابًا، ثم يُعيد الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين^(٢)»^(٣).

فهذه أحوال الناس في قبورهم، إذا علمها المسلم استعد لها، وآمن بها، واشتاق أن يكون قبره روضة من الجنان، فأكثر من العمل الصالح..

دعاء..

اللهم اجعل قبورنا من رياض الجنان..
وأعزنا من خضر النيران..

(١) أي يجعل معه في قبره رجل لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، حتى لا يؤانسه ولا يُحادثه، وفي يد هذا الأعمى مرزبة: وهي المطرقة الكبيرة العظيمة.

(٢) أي يسمعه كل الخلائق، إلا الجن والإنس.

(٣) رواه أحمد في مسنده.

بين الروح والبدن

عذاب القبر ونعيمه حقٌّ لا مزية فيه، وهو واقع على كل الخلائق، من دُفِن منهم، ومن لم يُدَفَن..

- هل عذاب القبر على الروح أم على البدن؟
- وأين مُستَقَرُّ الأرواح؟
- وأين أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين؟

مداخل:

الروح لا يعرف حقيقتها وطبيعتها إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]..

وعذاب القبر ونعيمه يكون في الأصل على الروح سواء كانت متصلة بالبدن بعد دفنه، أو منفصلة عنه.. كما لو احترق الجسد أو تَقَطَّعَ.. فإن الروح تتنعم وتتعذب دون الحاجة لوجود البدن.. والروح تستشعر العذاب والنعيم..

أين مستقر الأرواح؟

مسألة



الجواب: أرواح الناس بعد الموت تختلف في مستقرها.. فمنها ما يكون في الجنة، ومنها ما يكون في النار، ومنها ما يكون في الأرض، ومنها ما يكون في أماكن أخرى.

✿ أرواح الأنبياء:

أرواح الأنبياء في حياة البرزخ في الرفيق الأعلى، وهو أعلى عليين كما رآهم النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج.. حيث رأى آدم في السماء الأولى، ورأى يَحْيَى وعيسى في السماء الثانية. ورأى يوسف في السماء الثالثة، ورأى إدريس في السماء الرابعة، ورأى هارون في السماء الخامسة، ورأى موسى في السماء السادسة، ورأى إبراهيم في السماء السابعة^(١).



(١) ثبت ذلك في الصحيحين.

❁ أرواح الشهداء:



أرواح الشهداء فهي في حياة البرزخ
فتكون في حواصل طير خضر..

فقد سُئل رسول الله ﷺ عن قوله
تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
[آل عمران: ١٦٩] فقال:

« أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل مُعلّقة بالعرش تسرح من
الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل ^(١). فاطلع إليهم ربُّهم اطلاعاً،
فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أى شيء نشتهي! ونحن نسرح من الجنة
حيث شئنا! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن
يُسألوا قالوا: يا رب نريد أن تُردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة
أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا ^(٢)»

تفصيل أحوال الشهداء:

جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ يكون في حياة البرزخ له جناحان
يطير بها مع الملائكة في الجنة.

وجعفر هو أخو علي بن أبي طالب.. أسلم هو وزوجته أسماء مُبكرين..
لم يتجاوز عمره الواحد والعشرين سنة.. وأصابه من الأذى والاضطهاد في
مكة.. ما لا يُحتمل.. فأذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة.. خرج جعفر
وزوجه إلى الحبشة.. إلى أرض الغرباء البُعداء.. خرج وهو الشريف في قومه..

(١) قناديل: جمع قنديل، وهو السراج.

(٢) رواه مسلم.

إلى أرض الغرباء البعداء.. إلى أرض لا يعرفها.. وقبائل لا يألفها.. ولغة لا يفهمها.. لبث في الحبشة ثلاث سنين.. ثم أُشيع عندهم أن قريشاً قد أسلموا.. فعاد بزوجه وولده.. فإذا قريش على كفرها.. فردَّهم النبي ﷺ إلى الحبشة.. عاد إلى الحبشة.. وأكمل فيها سبع سنوات..

فلما فتح النبي ﷺ خيبر أرسل إلى المسلمين في الحبشة ليقدّموا إلى المدينة.. فلما دخلوا المدينة.. فرح النبي ﷺ بقدم جعفر فرحاً شديداً.. وذكر أنه ﷺ لما رآه قبله بين عينيه والتزمه وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر: بفتح خير، أم بقدم جعفر»^(١)..

وكان جعفر شديد الشبه بالنبي ﷺ.. حتى كان يقول لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»^(٢)..

الخروج إلى مؤتة:

ما كاد جعفر يستقر في المدينة.. حتى بلغ النبي ﷺ أن الروم يجمعون الجيوش لغزو المسلمين..



فجهّز النبي ﷺ جيشاً لقتال الروم في مؤتة.. وأمر عليهم زيد بن حارثة.. وقال لهم: إن أصيب زيد فجعفر.. على الناس فإن أصيب جعفر.. فعبد الله بن رواحة..

فتجهّز الناس وهم ثلاثة آلاف مقاتل.. ثم ودّعهم رسول الله ﷺ..

(١) أورده ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ١٣٩). وذكره الحاكم في مستدركه، مناقب جعفر بن عبد المطلب (٣/ ٢٣٠).

(٢) رواه أحمد في المسند ورجاله ثقات، ومثل ذلك رواه ابن سعد في الطبقات.

وصل المسلمون إلى مؤتة.. فإذا الروم مائة ألف مقاتل.. فابتدأ القتال..
فأخذ الراية زيد فأصيب فُقتل.. ثم أخذها جعفر بيمينه.. وقاتل بها حتى إذا
اشتد القتال.. رمى بنفسه عن فرسه.. وهو يقول:

يا حَبَاذا الجنةُ واقترباها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عذابها
طَيِّبَةٌ وباردٌ شَرابُها
كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليّ إذا لاقيتها ضرابها



ولا زال يضربهم بسيفه.. والراية
بيمينه.. فضربه رومي على يمينه..
فقطعت.. فأخذ الراية بشماله
فقطعت.. فاحتضنها بعُضديه حتى
قُتل.. وهو ابن ثلاثين سنة..

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: رأيت جعفر صريعاً.. وفي جسده أكثر من تسعين
ضربة ما بين طعنة وضربة ورمية.. والله ما فيها واحدة في قفاه.. ثم أخذ الراية
عبد الله بن رواحة.. فأصيب فُقتل.. ثم أخذها خالد بن الوليد.. فانسحب بالجيش..

خبر الشهداء في المدينة:

هذا خبر المجاهدين في مؤتة.. أما خبر المدينة فيحكيه أنس رضي الله عنه فيقول:

خرج إلينا رسول الله ﷺ.. ثم رَقَى النبي ﷺ المنبر.. فقال: أَلَا أُبَيِّتُكُمْ بخبر
جيشكم هذا الغازي؟ قلنا: بلى.. قال: أخذ الراية زيد فأصيب فُقتل فاستغفروا
له.. قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.. قال: ثم أخذ الراية جعفر فأصيب فُقتل
فاستغفروا له.. قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.. قال: ثم أخذ الراية عبد الله
بن رواحة.. فأصيب فُقتل فاستغفروا له.. قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.. ثم
استغبر النبي ﷺ ونزل.. وبعدها.. ذهب إلى بيت جعفر..

قالت أسماء بنت عميس زوجة جعفر: كنت قد غسّلت أولادي.. ونظفتهم ودهنتهم.. وعجنت عجيني.. نتظر قدوم جعفر.. فاستأذن علينا رسول الله ﷺ ثم دخل.. فقال: ادعي لي بني أخي..

قالت: فأتيته بهم كأنهم أفرار.. فلما رأوا رسول الله ﷺ.. أقبلوا يتسابقون إليه.. يتعلقون به ويُقبلونه.. يظنون أنه أباهم جعفر.. فجعل رسول الله ﷺ يمسح رؤوسهم ويكي.. ويمسح رؤوسهم ويكي..

فقالت أسماء: يا رسول الله.. أبلغك عن جعفر شيء؟ فسكت.. قالت: يا رسول الله.. أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: قُتل جعفر.. قالت: يا رسول الله.. يُتم بنيه.. يُتم بنيه.. قال: العيلة تخافين عليهم..!! أنا وليُّهم في الدنيا والآخرة.. ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يقول: « على مثل جعفر فليتبك البواكي »^(١)..

ثم رجع الرسول ﷺ إلى أهله فقال: « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنهم أتاهم ما يشغلهم »^(٢)..

نعم.. قُتل جعفر.. وفارق أهله وماله.. لكنه دخل جنة عرضها السماوات والأرض.. قال ﷺ: « رأيت جعفر في الجنة.. له جناحان مُضْرَجَان بالدماء.. يطير بهما مع الملائكة »^(٣)..

وكذلك حمزة..

فقد رأى رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء في حياة البرزخ مُتَكِنًا على سرير.. قال ﷺ: « دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة.. وإذا حمزة مُتَكِنٌ على سرير »^(٤)..

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ج: ١ ص: ٢٤٣

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وهو صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرک، صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح.

ومن أرواح الشهداء في حياة البرزخ:

ما يكون في قُبَّة خضراء على باب الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكَرَةً وَعَشِيًّا»^(١).

❁ أما أرواح المؤمنين غير الشهداء:

فهي كما قال ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ^(٢) الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلِقُ^(٣) فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

فأرواح بعض المؤمنين تكون في حياة البرزخ طائراً يأكل من شجر الجنة..

هل تتلاقى أرواح المؤمنين في الجنة؟

مسألة



نعم، أرواح المؤمنين في حياة البرزخ تتزاور وتتلاقى، ويُحدِّث بعضها بعضاً، فقد قال ﷺ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ^(٥) فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك إلى رَوْحِ اللَّهِ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضَبَانٍ^(٦). فَتَخْرُجُ كَأَطِيبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لِيُنَاقِلَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فيقولون: مَا أَطِيبَ هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أرواح المؤمنين فلهم أشد

(١) رواه أحمد وابن جبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) نَسَمَةُ المؤمن: رُوحه.

(٣) يَغْلِقُ: يأكل.

(٤) رواه النسائي وابن ماجه، صحيح.

(٥) الحريرة البيضاء: أي قطعة من قماش الحرير الناعم الأبيض اللين.

(٦) هذا فيه الإشارة لها، أي اخرجي إلى لقاء الله تعالى بأيسر طريقة وأحسن سبيل.

فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسأله: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: أما آتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية^(١).

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطة عليك إلى عذاب الله عز وجل^(٢)، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح!! حتى يأتون به أرواح الكفار^(٣).

نعم تتلاقى أرواح أهل الخير.. ويعرف بعضهم بعضاً..

الشهداء:

قال ربنا عز وجل عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ ۚ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

فهذه الآيات فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما من الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسليّة وتضبير الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة.

(١) كان في غم الدنيا: يعني اتركوه قليلاً ليرتاح من هم الدنيا وغمها، ثم يجيب على ما تريدون، والمعنى: أن أرواح المؤمنين تسأل روح المؤمن التي قدمت من الدنيا، عن أصحاب لهم في الدنيا: ما فعلوا؟ ما أخبارهم؟ فيقول لهم: إن فلان مات قبلي.. أما آتاكم في الجنة؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية أي النار.

(٢) مسح هو مفرد مسوح، وهي أكفان من النار، فيلفونها في كفن من النار، ويقولون تعذيباً لها وزجراً اخرجي إلى عذاب الله.

(٣) رواه النسائي وصححه الألباني، والمعنى أن الكافر والفاقد تخرج روحه منيته، حتى إن الملائكة تقول: ما أنتن هذه الريح! أي ما أقبح هذه الرائحة وأسوأها! ولا ترتفع إلى أبواب السماء، بل تكون في أبواب الأرض السفلى لأن أبواب السماء لا تفتح لها.

فقلوه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: الذين قُتِلُوا في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله.

وقوله: ﴿أَمْوَاتًا﴾: أي: لا يخطر ببالك أنهم ماتوا وفُقدوا، وفاتتهم لذّة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، بل هم الآن أحياء عند ربهم في دار كرامته.

وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾: أي: في درجة عالية يتلذذون بأنواع النعيم.

وقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: مسرورين بذلك، قد قرّت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، لحسن النعيم وكثرته، وعظمته.

فلما تمّ لهم النعيم والسرور، وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: يُبشّر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الأحياء الذين لا يزالون في الدنيا ولم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، وهم عند ربهم لا خوف عليهم من انقطاع النعيم، ولا هم يحزنون على ذريّاتهم التي تركوها في الدنيا.

ثم ختم الله تعالى وصف حالهم بقوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

نسأل الله تعالى عيش السعداء وموت الشهداء.. والحشر مع الأتقياء ومرافقة الأنبياء..

نتيجة..

نعيم وعذاب القبر على الروح..
وقد يشاركها البدن.

(١) قاله الشيخ السُّعْدِي في تفسيره.

أدلة عذاب القبر ونعيمه

القبر أول منازل الآخرة.. وهو بيت الأُنس والسرور لمن أحسن عمله، واستعد للقاء ربه، وهو بيت الوحشة والظلمة لمن أساء عمله، وفَرَط في طاعة ربه.

قال ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينجُ منه، فما بعده أشد منه»^(١).

- فما الأدلة على ما يقع في القبور؟
- ومتى يبدأ السؤال في القبر؟
- وهل يعلم الموتى بزيارة الأحياء؟

مدخل:

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، هو من الإيمان بالغيب، وهو أيضاً من أصول الإيمان باليوم الآخر، وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة على إثبات ما يقع في القبور.

أدلة عذاب القبر ونعيمه:

- قال تعالى عن آل فرعون:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم (حسن).



فهم يُعرَضون على النار في قبورهم في الصباح والمساء، ثم يُردُّون إلى عذاب النار إذا قامت الساعة.

• وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

فالعذاب الأول للكافرين والمنافقين في الدنيا بالهَمِّ والغَمِّ، والعذاب الثاني في القبر، ثم يُردُّون إلى عذاب عظيم في النار بعد قيام الساعة ومجيء الآخرة.

• وقال ﷺ: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ... الحديث»^(١).

وفي هذا الحديث ذكر أن الكافر أو المنافق إذا سُئِل: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً ﷺ، فإنه يقول:

«لا أدري! كنت أقول ما يقول الناس! فيقال: لا دَرَيْتَ، ولا تَلَيْتَ، ويُضرب بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثَّقَلَيْنِ»^(٢).

• وقال ﷺ: «فلولا أن لا تدأفئوا لدَعَوَتِ اللهُ أن يُسمِعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»^(٣)»^(٤).

• وكان ﷺ يقول: «وأعوذ بك من عذاب القبر»^(٥).

• وقال ﷺ: «عذاب القبر حق»^(٦).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) المعنى: أن النبي ﷺ كان قد مكَّنه الله تعالى من سماع عذاب القبر، فهم أن يدعوا الله تعالى أن يُسمع أمته مثل ما يسمع هو من هذا العذاب ليكون لهم عبرة وعظة، لكنه خشي أن يقع في قلوب الناس من الفزع والخوف ما يجعلهم لا يدفن بعضهم بعضاً بعد الموت.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.



❁ لمن يكون نعيم القبر؟

يكون للمؤمنين.. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تُوَفَّوهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه... الحديث».

وفيه أنه يسأله مَلَكٌ فيقولان له: «ما كنت تقول في هذا الرجل؟ محمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة»^(١).

وبين النبي ﷺ أن المؤمن يجيب على الأسئلة: «فإنادي منادٍ من السماء أن: قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، وألبسوه من الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِها وطيبها، ويُفتح له فيها مَدَ بصره»^(٢).

❁ على من يكون عذاب القبر؟



عذاب القبر توَعَدَ الله تعالى به من عصي وطنغى، وهو في الأصل يكون على الكافرين، ويُصيب أيضاً العُصاة من المؤمنين بسبب ذنوبهم.

(١) متفق عليه. والمعنى: لو كنت عصيت فهذا المقعد من النار كان مُعداً لك، وقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة.

(٢) رواه أبو داود، صحيح. والمعنى أن الملائكة تُؤمر فيضعوا في القبر فُرْشاً من الجنة، ويلبسوه لباساً من الجنة، ويفتحوا له باباً إلى الجنة، تكريماً له وتنعيمًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مرَّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: «إنهما ليُعَذَّبان، وما يعذبان من كبير. ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسْعَى بالنُّمَيْمَةِ، وأما أحدهما فكان لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، ثم أخذ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بَاثْنَتَيْنِ ثم غَرَزَ كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيَبَسَا»^(١).

هل من المنجيات وضع جريد النخل على القبر؟



الجواب: لا، وأما فغل النبي ﷺ ذلك فخاصٌّ به؛ لقوله ﷺ: فأحببت بشفاعتي أن يُرَفَّهَ عنهما.

مسألة



ثم إن لو أن أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ وضع جريدة على قبر فكأنه يُزَكِّي نفسه، فمن هو حتى يُخَفَّفَ الله العذاب بسببه؟ وكذلك قد وضع النبي ﷺ الجريد بعدما عَلم بعذابهما، فمن أدراك أن صاحب القبر مُعَذَّب؟

متى يبدأ سؤال الميت في قبره؟

الجواب: إذا دُفِنَ الميت وُفِّرَ من دفنه فإنه تعود روحه إلى جسده ويُسأل: كما قال عثمان رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ إذا فَرَّغَ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وَسَلُّوا له التَّثْبِيتَ فإنه الآن يُسأل»^(٢).

مسألة



(١) الحديث متفق عليه. والمعنى: أنه ﷺ سمع عذابهما فأخذ عُودًا رَطْبًا وفي رواية: أخذ جريدة نخل وشَقَّها نصفين، وغرس فوق كل قبر عُودًا منها، رحمةً بهما وإحسانًا إليهما.
(٢) رواه أبو داود والحاكم، صحيح.

هل يسمع الناس عذاب القبر؟



مسألة



الجواب: عذاب القبر لا يمكن أن يسمعه الثَّقَلَان - الجن والإنس - كما قال ﷺ عن الكافر: «فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(١).

لكن البهائم تسمع عذاب القبر؛ فقد دخلت على عائشة عجوزان من عجائز اليهود في المدينة، فتحدثتا عندها عن عذاب القبر، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، سألته عائشة عن عذاب أهل القبور، فقال ﷺ: «صَدَقْتَا، إِنَّهُنَّ يُعَذِّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبِهَائِمُ»^(٢).

هل الميت يسمع الأحياء؟

مسألة



الجواب: هذا فيه خلاف بين أهل العلم، والأقرب أن الموتى لا يسمعون الأحياء لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

لكنه يسمع قرع نعالهم إذا دفنوه.. كما قال ﷺ عن الميت إذا وُضع في قبره وتَوَلَّى الناس عنه: «إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ»^(٣).

(١) رواه أحمد، صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

هل يُعَذَّب الميت ببكاء أهله عليه؟

مسألة



الجواب: نعم، قال ﷺ: « الميت يُعَذَّب في قبره بما نِيح عليه »^(١)، وفي رواية « إن الميت لَيُعَذَّب ببكاء أهله عليه »^(٢).

الأصل أن الميت يُحاسب، وينفَعُ أو يُعَذَّب بأعماله، فكيف ذكر في هذا الحديث أنه يُعَذَّب بسبب عمل غيره؟

إشكال



الجواب: أن أهل الجاهلية كان أحدهم يُوصي أهله قبل موته بالنياحة عليه وشقّ الجيوب.. ليظهر عند الناس أنه محبوب مرغوب في بقائه..

كما قال أحدهم مُوصياً امرأته:

إذا مِتْ فَأَبْكِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الْجُيُبَ يَا ابْنَةَ مَعْبُدٍ^(٣)

وقال آخر:

إذا مِتْ فَأَبْكِينِي بِشَيْئَيْنِ لَا يَظُنُّ كَذِبَتْ وَشَرُّ الْبَاكِيَاتِ كَذُوبُهَا^(٤)

فإذا فعل المسلم ما يفعله أهل الجاهلية كان فعله معصية يستحق العقاب عليها.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) نقله في مشكاة المصابيح ٩٦٦/٥.

(٤) نقله في الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ٣١ / ١.

وقيل معنى الحديث:

إن الميت يُعَذَّب إذا عَلِم أن أهله من عاداتهم النياحة على الموتى وشقّ الجيوب، وربما رآهم يفعلون ذلك على موتاهم، وقد علم أنه إذا مات سيفعلون ذلك، ومع ذلك لم ينههم قبل موته، مع قدرته على نهيمهم وتذكُّره لذلك، فإنه يُعَذَّب.

وقيل معنى «إن الميت يُعَذَّب»: أي: إن الميت يتألم لذلك ويتأثر به.

نسأل الله تعالى أن يشملنا برحمته ورضوانه.. آمين.

عقيدة..

عذاب القبر ونعيمه من الأمور
الغيبية التي يجب الإيمان بها
وإن لم تُدرَكها الحواس الخمس.

أحوال الناس في الحياة البرزخية

الحياة البرزخية هي الفترة الفاصلة ما بين موت الإنسان وبعثه، سواء دُفِن أو لم يُدْفَن، فهي تقع لكل من مات من الإنس والجن.

وتتنوع أحوال الناس فيها بحسب أعمالهم في الدنيا، وقد أخبرنا النبي ﷺ، ببعض هذه الأحوال.

- فما أحوال الناس في القبور؟
- وما أنواع النعيم والعذاب؟
- وهل رأى النبي ﷺ شيئاً من ذلك؟

مداخل:

النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وَحْيٌ يُوحَى، وقد حَدَّثَنَا بما أوحى الله تعالى إليه من أخبار البرزخ، بل بما رآه ﷺ بنفسه، ومن ذلك أعمال أصحابها يُعَذَّبُونَ.

رحمة ربنا تعالى تسبق غضبه، وهو غفور رحيم جَوَادٌ.. لكن ربنا الجبار إذا غضب.. لم يدفع غضبه إلا هو ﷻ.. وقد أخبرنا النبي ﷺ ببعض ما رأى من أنواع العذاب.. تحذيراً لنا وتذكيراً.. وهي رؤيا منام.. لكن ما يراه الأنبياء في منامهم هو نوع من الوحي الحق الصادق..

قال سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ فيما يقول: هل رأى أحد من رؤيا؟ فَيَقْصُ عليه من شاء الله أن يقص. وأنه قال لنا ذات غداة:

« إنه أتاني الليلة آتيان^(١)، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق. واني انطلقت معهم. حتى أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ بها رأسه، فتدفعه الصخرة ها هنا، فيقوم إلى الحجر فيأخذه فما يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى^(٢). قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق، انطلق.



صورة توضيحية لتشكل الكلوب

فانطلقت معهما. فأتينا على رجل مُسْتَلَق لِقَفَاهُ وإذا آخر عليه بكُلُوبٍ من حديد. فإذا هو يأتي أحد شِقِّي وجهه فيُشْرِشِرْ شِدْقَهُ إلى قفاه، ومنْخَرَهُ إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح الجانب الأول كما كان، ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى^(٣) قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قالا: انطلق، انطلق.

(١) يعني: جاءه مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

(٢) المعنى: أنه رأى رجلاً مضطجعاً على الأرض، ورأى رجلاً آخر بيده صخرة يضرب بها رأس هذا المضطجع بكل قوة، فيثلغ رأسه، فيدهسه الحجر أي يتدحرج الحجر، فيذهب هذا الضارب يأتي بالحجر، فإذا عاد إلى المضطجع فإذا رأس المضروب قد التأم وعاد كما كان، فيضربه أخرى، فيثلغ رأسه، ثم يتدحرج الحجر.. ولا يزال الحال هكذا بهذه الصورة من العذاب.

(٣) المعنى: أنه رأى رجلاً مضطجعاً على الأرض، ورجلاً آخر بيده كلوب وهو عصا من حديد معقوفة الرأس، فيدخل رأس العصا في فم الرجل المضطجع، ثم يشرش فمه أي يشق فمه إلى أن يصل إلى قفاه أي إلى الجهة الخلفية من رأسه، ثم يفعل بمنخره من أنفه مثل ذلك، ويفعل بعينه مثل ذلك، ثم إذا انتهى من هذا الجانب من وجهه، انتقل إلى الجانب الآخر من وجهه ففعل بفمه ومنخره وعينه كما فعل في الجانب الأول، فإذا انتهى منه، عاد الجانب الأول كما كان، ففعل به كما فعل المرة الأولى، ثم عاد للجانب الثاني، ففعل به ذلك، ثم رجع للأول.. وهكذا..



شكل التَّنُّور في الدنيا، ولا يعني
أنه المقصود في الحديث

فانطلقت معهما، فأتينا على مثل بناء التَّنُّور،
فإذا فيه لَغَطٌ وأصوات، فَاطَّلَعْنَا فإذا فيه، رجالٌ
ونسَاءٌ عُرَاةٌ، وإذا بَنَهْرٌ لَهيبٌ من أسفل منهم،
فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ تَضَوُّضُوا^(١) قلت: ما
هؤلاء؟ قالوا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا على نَهْرٍ أحمر مثل الدم وإذا في النَّهْرِ رجلٌ يسبح، وإذا عند شَطِّ
النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح،
ثم يأتي ذلك الرجل الذي جمع الحجارة، فيفغر له فاهُ فيُلْقِمُهُ حَجَرًا^(٢)
قلت: ما هؤلاء؟ قالوا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رجل كَرِيه المَرَاة، كأكره ما أنت راء رجلًا مَرَاة، فإذا
هو عند نارٍ يَحْشُهَا ويسعى حولها^(٣) قلت لهما: ما هذا؟ قالوا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رَوْضَةٍ فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظَهْرَي
الروضة رجلٌ قائمٌ طويلٌ لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء، وأرى حول
الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قَطُّ وأَحْسَنَهُ^(٤) قلت لهما: ما هؤلاء؟ قالوا
لي: انطلق، انطلق..

(١) المعنى: أنه ﷺ أثناء سيره مع المَلَكَيْنِ أتى على بناء مثل التَّنُّور، والتَّنُّور هو ما يخبز فيه الخبز خُبْزَه، وهو
بناء من حجارة مثل البُرْمِيل يكون أسفله واسع وأعله ضَيِّقٌ، وفي داخل هذا البناء رجال ونساء عُرَاة،
ولهم أصوات وصراخ، ومن أسفلهم نار لها لهب، فإذا أصابهم اللهب ضوضوا أي صاحوا، فإذا سكن عنهم
اللهب سقطوا في التَّنُّور، فيأتيهم اللهب مرة أخرى، فيضوضون.. وهكذا حالهم..

(٢) المعنى: أنه رأى نَهْرًا أحمر مثل الدم وفيه رجل يسبح، وعلى شاطئ النهر رجل آخر أمامه حجارة، فيأتي ذلك
السابح عند هذا الجالس على الشط فيفغر فاه أي يفتح فمه باتساع، فيلقي ذلك الجالس في فم هذا السابح حَجَرًا،
فيمضي سابحًا في هذا النهر الأحمر، ثم يعود إلى هذا الجالس مرة أخرى فيفتح فمه فيلقمه حَجَرًا.. وهكذا..

(٣) المعنى: أنه ﷺ رأى رجلًا قبيحًا جدًا كَرِيه المَرَاة أي كَرِيه المنظر، وإذا عنده نار يحشها أي يشعلها
ويجمع الحطب فيها، ويسعى حولها، وهو على هذا الحال لا يتوقف..

(٤) المعنى: أنه ﷺ أتى على روضة أي بستان كبير مليء بالأشجار والنبات من كل الأنواع النابتة في
الربيع، وإذا في داخل هذه الروضة رجل طويل جدًا قائم، وحوله صبيان صغار، فيهم من الحسن
والجمال الشيء الكثير..

فانطلقنا، وأتينا دَوْحَةً عَظِيمَةً لَمْ أَرْ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ! ^(١)
 قَالَا لِي: ازُقْ فِيهَا، فَارْتَقِينَا فِيهَا، فانتَهِينَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَةٍ بِلَهْنٍ ذَهَبٍ وَلَهْنٍ
 فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِّحَ لَنَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رَجَالٌ شَطْرُ
 مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنَ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرُ كَأَقْبَحَ مَا أَنْتَ رَاءٍ! قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا
 فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ! فَإِذَا نَهْرٌ مُخْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ!
 فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا، وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوْءُ عَنْهُمْ، وَصَارُوا فِي أَحْسَنَ
 صُورَةٍ! ^(٢)

قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَسَمَا بِصُرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ
 مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيضاءِ، قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتَ لِهَمَّا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا،
 ذَرَانِي أَدْخُلْهُ، قَالَا لِي: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ ^(٣)، قُلْتَ: فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ
 عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتَ؟ قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ:

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُثَلِّغُ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ
 القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة. ^(٤)

(١) الدوحة: الشجرة العظيمة الطويلة.

(٢) المعنى: لما ارتقى ﷺ الشجرة وصل إلى مدينة غاية في الجمال والحسن، مبنية بالذهب والفضة، فلما
 استفتحوا باب المدينة ففتح لهم، تلقاهم رجال، نصف جسد أحدهم جميل حسن جدًا، والنصف الثاني
 من الجسد قبيح جدًا، وأمامهم نهر أبيض شديد البياض، فقال الملكان لهؤلاء الناس اذهبوا فانغمسوا
 في ذلك النهر، فذهبوا وانغمسوا في النهر، ثم رجعوا إلى الملكين، وقد ذهب عنهم القبح، وصاروا في غاية
 الجمال.

(٣) المعنى: أن هذه المدينة التي رأيت بهذا الجمال والحسن هي جنة عدن، فسما بصره ﷺ صعدًا أي نظر
 للأعلى، فإذا مثل الربابة البيضاء أي السحابة البيضاء المنفردة عن غيرها في السماء، وإذا هذا هو
 قصره ﷺ المعد له ليسكنه بعد وفاته ودخوله الجنة ﷺ، فلما رأى النبي ﷺ قصره أراد أن يدخله، فأخبره
 الملكان أنه سيدخله يقينًا، لكن ليس الآن، بل بعد وفاته ﷺ.

(٤) المعنى: أن هذا الرجل الذي يُعَذَّبُ، سبب عقوبته أنه كان يُعْطَى له القرآن فيرفضه، يعني يرفض العمل
 به واتباع أحكامه وأوامره، أو يرفض تلاوته تكبرًا وإعراضًا، أو يرفض اتباعه لعدم اقتناعه به ولا إيمانه
 به، وكذلك هو ينام عن أداء الصلاة في وقتها، إما صلاة الفجر أو غيرها من الصلوات، فمعاقبته أن هذا
 الرأس الذي ثقل عن الصلاة ولم ينشط للاستيقاظ لها، وفُضِّلَ النوم عليها، وكذلك تكبر عن القرآن
 والعمل به، فهذا يُضْرَبُ رأسه المليء بالإغراض والكبر.

وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرُّشِرُ شِدْقَهُ إلى قفاه، وعينه إلى قفاه،
وَمِنْخَرُهُ إلى قفاه، فإنه الرجل يَخْدُو من بيته فيكذب الكذبة فتَبْلُغُ الأفاق. ^(١)

وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التَّنُور، فإنهم الزُّناة
والزواني. ^(٢)

وأما الرجل الذي في النَّهْر، فَيَلْتَقِمُ الحجارة، فإنه آكل الرِّبَا. ^(٣)

وأما الرجل الكريه المَرَاة الذي عند النار يَحْشُهَا فإنه مَالِكٌ خَازِنٌ جهنم. ^(٤)

وأما الرجل الطويل الذي في الرَّوْضَةِ، فإنه إبراهيم عليه السلام.

وأما الولدان الذين حولَه، فكل مولود وُلِدَ على الفِطْرة.

فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال ﷺ:
وأولاد المشركين. ^(٥)

(١) المعنى: أن هذا الرجل الذي يُشَقُّ طرف فمه ومنخر أنفه وعينه، هو الذي يكذب الكذبة ويخترع الخبر،
فِيحْدِثُ به الناس، أو يُنْشِرُ ذلك من خلال وسائل الإعلام الحديثة مثل الفضائيات والإنترنت والصحف
والهواتف المحمولة.. وغيرها، فلا يمر وقت يسير حتى تكون كذبه قد بلغت الأفاق أي انتشرت في كل
أُفُقٍ من الدنيا، وهو في ادعائه قد يقول إثباتاً لقوله قال لي فلان كذا أو رأيت كذا أو شممت كذا..
ويستعمل حواسه لإثبات الخبر الكاذب الذي اخترعه، عندها يُعَذَّبُ بِشَقِّ فمه وأنفه وعينه.

(٢) المعنى: أن الزناة والزواني يوم القيامة، كما حبسوا أنفسهم في الدنيا في شهواتهم المحرمة، يُحبسون يوم
القيامة في هذا البناء الذي مثل التَّنُور، وهم عراة، إذ لم يحفظوا عوراتهم في الدنيا عن نظر الناس إليها،
بل كشفوا عوراتهم عند من لا يَحِلُّ له رؤيتها، كذلك في عذابهم يُحبسون عراة، يُعَذَّبُونَ، ولا ينظر
بعضهم إلى بعض استمتاعاً بسبب شدة اللهب والنار والعذاب، وكذلك تهب النار يأتهم من أسفل
منهم لأن جنائتهم وذنبهم من أعضائهم السفلية.

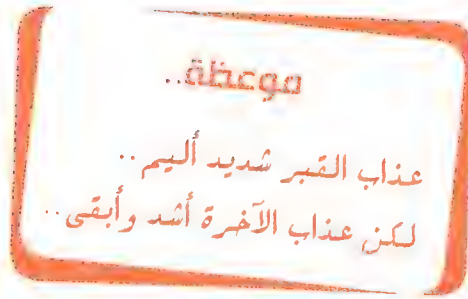
(٣) المعنى: أن الرجل السابح في نهر مثل الدم، كان يأكل الرِّبَا في الدنيا، ووجه التوافق بين لون النهر
والرِّبَا، أن حب المال لما جرى في دمه إلى درجة أنه لا يهتم بحلال المال ولا حرامه، كذلك يسبح في مثل
الدم يوم القيامة، وكذلك يوضع في فمه الحجر إشارة إلى أن الرِّبَا لا ينفع ولا يزيد المال، بل يَمْحَقُ
المال، وَيُزِيلُ بَرَكَتَهُ، كذلك الحصى والحجارة لا تنفع الإنسان ولا تسد جوعه لو أكلها.

(٤) المعنى أنه ﷺ رأى مَالِكاً خَازِنَ النار، وهو حول نار يجمع الحطب فيها ويُسْجَلُها، وقد جعله الله تعالى
كريه المنظر زيادة في عذاب أهل النار.

(٥) المعنى: أن أبناء المسلمين الذين يموتون دون سن البلوغ، أي أقل من خمسة عشر عاماً، يدخلون الجنة،
ويكونون تحت كفالة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والمقصود بالفطرة هي عقيدة التوحيد

وأما القوم الذين شَطَرُ منهم حَسَنٌ، وشَطَرُ منهم قَبِيحٌ، فهم قوم خَلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ ^(١) «(٢)».

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَشْمَلَنَا بِرَحْمَتِهِ.. آمِينَ.



وعباد الله وحده لا شريك له، وقد سأل الصحابة النبي ﷺ عن أولاد المشركين الذين يموتون أطفالاً،
ما حالهم؟ فأخبر ﷺ أنهم أيضاً في كفالة إبراهيم في الجنة.

(١) المعنى: أن الله تعالى تغلب رحمته عقوبته، ويغفر لأقوام عندهم سيئات كثيرة وحسنات، فهي سيئات
استحقوا بها العذاب بالنار، وحسنات استحقوا بها الجنة، فجمعوا ما بين جمال الحسنات، وقُبْح السيئات،
فيغفر الله تعالى لهم.

(٢) رواه البخاري، وابن جَبَّان، والرواية من مجموع روايتيهما.

أسباب عذاب القبر

عذاب القبر ونعيمه له أسباب، وقد فَصَّلَ الله تعالى لنا الحلال والحرام، وَبَيَّنَّ أسباب الهدى والضلال، ولا يظلم ربك أحداً.

- فما أسباب عذاب القبر؟
- وما أسباب نعيمه؟
- وكيف يستعد الإنسان لذلك؟

مداخل:

من تأمل في نصوص الشريعة، وجد عدداً من الأعمال، جاء عليها الوعيد، بعذاب القبر ونعيمه، وذلك ليكون الإنسان حذراً مُتَّقِظاً.

ومن ذلك:

الشُّرْكُ وَالْكُفْرُ:

والشرك هو أعظم الذنوب، وهو أن يَصْرِفَ العبد شيئاً من العبادة لغير الله تعالى، من دعاء، أو صلاة، أو ذبح، أو استغاثة واستعانة.

قال ﷺ في أثناء كلامه عن عقوبة الكافر في القبر:



« ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكُمْ مَعَهُ مِرْزَبَةً مِنْ حَدِيدٍ ^(١) لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تَرَابًا، فَيُضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ^(٢)، فَيَصِيرُ تَرَابًا، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ ^(٣) ».



صورة توضيحية، لشكل المِرْزَبَةِ
ولا يعني أنها المقصودة في الحديث.

وقد جاء وصف هذه المِطْرَقَةِ الحديدية في حديث آخر، حيث قال ﷺ: « لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْخَافِقِينَ لَمْ يُقْلَوْهَا ^(٤)، يَشْتَعَلُ مِنْهَا قَبْرُهُ نَارًا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ^(٥) ».

ومن الأسباب:

❁ عدم التنزه من البول:



أي عدم العناية بالنظافة من أثر البول بعد التبول، فيبقى أثره في الملابس.

قال ﷺ: « عَامَّةُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ ^(٦) ».

فينبغي على المسلم أن يحرص على إزالة النجاسات من بدنه وثوبه ومكان صلاته.

ومن الأسباب:

(١) يقيض له: أي يجعل معه في قبره مُلَازِمًا له، والمِرْزَبَةُ هي: المطرقة العظيمة.

(٢) الثقلان هما الجن والإنس.

(٣) رواه أبو داود، صحيح.

(٤) ما بين الخافقين: أي المشرق والمغرب، ومعنى يقلوها: أي يحملوها.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وفي إسناده الحديث مقال.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک.

❁ النَمِيمَةُ:

النميمة هي نقل الكلام بين الناس على سبيل إحداث الخصومات والمشاكل، والإفساد بينهم.

قال ابن عباس:

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»^(١)؛ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ^(٢) مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ^(٣)، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبِئَا»^(٤).

فالغيبية لها عذاب في البرزخ.. فقد قال رسول الله ﷺ:

«لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ»^(٥)، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٦).

ومن الأسباب:

(١) المعنى: هذان المدفونان يُعَذَّبَانِ فِي قَبْرِيهِمَا.

(٢) لا يجعل سترًا بينه وبين بوله فيصيب ثوبه وبدنه ولا يعبا به.

(٣) الجريدة: هي الغُضن من النخلة، شَقَّهَا نِصْفَيْنِ.

مسألة: فهل من المنجيات وضع جريد النخل على القبر؟

لا، وأما فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ فَخَاصٌّ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ: «فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمَا» ثُمَّ إِنْ مِنْ وَضَعِ جَرِيدَةٍ عَلَى قَبْرِ فَكَأَنَّهُ يُرَكِّي نَفْسَهُ، فَمَنْ هُوَ حَتَّى يُخَفَّفَ اللَّهُ الْعَذَابَ بِسَبَبِهِ؟ وَكَذَلِكَ قَدْ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَرِيدَ بَعْدَمَا عَلِمَ بِعَذَابِهِمَا، فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ صَاحِبَ الْقَبْرِ مُعَذَّبٌ؟

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) أي لَمَّا عُرِجَ بِهِ وَضُعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ رَأَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى يَخْمُشُونَ: أَيِ يَمْرُونَ أَظْفَارَهُمْ الْحَادَةَ عَلَى وَجُوهِهِمْ وَصُدُورِهِمْ فَيَجْرَحُونَهَا وَيَشَقُّونَهَا.

(٦) رواه أبو داود، صحيح.

✽ الغُلُولُ:

وهو السرقة من الغنيمة التي يغنمها المجاهدون في القتال، فيُسرَق منها قبل أن تُقسَم بينهم، وقد جاء فيه الوعيد فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والغلول من أسباب عذاب القبر، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «افتتحنا خيبر^(١) ولم نغنم ذهباً ولا فضةً إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط^(٢)»، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القُرى ومعه عبدٌ له يُقال له مدعمٌ أهده له أحد بني الضباب. فبينما هو يحطّ رخل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد^(٣)، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: بل والذي نفسي بيده إن الشملة^(٤) التي أصابها يوم خيبر من المفانم لم تُصِبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً. فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين^(٥)، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار^(٦).

ومن الأسباب:

✽ الفِطْرِ في رمضان عمداً بلا عذر:



صوم رمضان واجب من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس، ولا يجوز أن يفطر من يجب عليه الصيام قبل أن تغرب الشمس، وإلا استحق الإثم والعقوبة.

(١) فتح مدينة خيبر كان في السنة السابعة من الهجرة.

(٢) الحوائط: جمع حائط وهو البستان.

(٣) سهم عائر: أي سهم غَرَبَ، لا يدرون من رماه.

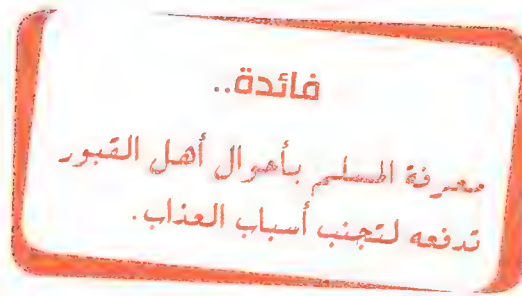
(٤) الشملة: رداء يلبس على الكتفين فيغطيها، وينسدل على الظهر.

(٥) شراك: أي نغل، وهو الجذء.

(٦) متفق عليه.

لقول النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بَضْبَعَيَّ^(١)، فَأَتَيَا بِي جِبَلًا، فَقَالَا لِي: اصْعِدْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَطِيقُ، فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ^(٢)، فَصَعِدْتُ، حَتَّى كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ^(٣)، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: هَذَا هُوَ عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيْبِهِمْ^(٤)، مُشَقَّقَةً أَشْدَاقَهُمْ. تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا^(٥)، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءُ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ^(٦)»^(٧).

فهذه بعض الصور التي ثبتت في النصوص الشرعية، تشرح شيئاً مما يكون في الحياة البرزخية.



- (١) قوله « فَأَخَذَا بَضْبَعَيَّ » بَضْبَعَيَّ مثنى ضَبْعٍ: وهو وسط العَضْد، وهو ما بين الكَتِف والمِرْفَق، ويُهْمَسُ الْإِنْسَانُ مِنْهُ عِنْدَ اجْتِنَابِهِ عَادَةً.
- (٢) أي سنسهل لك صعود هذا الجبل الوعر.
- (٣) أي لما وصل إلى وسط الجبل، سمع صياحا وأصواتا.
- (٤) العراقيب: جمع عُرْقُوب، وهو عَصَبٌ غَلِيظٌ فوق عَقَبِ الْقَدَمِ مِنَ الْخَلْفِ.
- (٥) مشققة أشداقهم: الشَّدَق هو طرف الفم، فهي مشققة تسيل بالدماء.
- (٦) أي يفطرون قبل غروب الشمس.
- (٧) أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير وابن خزيمة في الصحيح، صحيح.

النجاة من عذاب القبر

المسلم مأمور بأن يفعل الواجبات، ويترك المنهيات، طاعةً وقربةً إلى رب العالمين ﷺ.

وقد أخبرنا النبي ﷺ بأعمال تُنجي من عذاب القبر.

- فما هذه الأعمال؟
- ولماذا قُدمت على غيرها؟
- وما فضلها؟

مداخل:

الأعمال الصالحة عمومًا تنفع العبد وترفعه في الدنيا والآخرة، والأعمال الصالحة تتفاوت، فبعضها أفضل من بعض، وقد نصَّ النبي ﷺ على أعمال مُنجية، منها:

الصلاة:

وهي أعظم العبادات، ومن حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَّع، فهي تُنجي المحافظ عليها من عذاب القبر.



❁ والزكاة:



وهي من أركان الإسلام، ومبانيه العظام،
وهي حق الله تعالى في المال، تُخرج في مصارفها
الثمانية.

❁ والصوم:



وهو من أركان الإسلام أيضًا، وأعظمه
الصوم الواجب وهو رمضان، ثم صوم النوافل
كيومي الاثنين والخميس، وعاشوراء وعرفة،
وغيرها من الأيام الفاضلة.

❁ وفعل الخيرات:

وهي لفظ عام يشمل كل عمل صالح، كالعبادات، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس.. وغيرها..

❁ والصدقة والصلة:



الصدقة لفظ عام يشمل الصدقة بالمال،
والثياب، والمتاع،

والصلة منها صلة الرَّحِم، وأعظمه صلة
رحم الوالدين، وبرَّهما، والرفق بهما..

❁ والمعروف:

المعروف لفظ عام أيضاً، يشمل كل عمل أمر الله تعالى به، فالابتسامة معروف، والنصيحة معروف، والصدقة معروف.. وغيرها..

❁ والإحسان إلى الناس:

وهو لفظ عام أيضاً، يشمل الإهداء إلى الناس، وحُسن الخُلُق معهم، وغيرها..

وقد جمع النبي ﷺ هذه الفضائل في حديث واحد، فقال: «والذي نفسي بيده، إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولُّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجله، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ليس قبلي مدخل^(١)، فيؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ليس من قبلي مدخل، ثم يؤتى عن شماله، فيقول الصوم: ليس من قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجله، فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس: ليس من قبلي مدخل...»^(٢).

وقال ﷺ: «إذا دخل الإنسان قبره: فإن كان مؤمناً أَحَفَّ به عمله الصلاة والصيام^(٣)، قال: فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردُّه ومن نحو الصيام فيرده...»^(٤)

(١) ليس من قبلي مدخل: أي لا يمكن أن يأتي العذاب من جهتي، بل أنا أمنعه.

(٢) رواه الطبراني وابن جبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، حسن.

(٣) أَحَفَّ به: أي صار حوله.

(٤) رواه أحمد والطبراني، صحيح.

❁ الاستعاذة بالله من عذاب القبر:



الدعاء واللجوء إلى الله تعالى
نافع للعبد، مَنْجٍ له من العذاب..
ومن ذلك سؤال الله تعالى النجاة من
عذاب القبر.

وقد كان النبي ﷺ يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العَجْز والكَسَل والجُبْن
والبُخْل والهَرَم وعذاب القبر »^(١).

وقال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « كان النبي ﷺ يُعَلِّمنا هؤلاء الكلمات كما
تُعَلِّمُ الكتابَة: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك
من أن تُرَدَّ إلى أرذلِ العُمُر^(٢)، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر »^(٣).

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: « كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يدعو بهؤلاء الكلمات:
اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر،
وشر فتنة المسيح الدجال، وشر فتنة الفقر، وشر فتنة الغنى »^(٤).

وكذلك شُرِعَ لنا عند الصلاة على الميت أن ندعو له بأن يُنْجِيَهُ اللهُ تعالى
من فتنة القبر.. ففي حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ لما صلى
على جنازة يقول في دعائه:

« اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نُزْلَه، ووَسَّعْ مُدْخَلَه،
واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض

(١) رواه مسلم.

(٢) أرذل العمر: هو الشيخوخة الشديدة التي يضعف فيها المرء ويصبح عالة على غيره.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه النسائي وابن ماجه وغيرهم، صحيح.

من الدَّنَس، وأَبْدَلَهُ دارًا خَيْرًا مِنْ دارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَعَدَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»^(١).

❖ الناجون من عذاب القبر:

أخبر النبي ﷺ بأعمال تُنْجِي من عذاب القبر، كذلك جاء في النصوص الشرعية بيان أن بعض الناس يَقِيهِمُ اللهُ تعالى عذاب القبر، ومن ذلك:

١ - الشهيد:



وهو مَنْ قُتِلَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، مُخْلِصًا لِهَلَاكِتِهِ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُذْبِرٍ، فَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ ﷺ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»^(٢).

والمعنى: أن ثبات المؤمن المجاهد في القتال في سبيل الله، وعدم فراره من الزحف، يدل على عظمة الإيمان في قلبه، وثباته على الدين إلى الموت، فلا يحتاج أن يُمتَحَنَ في قبره، أو يُسأل عن إيمانه بالله وتصديقه برسول الله ﷺ.

٢ - المرابط في سبيل الله تعالى:



المرابط في سبيل الله، هو حَبَسَ النَّفْسَ فِي الثُّغُورِ وهي حدود بلاد الإسلام، لصدِّ الأعداء عن المسلمين، فالمجاهدون المرابطون المفارقون لأهليهم وأموالهم في سبيل حماية الإسلام، لهم فضل عظيم.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي.

قال ﷺ: « كل ميت يُخْتَم على عمله، إلا الذي مات مُرَابِطًا في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة ويَأْمَن من هتنة القبر »^(١).

وقال ﷺ: « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفُتَّانَ »^(٢).

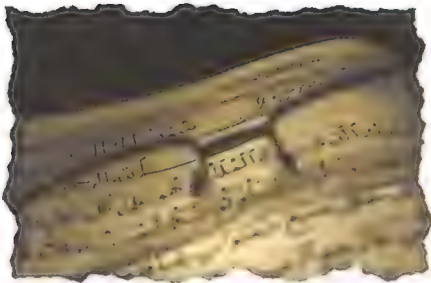
٣- من مات بداء البطن:

البَلَاءُ يُكْفِرُ اللَّهَ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءُ بِالْمَرَضِ، وَالْأَلَمِ بِهِ، أَوْ الْمَوْتِ بِسَبَبِ هَذَا الْمَرَضِ.

قال ﷺ: « مَنْ يَقْتُلُهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ »^(٣).

ومعنى يقتله بطنه: أي يموت بداء في بطنه، كسرطان في البطن أو الكبد، أو غير ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: « وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ »^(٤)، أي الذي يموت بداء في بطنه، فله أجر الشهيد.

٤- قراءة سورة الملك كل ليلة:



القرآن خيرٌ كُلُّهُ، وَقَدْ خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ بَعْضِ السُّورِ بِفَضْلِ دُونَ غَيْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ سُورَةِ تَبَارَكَ «الملك» فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَّةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي والنسائي، صحيح.

(٤) رواه البخاري.

قال نبينا ﷺ: «سُورَةُ الْمَلِكِ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: من قرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كل ليلة مَنَعَهُ اللهُ بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نُسَمِّيها المَانِعَةَ، وإنها في كتاب الله، سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب^(٢).

كل مدفون يضعه القبر ضمة..

فائدة

كما قال ﷺ عن سعد بن مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هذا الذي تَحَرَّكَ له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضُمَّة ثم فُرِّج عنه»^(٣).



نور..

من التزم بفعل المنجيات من عذاب القبر..
فهو أهل للسعادة والنعيم.

(١) رواه ابن مَرْدَوَيْهِ، صحيح.

(٢) رواه النسائي، صحيح.

(٣) رواه النسائي، صحيح.

مخلوقات لا تفنى

رَبُّنَا الْحَيِّ الْقَيُّومُ ﴿٢٦﴾ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، وَكُلُّ مَلَكٍ زَائِلٌ إِلَّا مَلَكُهُ،
كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ .

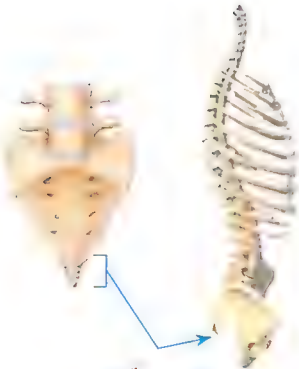
نعم كل من عليها فان.. يموت ويزول ويأكله التراب.. لكن في النصوص الشرعية استثناء أشياء من الفناء..

- فما هذه الأشياء؟
- وما معنى عدم فنائها؟

مداخل:

يُفْنِي الله تعالى ما يشاء، وَيُبْقِي ما يشاء، وربك يخلق ما يشاء ويختار، فكل شيء من المخلوقات يموت وَيَفْنَى ويزول، إلا ثمانية أشياء، هي:

عَجَبُ الذَّنْبِ:



عجب الذنب

وعجب الذنب هو: الفقرة الأخيرة السفلى من فقرات الظهر، ويُسمى «العُضْصُ»، فإن جسد الإنسان يفنى ويأكله التراب إلا عجب الذنب، فمنه يُخلق الإنسان من جديد.

قال ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»^(١).

✽ الأرواح:

طبيعة الروح وحقيقتها علمها عند ربي، لكن قوام الجسد وحياته بوجود الروح فيه، فإذا فارقت الروح مات الجسد، وصعدت إلى السماء، فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء، وإن كانت غير صالحة سُدَّتْ أبواب دونها فلم تفتح لها، والروح في كلتا الحالتين تعود إلى الجسد^(٢).

والروح لا تفنى فقد قال ﷺ عن الشهداء:

«أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل»^(٣).

أما روح المؤمن فقال ﷺ عنها: «إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة»^(٤).

✽ الجنة والنار:

وقد خلقهما الله تعالى إكراماً لأهل الطاعة، وإذلاً لأهل المعصية، وهما باقيتان لا تفتنان. كما قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ٥٧).

(١) رواه مسلم.

(٢) تقدم الكلام عن الروح تفصيلاً، عند كلامنا عن حقيقة الموت، وذلك في أول الكتاب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه النسائي، صحيح.

✽ العرش:

معنى العرش في اللغة: السِّرير الذي يستوي عليه المَلِك، ولربنا جَلٌّ وَعَلا عرش يليق بجلاله وعَظَمته، ذكر الله تعالى استواءه عليه في سبعة مواضع من القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والعرش هو أول المخلوقات، خلقه الله للبقاء لا للفناء، فهو لا يفنى عند النفخ في الصور كما تفنى بقيّة المخلوقات.

✽ الكرسي:

وهو موضع قدمي ربنا ﷻ، كما قال ابن عباس^(١)، فالكرسي باق لا يفنى ولا يزول.

✽ الحور العين:

وهن نساء الجنة، اللاتي خُلِقن لها، لا يَفْنَيْن كما تفنى المخلوقات.

✽ اللوح:

وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله تعالى فيه مقادير العباد، فهذا اللوح باق لا يفنى.

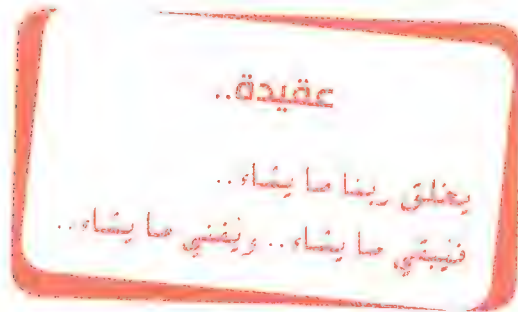
(١) انظر صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف، ص ٢٢٣.

القلم:

وهو الذي خلقه الله تعالى وأمره بكتابة أعمال العباد، كما قال ﷻ:
« أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب
مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »^(١).

وقد جمعهما السيوطي في بيتين من الشعر:

من الخلق والباقيون في حيز العدم	ثانية حكم البقاء يعمها
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم	هي العرش والكرسي نار وجنة



(١) رواه أبو داود والترمذي، صحيح.

سبع مسائل عن القبر

يقع من الناس أخطاء ومخالفات تتعلق بالقبور، واعتقادات خاطئة، قد تنتشر في بلد دون بلد، فأحببت التنبيه عليها في ختام الكلام عن القبور.

- فما هذه المسائل؟
- وما مخالفات الناس؟
- وكيف نستطيع علاجها؟

مداخل:

بَعَثَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ مُعَلِّمِينَ لِلنَّاسِ وَنَاصِحِينَ، يَهْدُونَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنْ سُبُلِ الرَّدَى، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَحْكَامٍ وَتَوْجِيهَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالْقُبُورِ وَأَحْكَامِهَا. وَمِنْ ذَلِكَ:

المسألة الأولى:



أن عذاب القبر ونعيمه أمور غيبية، لا تقاس بالعقل، والإيمان بالغيب من أهم صفات المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ أَصَفٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومما ينبغي أن يُعْلَمَ أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مُسْتَحِقٌّ للعذاب، ناله نصيبه منه قُبْرًا أَوْ لَمْ يُقْبَرْ فَلَوْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ أَوْ أُحْرِقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا وَنُسِفَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ صُلِبَ، أَوْ غُرِقَ فِي الْبَحْرِ، وَصَلَّ إِلَى رُوحِهِ وَبَدَنَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْمُقْبُورِ.

المسألة الثانية:



من المحرّمات التي تقع من بعض الناس، والنساء خاصة، ما يقع من العويل والنّياحة والصراخ،

فقد قال ﷺ: «ليس مِنّا من ضَرَب الخُدود وشَقَّ الجُيوب ودَعَا بدعوى الجاهلية»^(١)،

وقال ﷺ: «النّائحة إذا لم تَتَب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قِطران، ودِرْع من جَرَب»^(٢)،

فعلى من أُصيب بموت حبيب أن يصبر ويحتسب، وليُبشِّر بالأجر العظيم على صبره، قال ﷺ: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صَفِيّه من أهل الدنيا، ثم اخْتَسَبَه، إلا الجنة»^(٣)

المسألة الثالثة:



زيارة القبور مشروعة، ويكون قصده من الزيارة الاعتبار والاتعاظ، دون قصد التبرُّك بالقبر، أو بتربة القبر، أو الانتفاع بالمقبور.

ولا يجوز أن يُخصَّص الزائر يومًا معينًا للزيارة، لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه خَصَّص أيامًا للزيارة.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

وقد قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وبعض الناس يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور، وهذه من البدع، إذ لم يثبت عنه ﷺ أنه قرأ شيئاً من القرآن عند القبور، بل كان يدعو للأموات ويستغفر لهم.

ولا يجوز السفر لزيارة قبر من القبور، لقوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(٢).

المسألة الرابعة:

من المخالفات والبدع في الجنائز:



• وضع الزهور على الجنازة أو القبر، وهذا تَشَبُّهُ بالكفار في دينهم وشعائهم، وقد قال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٣).



• وكذلك الجِدَاد على أرواح الشهداء أو غيرهم، بالوقوف والصمت لمدة دقيقة تَرَحُّمًا عليهم، فهذه بدعة مُنْكَرَة، وتشبه بالكافرين في شعائهم، وإنما يُكْتَفَى بالدعاء والاستغفار لهم.

• وكذلك لا يجوز تعليق صور للأموات بل ولا الأحياء، للذكرى أو لغيرها؛ لقوله ﷺ لِعَلِيٍّ: «لَا تَدْعُ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا. وَلَا قَبْرًا فَشَرَفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(٤).

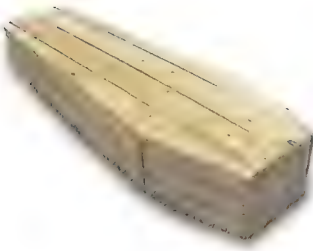
(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه مسلم.

- رفع الصوت أثناء تشييع الجنازة بالتهليل أو التكبير الجماعي، والمشروع أن يدعو المرء ويذكر الله بصوت منخفض.
- وكذلك الأذان في القبر، أو بعد وضع الميت في قبره، ولم يثبت ذلك عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، وقد قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»^(١).
- وكذلك من البدع: الدعاء الجماعي بعد صلاة الجنازة، أو بعد دفن الميت، بل المشروع أن يدعو كل واحد مع نفسه.
- ومن المخالفات دفن الميت في تابوت، والأصل أن يُدفن الميت بكفنه في القبر، من غير تابوت، إلا إذا دعت الحاجة إلى دفنه في تابوت ككون الجسم مُقَطَّعًا مثلاً، أو كان نظام الدولة يُلْزِمُ بدفنه بتابوت ولا يستطيع أصحاب الجنازة المخالفة، فيُدفن بالتابوت.



✿ المسألة الخامسة:

إذا فعل الإنسان الحي عملاً صالحاً وأهدى ثوابه للميت جاز ولا بأس به، وذلك في حدود ما ورد الشرع بفعله، كالدعاء له، والحج، والعمرة، والصدقة، والأُضْحِيَّة، وصوم الواجب عمن مات وعليه صوم واجب.

أما الصلاة بنِيَّة أن يكون ثوابها للميت فلا تجوز؛ لأنها لم تَرِدْ عن النبي ﷺ. وكذلك من البدع استئجار قارئ يقرأ القرآن للأَمْوات في المآتم.

(١) رواه البخاري.

❁ المسألة السادسة:

قبل توزيع التركة يجب إخراج تكاليف تجهيز الميت، وسداد ديونه، وتنفيذ وصيته، وقد قال ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه»^(١).

❁ المسألة الأخيرة:



وهي المسألة الكبرى، والمصيبة العظمى: وهي الشرك الواقع عند القبور، كمن يطوف على القبور، أو يسأل أهلها الحاجات، واعتقاد أن الأولياء الموتى في قبورهم، يكشفون الكربات، ويقضون الحاجات!!

والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].



وبعض عبّاد القبور يطوفون بها، ويستلمون أركانها، ويتمسّحون بها، ويُقبّلون أعتابها، ويسجدون لها، ويقضون أمامها خاشعين، سائلين حاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد. وربما نادى الزائرُ صاحب القبر قائلاً: يا سيدي! جئتك من بلد بعيد فلا تُخَيِّبني!!



ثم يبدأ يدعوه أن يساعده في شفاء مرضه! أو رد غائبه! ويتغافل عن أن يدعو الله تعالى بذلك في صلاته!!

(١) أخرجه أحمد في مُسنّده.

والله يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار»^(١).

ولا تغترّ بما يُشاع أن فلاناً الفقير دعا عند القبر الفلاني فأعاثه، أو فلاناً المريض دعا القبر فشفاه، أو رُزق بولد، بل توجه بدعائك إلى الله تعالى وحده له لا شريك له، اذعّه في صلاتك، وفي المسجد، وفي حَجِّكَ وعُمْرَتِكَ، ولا تدعّه عند قبر رجاء بركته.

ويَحْرُمُ بناء المساجد على القبور:



بل لا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان في داخله أو في ساحته أو قبيلته قبر، لقوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»^(٢).



بل يَحْرُمُ البناء على القبور، على أي شكل كان، فقد نهى النبي ﷺ أن يُجَصَّص القبر وأن يُقَعَّد عليه، وأن يُبنى عليه^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

والمشروع أن يُدفن الميت في قبره ثم يُعاد على القبر التراب الذي أُخرج منه، ولا يزيد ارتفاعه عن شبر.

كما يحُرَّم بناء القباب على القبور لقوله ﷺ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَسْعُ صُورَةُ إِلَّا طَمَسَتْهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(١).

كما تقدّم من أنه ﷺ نهى أن يُحصّص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه^(٢).

قال ربنا الملك ﷻ: ﴿أَبْشِرْكُون مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾ (١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١١٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١١٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ (١١٥) إِنْ وَلِيَ اللَّهُ أَلَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١١٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١١٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَكْنَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿(الأعراف: ١٩١ - ١٩٨).

صِدْق..

مقتضى إيمانك بأن الله واحد
لا شريك له.. أن تدعوه وحده
بلا واسطة.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

اليوم الآخر

مدخل..... ١٠٥

النفخ في الصُّور..... ١٢٣

البعث والنشور..... ١٣٣

أهوال قيام الساعة..... ١٤٧

الحشر..... ١٥٩

نَشْرُ الصُّحُف..... ٢٠٩

العرض والحساب..... ٢١٣

الميزان..... ٢٤٧

الحَوْض..... ٢٦٧

السَّفَاعَةُ..... ٢٨١

كل أمة تَتَّبِعُ إِلَهَهَا..... ٣١٣

كيفية حشر الكافرين إلى النار..... ٣١٩

الصُّرَاط..... ٣٢٥

قصاص المؤمنين بعد الصُّرَاط..... ٣٣٧

حال أهل الفَتْرَةِ..... ٣٤١

النار..... ٣٤٥

الجَنَّة..... ٤٣٩





بِعَرْمَا يَقْضِي الْمَرْءُ مَا كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ، وَتَأْتِي السَّاعَةُ الَّتِي يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا بَبْعَثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ، فَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَيُحْشَرُ النَّاسُ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ.

- فَمَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟
- وَمَا مَعْنَى النْفَخِ فِي الصُّورِ؟
- وَكَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ؟
- وَمَا حَالُ غَيْرِ الْمُقْبُورِينَ، كَالْفَرَاقِ، وَالْمُحْتَرِقِينَ؟ كَيْفَ يُبْعَثُونَ؟
- وَهَلْ يَحْشَرُ اللَّهُ الْبَشَرَ فَقَطْ؟ أَمْ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ؟
- وَمَا طَرِيقَةُ حَشْرِ الْجَنِّ؟
- وَمَا.....؟؟؟؟

أَسْئَلَةُ كَثِيرَةٍ تَقْفُزُ إِلَى الذَّهْنِ سَأَفْصِلُ الْكَلَامَ عَنْهَا فِيمَا يَأْتِي مِنْ فُصُولِ بَيَازْنِ اللَّهِ..

١٠٧.....منزلة الإيمان بالآخرة

١٠٩.....صفات اليوم الآخر

١١٤.....متى تقوم الساعة؟

١١٧.....أسماء اليوم الآخر

منزلة الإيمان بالآخرة

مدخل



الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان، كما قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِمْ أَغْفُورٌ ۚ إِنَّهُ كَفَرٌ ۖ وَكَانَ كَذِبٌ ۚ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال ﷺ في شرح الإيمان: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »^(١).

معنى الإيمان باليوم الآخر:

التصديق الجازم بمجيء يوم القيامة وما يكون فيه، والإيمان بالموت وما بعده، والتصديق بعلامات الساعة.



ومن جحد اليوم الآخر أو شك في وقوعه فإنه يكفر كفراً أكبر يُخرجه من ملّة الإسلام، وقد قال تعالى:

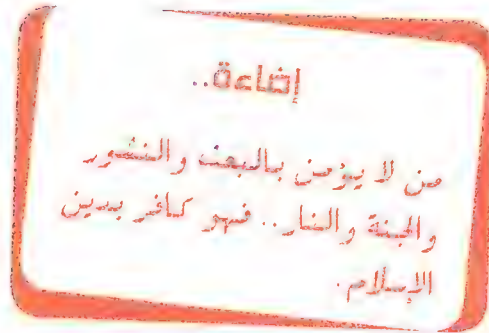
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

(١) رواه مسلم.

واليوم الآخر واقع لا شكّ فيه، فمن شكّ في وقوعه فقد كفر الكفر الأكبر؛ لأنه مكذب لله ورسوله ﷺ، وقد بين الله تعالى أن الكفار لم يكونوا مصدقين باليوم الآخر، وأن الله تعالى يعيد الخلق أحياء بعد موتهم، فقال تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿إِنْ نَظُنُّ الْإِطْنَاءَ وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الحج: ٢٣].

فيجب الإيمان اليقيني الجازم بمجيء اليوم الآخر بلا شك ولا ارتياب ولا تردّد، وقد قال تعالى عن المؤمنين المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

فاليوم الآخر آتٍ لا شكّ في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتِبَ فِيهَا وَاتَّكَّ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].



صفات اليوم الآخر

أنزل الله تعالى كتابه تبييناً لكل شيء، وبعث رسله الكرام مبشرين ومنذرين، ومن ذلك أن الله تعالى عرفنا بأمور الآخرة ووصف لنا حالها.

- فما أوصاف اليوم الآخر؟
- ولم جاء بهذه الأوصاف الرهيبة؟
- وما الواجب على المؤمن إذا قرأ هذه الأوصاف؟

مدخل

اليوم الآخر هو اليوم الذي يُنفخ فيه بالصور، وتقوم الساعة، وصفه الله تعالى بعدة صفات، تدل على حاله وحال الناس فيه، من هذه الصفات أنه:

يومٌ حق لا شك في وقوعه :

نعم، والله إنه لحق واقع آتٍ لا شك فيه،
كما وعد الله في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ
وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقال ﷺ: « والساعة حق »^(١).



(١) متفق عليه.

يوم عسير على الكفار:

ففيه تنقطع الأعمال، وتنتهي الآجال، ويلقى كل عامل ما عمله من خير أو شر، فلا يستطيع الازدياد من الخير، ولا التقليل من الشر، قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝١ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُيسِيرٍ﴾ (الدحر: ٩ - ١٠).

أما على المؤمنين فهو يسير، لأنهم لا يحزنهم الفرع الأكبر، ومنهم من يكون في ظل العرش عند الله تعالى، ولهم أحوال سارة سيأتي بيانها ^(١).



يوم تُوفى فيه كل نفس ما كسبت:

تُوفى النفوس ما عملت، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كلُّ مُسَطَّرٍ في الكتب، محفوظ من التغيير والكذب، كما قال تعالى: ﴿كَفَيْكَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٢٥).



يوم محدد عند الله بأجل:

لا يتقدم ولا يتأخر عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبا: ٣٠).

(١) سيأتي ص ١٧٨:

يوم قريب:

نعم هو يوم قريب وإن رأيناه بعيداً، وعد الله به الأمم السابقة، فمضت عهودها، حتى جاءت أمتنا، فقال نبينا ﷺ « بُعِثَ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَقَرْنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى »^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا﴾ (المعارج: ٦ - ٧).

يوم يأتي بغتة - فجأة -:

مهما تقدم العباد بعلمهم، وارتقوا بفهمهم، فيستحيل أن يعلم أحد متى تقوم الساعة، فهي السر العظيم الذي أخفاه الله عن الأنبياء الكرام، والملائكة العظام، فما المسئول عنها بأعلم من السائل!!

قال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (الأعراف: ١٨٧).

يوم عظيم:

هو أعظم يوم يمر على المخلوقات، فلا يوم قبله أعظم ولا يوم بعده، ففيه أحداث عظام، وأحوال جسام كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٥ - ٦).

(١) متفق عليه.

تَدْنَى الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ:



كل شيء يتبدل يوم القيامة، وتختلف أمور الكون وتضطرب، وتَحْمَرُّ السماء وتَلْتَهَب.. وتدنو الشمس من الخلائق وتقترب.. كما قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أذِنَتِ الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو اثنين».

قال سُلَيْمٌ: «لا أدري أَيِّ الْمِيلَيْنِ عَنَى أَمْسَافَةُ الْأَرْضِ؟ أم الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قال ﷺ: «فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ بِقَدَرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْجَامَا». فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فِيهِ أَيِّ: يُلْجِمُهُ الْجَامَا^(١)»^(٢).



يَوْمَ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ:

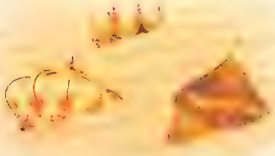
نعم.. الخلائق كلها الجن والإنس.. صالحهم وفاسدهم.. بُرُّهم وفاجرهم.. والملائكة العظام والرسل الكرام.. صامتون لا يتكلمون.. تعظيماً للعظيم.. وإجلالاً للجليل..

فلا يتكلم إلا من أذن له الملك بالكلام.. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [أهود: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [أوله: ١٠٨].

- (١) المعنى: أن الناس يكونون في ذلك اليوم في المشقة والعرق بحسب أعمالهم الصالحة، فمنهم من يصل العرق إلى عَقْبِيهِ أي فوق قدمه بقليل، ومنهم من يصل العرق إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم من يصل العرق إلى حَقْوِيهِ أي حوضه تحت سرتة، ومنهم من يُلْجِمُ مَهَ الْعَرَقِ أي يغطي وجهه ورأسه فيفرقه.
- (٢) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

يوم الملك لله عجل وحده:



يسقط مُلك الملوك.. وتنكسر ظهور
الأكاسرة.. وتَقْصُر آمال القياصرة..

فلا جاه ولا سلطان.. ولا مُلك ولا
ديوان.. ولا حُكم إلا للملك الديان..

نعم.. يبقى الملك للواحد القهار.. كما قال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

يوم ندم المعرضين:



كل من تولى وطغى.. واتبع سُبُل الردى..
ندم يوم القيامة وخاب.. وحقّ عليه الكتاب..

يندم أن صاحب فلاناً إذ ناداه.. وأعرض
عن الرسول وقد دعاه.. كما قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا

خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩].

نتيجة..

صفات اليوم الآخر تبين لنا طبيعة
ذلك اليوم و حال الناس فيه .

متى تقوم الساعة؟



لا يعلم أحدٌ من الخلق متى تقوم الساعة وتأتي القيامة، فلا يعلمه إلا الله وحده دون سواه، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ فَهُمْ لَبِئْسَ الْمَوَاقِلَ ۚ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٥].

- فهل يمكن أن يعلم أحد متى تقوم الساعة؟
- وهل نعلم في أي يوم تقع؟

مداخل

سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ قائلاً: متى الساعة؟

أجابه النبي ﷺ قائلاً: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» ^(١).

وقال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾» ^(٢) [لقمان: ٣٤] ^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) الآية بتمامها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ^(٣١).

(٣) رواه البخاري.

هل يفيدنا معرفة متى تقوم الساعة؟

مسألة



الجواب: من مات فقد قامت قيامته، فما دام أن الإنسان لا يدري متى ينزل به الموت، إذن ماذا يفيد أنه يعلم متى تأتي الساعة؟ فهَبْ أنه عرف أن الساعة تأتي بعد سنة، لكن من ضمن له أنه سيعيش إلى أن تأتي الساعة؟ لذا كان النبي ﷺ يوجّه من يسأله متى الساعة؟ إلى أن يسأله السؤال الذي يستفيد منه وهو: ماذا أعددت للساعة وما بعدها؟

قال أنس رضي الله عنه: أقبل رجل من أهل البادية إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمت؟ فقال ﷺ: ويللنا وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال ﷺ: إنك مع من أحببت. فقللنا: ونحن كذلك؟ قال ﷺ: نعم. ففرحنا يومئذ فرحا شديداً^(١).

في أي يوم تقوم الساعة؟

مسألة



الجواب: جاءت الأحاديث بنصوص تحدد اليوم الذي تقوم فيه الساعة، فهي تقوم يوم الجمعة، كما قال ﷺ: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»^(٢).

لذلك تخاف جميع الخلائق من ذلك اليوم، قال ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم. وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تُضج حتى تطلع الشمس شققاً من الساعة إلا الجن والإنس»^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

طول ذلك اليوم:

يوم القيامة يوم عظيم جَلَل، بل هو أعظم وأطول وأشقّ يوم.
مقداره خمسون ألف سنة، يوم يُقضى بين العباد، وتُفصل الخصومات،
كما قال ﷺ:

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة
صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه
وظهره. كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى
يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » ^(١).

ومع طول ذلك اليوم وكُزْبته، إلا أنه يسير على المؤمنين، فهو يمر
على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر، كما قال ﷺ في حديث أبي
هريرة رضي الله عنه: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» ^(٢).

خير..

ليس المفيد أن تسأل: متى الساعة؟
إنما المفيد أن تسأل: ماذا أعددت لها؟

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم، صحيح.

أسماء اليوم الآخر

اليوم الآخر هو أعظم يوم يمر على الخلائق في الدنيا، وهو أشدها وأخوفها، ولِعَظَمَ ذلك اليوم تعددت أسماؤه وتنوعت، وهي أسماء له وأوصاف، لأن قراءتك للاسم تدلك على وصف.

• فما أسماء اليوم الآخر؟

• ولماذا كثرت؟

مدخل

معلوم في لغة العرب أن الشيء العظيم تكثر أسماؤه، وكلما ازدادت عظمته ازدادت أسماؤه، ألا ترى أن السيف اشتهرت له أسماء؟ فهو السيف، والمُهَنَّد، والحُسام، والصارم،.. والأسد اشتهرت له أسماء، فهو الهَزْبَر، واللَّيْث، والغَضَنَفَر..

بينما الأشياء المُتَقَرَّة لا تكثر أسماؤها..

ويوم القيامة لعظمته وجلالته قدره كثرت أسماؤه.. فأشهر أسمائه: **يوم القيامة**؛ لأن الناس يقومون لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١]؛

وذكر الله تعالى قيام الناس فيه له **رَبِّكَ**، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

من أسمائه :

• اليوم الآخر :

وذلك أنه اليوم الذي ليس بعده من أيام الدنيا يوم، قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢].

• يوم الدين :

لأن في ذلك اليوم جزاء العباد وحسابهم، قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الضاحية: ٤].

• يوم الجمع :

لأن الله ﷻ يجمع فيه الأولين والآخرين للجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ [التغابن: ٩].

• يوم الفتح :

لأنه تُكشف فيه الأعمال، وتُفتح فيه المسُتورات المُغلقات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩].

• الواقعة :

لتحقيق وجود الساعة فيه ووقوعها، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

• يوم الفصل :

لأن الله ﷻ يفصل فيه بين العباد، قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [١٢] لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿المرسلات: ١٢-١٤﴾.

• الصاخة:

يعني صنيحة يوم القيامة، سُميت بذلك لأنها تَصُخُّ الأذان، أي: تُبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصمُّها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [عبس: ٣٣].

• الطامة الكبرى:

سميت بذلك لأنها تَطُمُّ على كل أمر هائل مُفْظِع، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

• القارعة:

لأنها تَقْرَعُ القلوب بأهوالها، قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢].

• الحاقة:

لأنه يتحقق فيها الوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢].

• الساعة:

لأنها تقع في ساعة مفاجئة مُبَاغِتة للخلائق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

• الآخرة:

لأنه آخر أيام الدنيا، فلا يوم بعده، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

• يوم التغابن:

وذلك أن أهل الجنة يَغْبِنُونَ أهل النار، أي يحسدوهم أهل النار على ما هم فيه من النعيم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

• يوم الحسرة:

لأنه يتحسّر فيه المفرط والعاصي على ما فاتته من العمل الصالح، وعلى وقوعه في المعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وغير ذلك من الأسماء ليوم القيامة، وكل اسم يصف شيئاً مما يقع في ذلك اليوم، أو يدل على حال من أحوال الخلائق في ذلك اليوم، أو يشير إلى عظمة شأنه وشدة أهواله.

مواقف يوم القيامة:

فائدة

يوم القيامة يوم طويل يحتوي على عدة مواقف للناس وأحوال، وهي تختلف باختلاف أنواع الناس وأعمالهم، وقد يمر الشخص الواحد بعدة مواقف.

ففي بعض مواقفه لا يُسأل فيه أحد عن عمله، بل يُواجه بأعماله دون أن يناقش فيها، كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَذِي يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْشٌ وَلَا جُحَانٌ﴾ [الرحمن: ٣٩].

وفي موقف آخر يُسألون عن أعمالهم، لكن ليس سؤال استفهام، وإنما سؤال تقرير وانتزاع اعتراف، وإذلال وتبكيك وإهانة، كما قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وقال: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

وفي بعض مواقف القيامة يُسأل الخلائق، فيعترفون ولا يكتُمون الله شيئاً من أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

وفي بعض مواقف القيامة يُسأل الكفار فيكذبون، ويُنكرون أنهم كانوا كافرين، ولكن أنى ينفعهم ذلك وهم بين يدي من يعلم سرهم ويسمع نجواهم، ويكشف خفاياهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣ - ٢٤].

وفي بعض مواقف القيامة تُعمى الأنبياء على المكذِّبين الهالكين، فيضطربون ويفزعون، وتلتبس عندهم المسائل، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [التقصص: ٦٥ - ٦٦].

فهم خفيت عليهم الحجة، ولم يدروا ما يقولون لربهم، ولا ما يَحْتَجُّون به، ولا عندهم خبر يُخبرون به، فليس لهم عند ذلك نجاة ولا مهرب.

رحمة..

مع طول يوم القيامة وعُسْره...
إلا أنه سهل على المؤمنين.

النفخ في الصور

النفخ في الصور هو أول أحداث قيام الساعة، وتغيّر الكون، واضطراب الدنيا..

- فما الصور؟ ومن الذي ينفخ فيه؟
- كم عدد النفخات؟ وماذا يحصل بعد كل نفخة؟
- وهل يُصعق جميع العباد؟

مدخل	١٢٥
النافخ في الصور.....	١٢٥
الأدلة على النفخ في الصور.....	١٢٦
عدد مرات النَّفخ في الصور.....	١٢٧
مقدار الوقت ما بين النفختين.....	١٢٨
أي يوم يُنفخ في الصور؟.....	١٢٩
أول من يسمع النفخة الأولى (نفخة الصَّعْق).....	١٢٩
رحمة الله بالمؤمنين	١٣٠

مدخل



صورة توضيحية لشكل القرن (الصور)

الصور هو: قَرْن يُنْفَخ فيه،
والقَرْن في الأصل هو قَرْن الشاة،
وهما قرنان فوق رأس الشاة.

وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ
فسأله: ما الصور؟ فقال ﷺ:
قَرْن يُنْفَخ فيه^(١).

النافخ في الصور:

إِسْرَافِيلُ هُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلنَّفْخِ فِي أَيِّ
لَحْظَةٍ، يَنْتَظِرُ الْأَمْرَ مِنْ رَبِّهِ الْعَظِيمِ جَلَّ جَلَالُهُ.

وقد أخبرنا ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائماً للنفخ فيه منذ أن خلقه الله
تعالى، قال رسول الله ﷺ:

« إِنْ طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُدًّا وَكُلَّ بِهِ مُسْتَعِدٌّ، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ، مَخَافَةَ
أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ، كَأَنْ عَيْنِيهِ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ^(٢) »^(٣).

وفي هذا الزمان الذي اقتربت فيه الساعة، أصبح إسرافيل أكثر استعداداً
وتَهيؤاً للنفخ في الصور.

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، صحيح.

(٢) يعني أن إسرافيل عليه السلام قد جعل طرفه - أي عينه - مستعداً ينظر نحو العرش، فلا يزمش بعينه مخافة أن يؤمر أثناء رمشه بعينه فيتأخر في تنفيذ الأمر، فهو فاتح عينيه كأنهما نجمان عظيمان في السماء يلتمعان.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح.

فقد قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم؟» وقد التّم صاحب القرن القرن! وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ. قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»^(١).



الأدلة على النفخ في الصور:

النفخ في الصور نفخ حقيقي تسمعه الخلائق فيغشاها من الفزع والصّغق أمر عظيم.

وقد دلّ القرآن والسنة على النفخ في الصور:

- قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].
- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشم: ٨٧].
- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [سورة يس: ٥١].
- وقال ﷺ: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لئناً ورفع لئناً»^(٢) قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله^(٣)، فيصعق ويصعق الناس^(٤)»^(٥).

(١) رواه الترمذی، صحيح لغيره.

(٢) قوله: «أصغى لئناً ورفع لئناً» أي أمال صفحة عنقه، مستعداً للنفخ.

(٣) قوله: «يلوط حوضه»: يطّين ويصلح حوض الماء ليضع فيه ماء يسقي إبله وغنمه.

(٤) قوله: «فيصعق»: يموت.

(٥) رواه مسلم.

عدد مرات النفخ في الصور:

ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفختين عظيمتين:

• النفخة الأولى:

نفخة الفزع والصق: وهي التي يكون بها إماتة الأحياء من جميع المخلوقات، وهلاك هذا العالم.. فيفنى بهذه النفخة الإنس والجن والملائكة والحيوانات والطيور والحشرات.. وكل شيء.. ولا يبقى إلا العزيز الجبار جل وعلا..

• النفخة الثانية:

نفخة البعث والنشور من القبور: وهي التي يقوم بها الأموات أحياء من جديد، ويقوم الموتى من قبورهم. وقد ذكر الله تعالى هاتين النفختين وما يقع في كل منهما، فقال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ووصف الله تعالى حال قيام الناس من أجداثهم - قبورهم - عند النفخة الثانية فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [سورة يس: ٥١].

وقد سَمَّى الله تعالى النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦ - ٧].

وفي موضع آخر سمى الله تعالى النفخة الأولى بالصيحة، وصرح بالنفخ بالصور ثانية: قال تعالى:

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس: ٥٠ - ٥١].

❦ مقدار الوقت ما بين النفختين:

لم يأت نص صريح في تحديد: كم بين النفختين من وقت؟ وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بالإشارة إلى شيء من ذلك:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون عاماً؟ قال: أبيت.».

فلم يحدد أبو هريرة كم هذه الأربعين؛ لأنه لم يسمع تحديدها من رسول الله ﷺ. ثم أكمل أبو هريرة الحديث فقال: «ثم يُنزل الله من السماء ماء فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ^(١)».

قال: وليس من الإنسان شيء إلا يَبْلَىٰ إِلَّا عِظْماً وَاحِداً لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَداً وهو عَجَبُ الذَّنْبِ، ومنه يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢).

(١) البَقْل: نوع من النبات ليس شجراً، بل يطلق على ما ليس له جذع وساق، مثل الثوم والبصل والنعناع والبقدونس، وهو عادة يتكاثر وتُخَضَّرُ منه الأرض.

(٢) متفق عليه. ومعنى الحديث: أن كل الجسد يفنى في القبر ويأكله التراب، إلا العظم الأخير في أسفل الظهر، وهو العُصْصُ، وسماه النبي ﷺ هنا عجب الذنب.

❁ أي يوم يُنفخ في الصور؟



كلا النفختين؛ النفخة الأولى وهي نفخة الصَّعْق والموت للأحياء، وكذلك النفخة الثانية وهي نفخة قيام الساعة والبعث والنشور، كلا النفختين تكون يوم جمعة.

كما قال ﷺ: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النُّفْخَةُ، وفيه الصُّفْةُ. فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ. قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله ﷻ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١).

وقال ﷺ: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من دابة إلا وهي مُصِيخةٌ بأذنِها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة»^(٣).

❁ أول من يسمع النفخة الأولى (نفخة الصَّعْق) :

يُنفخ في الصور النفخة الأولى وهي نفخة الصَّعْق، والناس والمخلوقات يعيشون حياتهم كالمعتاد؛ فمنهم من يكون في السوق وقد تناول ثوباً لِيَشْتَرِيهِ، ومنهم من قد حلب ناقته ومضى يمشي إلى بيته ليشرب لبنها، ومنهم من يصلح الحوض بجانب البئر ليجمع فيه الماء ويسقي إبله، ومنهم

(١) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه، صحيح. والمعنى: أن الأنبياء لكرم حالهم وجلالة قدرهم عند الله تعالى، فإن الأرض لا تأكل أجسادهم، ولا تبلي أجسامهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والنسائي. ومعنى مُصِيخة: مستمعة مُضغِيّة.

من هو في أمن وأمان قد وضع طعامه بين يديه، ويرفع اللقمة تَلَوُ اللقمة إلى فمه ليأكلها..

وفجأة ينفخ إسرافيل في الصور، وهذه النفخة فيها من الفرع والخوف ما يزلزل النفوس وَيَقْتَلَع القلوب، وبها تخرج أرواح الخلائق من أجسادها، وتموت.

قال ﷺ: «ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه. ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه، فلا يسقي فيه. ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»^(١).

❁ رحمة الله بالمؤمنين :

الخوف والفرع عند النفخ في الصور شديد عظيم، لذلك يقبض الله تعالى أرواح المؤمنين بكل رفق ولين قبل هذه النفخة، ولا يبقى إلا شرار الخلق.

وقد فصل النبي ﷺ ما يكون قبل هذه النفخة وأثناءها، فقال ﷺ:

« يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين^(٢)، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عُرْوَة بن مسعود فيطلبه فيهلكه^(٣)، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة.

(١) رواه البخاري.

(٢) يمكث المسيح الدجال في الأرض أربعين يوماً، لكنها ليست كلها كأيامنا، فيوم طوله سنة، ويوم طوله شهر، ويوم طوله أسبوع، وباقي أيامه كأيامنا، وقد فصلت أحوال الدجال في كتابي الأول «نهاية العالم» في أشراف الساعة.

(٣) تقدم في كتاب «نهاية العالم» الكلام بالتفصيل عن الدجال، وعن نبي الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام، وعروة بن مسعود هو أحد الصحابة الكرام.

ثم يُرسل الله ^(١) ريحاً باردة من قِبَل الشَّمال، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى إنَّ أحدكم لو دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ^(٢). فيبقى شرار الناس في خِصَّة الطير وأحلام السِّباع لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون منكراً ^(٣). فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبيون؟! فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عيشهم ^(٤).

ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبيتا ورفع لبيتاً ^(٥). فأول من يسمعه رجل يُلوط حوض إبله ^(٦). فيضعق ويضعق الناس ^(٧).

ثم يُرسل الله - أو قال: يُنزل الله - مطراً كأنه الطَّل ^(٨) فينبت منه أجساد الناس. ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ^(٩)، ثم يُقال: يا أيها الناس هلمُّوا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون، ثم يُقال: أخرجوا بعث النار. فيُقال: من كم؟ فيُقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فذلك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق ^(١٠).

(١) يعني أن هذه الريح تقبض أرواح المؤمنين بكل رفق ولين، وتتبعهم في كل مكان لتقبض أرواحهم، حتى لو غاب أحدهم في كهف في جبل.

(٢) المعنى: أنه بعدما تقبض الريح الطيبة أرواح المؤمنين، لا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الناس، عقولهم خفيفة عَجُولَة غير رَزِيَّة، ونواياهم وعقولهم مثل السباع أي الوحوش من أسود ونمور.. وهؤلاء لا يتورعون أو يخافون من فعل منكر بل يفعلون كل المنكرات، ولا يأمرؤن بمعروف أو يفعلونه.

(٣) المعنى: أن الله تعالى يُهلِّمهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

(٤) أصغى لبيتاً: أي أطرق وأمال رأسه وأنصت بأذنه.

(٥) المعنى: يصلح الحوض لإبله ليجمع فيه الماء ليسقيها.

(٦) يصعق: يموت.

(٧) الطل: أي المطر الضعيف الصغير القطر، فينبت منه -أي بسببه- أجساد الناس.

(٨) وهي النفخة الثانية التي يقوم بها الناس من قبورهم.

(٩) رواه مسلم.

حسبنا الله ونعم الوكيل..

مائدة



النفخ في الصور أمر مُفْزِع، وما يقع من أحداث هي أمور مخيفة جداً، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.. أي يكفيننا أن نلتجئ إلى الله تعالى، فهو أمان الخائفين.

وقف..

إسرافيل عليه السلام مع عِظَم خَلْقَتِهِ..
وكبير درجته.. وتواصل عبادته..
يَرْجِفُ خَوْفًا وَتَعْظِيمًا لِمَالِهِ..

اليوم الآخر

الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ

بعد النفخ في الصور النفخة الثانية، يقوم العباد للبعث والنُّشُور..

- فما البعث؟
- وما أدلة وقوعه؟
- وما معنى النشور؟
- وما كافيته؟
- وما حال غير المقبورين؟

مدخل	١٣٥
الأدلة على وقوع البعث	١٣٥
أدلة واقعية على إمكان البعث	١٣٦
حال غير المقبورين	١٣٩
كيفية البعث	١٤٠
أول من تنشق عنه الأرض	١٤٤
حكم من أنكر البعث	١٤٥

❖ مدخل

البعث والنشور هو إخراج الموتى من قبورهم أحياء، وإعادة جميع الموتى أحياء حتى الذين ماتوا احتراقاً أو غرقاً فأكلتهم الأسماك، أو أكلتهم السباع. وربنا لا يُعجزه شيء جل جلاله..



❖ الأدلة على وقوع البعث:

الإيمان ببعث الناس للحساب والجزاء، هو من أصول العقيدة، والكفر والتكذيب به هو تكذيب لله تعالى، وكفر به. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١].

وقد ذكر الله تعالى البعث والنشور في آيات كثيرة..

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].
- وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].
- وقال ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه» ^(١).
- وقال ﷺ: «يُبعث الناس على نياتهم» ^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه، صحيح.

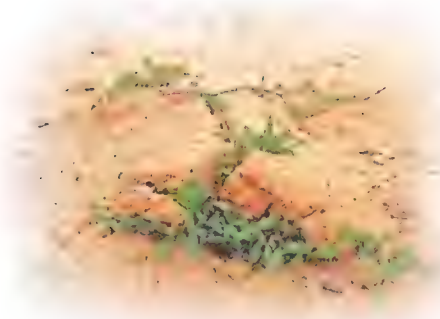


❁ أدلة واقعية على إمكان البعث:

جعل الله تعالى أمام أعيننا دلائل كثيرة، تجعلنا نؤمن ببعث الناس بعد موتهم، وإعادتهم أحياء..

فمن ذلك:

• إنزال المطر على الأرض الميتة فتحيا بإذن الله:



نمر بالأرض الجرداء الغبراء الميتة، لا زرع فيها ولا نبات ولا حياة، فإذا أنزل الله تعالى عليها المطر اهتزت وعادت إليها الحياة وأصبحت أرضاً حية خضراء.

فبعدما كانت يابسة صارت رطبة، وبعد غبرتها صارت خضرة.. كذلك يحيي الله الموتى.. يحيي تلك العظام النخرة، والأجساد اليابسة.. فتعود رطبة حية.. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْتَغِي رَحْمَةً لِّذِي رُحْمٍ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا يَقَالُ لَهَا سُقْنِيْهِ لِيَكْلِيْ مِّنْهَا فَنَزَّلْنَا بِهِنَّ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وفي حديث أبي رزين رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ فقال ﷺ: أما مررت بالوادي ممحلاً، ثم تمر به خضراً، ثم تمر به ممحلاً، ثم تمر به خضراً؟ كذلك يحيي الله الموتى» ^(١).

(١) رواه أحمد (حسن).



• الاستدلال ببدء الخلق على إعادته:

فإن الذي خلق الخلق أولاً لما شاء،
وصورهم كما شاء، قادر على إعادة
خلقهم مرة أخرى كما شاء ومتى
شاء؛ فإن الإعادة أهون من ابتداء
الخلق، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا
كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الانبيا: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

• إحياء بعض الأموات في الدنيا:

فإنه قد وقع موت لبعض البشر وأحياهم الله تعالى؛ كإحياء قتيل بني
إسرائيل بعد ضربه ببعض البقرة^(١)، كما قال تعالى:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
[البقرة: ٧٣].

(١) كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يؤد له، وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه الوحيد، فاستعجل ابن الأخ ميراث عمه، فعدا على عمه الغني فقتله، ثم حمل جثته ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعي أنهم قتلوه، وثار بينهم الخصومة، حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال العقلاء منهم: علام يقتل بعضكم بعضاً وهذا رسول الله فيكم؟

فاتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له، فأوحى الله إليه أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ نَجِدْنَا هُزُوراً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. ولو أنهم أطاعوا وذبحوا أي بقرة ولم يعترضوا لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي وصفت لهم، وأمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها في ثمنها عن ملة جلدتها ذهباً، فأخذوها بملة جلدتها ذهباً، فذبحوها فضربوا الميت بجزء منها فقام، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا، وأشار لابن أخيه، ثم مال ميتاً. انظر تفسير ابن كثير لسورة البقرة. (١/ ١٤٥).

وكما حصل للذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عُروشها^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

• كمال قدرته سبحانه بإخراج الشيء من ضلّته:

يعني أن الله تعالى قادر على أن يخرج الجسد الحي الرطب من العظم الميت اليابس، وذلك كما أن الله ﷻ يُخرج النار من الشجر الأخضر، كما قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٧٨ - ٨٠].



(١) وهو الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَارَثًا عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَهُمْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ وَكَانُوا هَٰؤُلَاءِ قَوْمًا لَا يَخَافُونَ أُمَّةً عَادَ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ جَمَادِكَ وَتَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ كَسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

• قدرته تعالى على خلق السموات والأرض:

وخلق السموات والأرض وما فيهما من عظمة وعجائب وإتقان أعظم من خلق الإنسان، فمن قدر على خلق الكبير العظيم قدر على خلق ما هو أقل منه، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].



❖ حال غير المقبورين:

من كان مات غرقاً فأكلته الأسماك، فتفرق في بطونها، أو مات محترقاً فصار رماداً، أو أكلته السباع، أو غير ذلك ممن لم يموتوا موتاً طبيعياً، ولم يُدفنوا كبقية الناس، فإن هؤلاء أيضاً يشملهم البعث والنشور.

فقد ذكر النبي ﷺ قصة رجل من السابقين «... أعطاه الله مالا وولداً، فلما حضرته الوفاة قال لبيته: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب.. قال: فإني لم

أعمل خيراً قط، فإذا أنا مت فأخرقوني، حتى إذا صِرتَ فحماً فاسحِقُونِي^(١)، فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني في البحر، فوالله لئن قَدَّرَ عليَّ ربي، لَيُعَذِّبَنِي عذاباً ما عَذَّبَ به أحداً!!^(٢) فأخذ مواعيقهم على ذلك.

فلما مات فعلوا به ذلك، وذروه في يوم عاصف. فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه. ففعلت، فإذا هو قائم، فقال الله: أيُّ عبيدي، ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: خشيتك يا رب. فغفر له بذلك^(٣).

نعم.. تقوم الخلائق كلها أحياء.. ويُساقون إلى موقف الجمع يوم القيامة؛ لمجازاتهم بأعمالهم والفصل بينهم.

❁ كيفية البعث:

أمور الغيب لا تؤخذ إلا من الوحي، وقد أخبرنا النبي ﷺ في عدد من الأحاديث عن كيفية البعث، وكم بين النفختين، وفصل وبين، ومن ذلك قوله ﷺ:

« ما بين النفختين أربعون، ثم قال: ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبُتُون كما ينبُت البقل^(٤). ليس من الإنسان شيء إلا يبلَى إلا عظماً واحداً وهو عَجَب الدَّئِبِ ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة^(٥). »

(١) اسحقوني: أي اطحنوني.

(٢) المعنى: أن هذا الرجل من شدة خوفه وفزع من لقاء الله تعالى، وليس عنده عمل صالح، أراد أن يهرب من البعث والنشور بمثل ذلك، بأن يُحرق ثم يُطحن، ثم يُرمى الرماد في البحر ليتفرق.

(٣) متفق عليه.

(٤) البقل: كل نبات ليس شجراً أي ليس له جذع ولا ساق، ويطلق عادة على الثوم والبصل والنعناع، ونحوها.

(٥) متفق عليه.

فبعد النفخة الأولى في الصور التي يموت فيها جميع من كان حيًا.. وبيقون زمانًا لا يعلم قدره إلا الله تعالى.. يُنزل الله ماءً تنبت منه أجسادهم..

فإذا تكامل خلق الأجساد، سواء التي في القبور، أو التي في البحار والصحارى، والجبال والوديان.. كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

عندها يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فتطير الأرواح إلى الأجساد، فتعود الحياة للأجساد، وتنشق الأرض، ويخرجون أحياء من قبورهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ سَنَقُيْ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [لق: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [سورة يس: ٥١].

فيخرجون من الأجداث والقبور إلى موقف القيامة.

قال ﷺ: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبيتا ورفع لبيتا^(١). فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله^(٢)؛ فيصعق ويصعق الناس^(٣)، ثم يرسل الله - أو قال: يُنزل الله - مطرًا كأنه الطل^(٤) فينبت منه أجساد الناس، ثم تُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون^(٥)، ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، وقفوههم إنهم مسئولون^(٦)».

(١) أصغى لبيتًا: اللبت هو صفحة العُنُق، والمعنى أنه أطرق وأمال رأسه وأنصت بأذنه.

(٢) المعنى: يصلح الحوض لإبله ليجمع فيه الماء ليسقيها.

(٣) يصعق: يموت.

(٤) الطل: أي المطر الضعيف الصغير القطر، فينبت منه - أي بسببه - أجساد الناس.

(٥) وهي النفخة الثانية التي يقوم بها الناس من قبورهم.

(٦) رواه مسلم.

الأجساد تنبت كما ينبت النبات ..

نعم.. كما أن النبات يكون له بذر ينبت منه.. كذلك الأجساد يُنزل الله تعالى عليها المطر فتنبت من عَجَب الدُّنْب حتى تكتمل.. وقد وصف الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا لَّبِقًا لَا سُقْنَهُ لِبَدْرٍ مَّيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الاعراف: ٥٧].

الإنسان ينمو نمو البقل ^(١).. من عَجَب دُنْبِه.. وهو عظم الصُّلب المستدير الذي في أصل العَجْز.. وهو آخر فقرات الظهر من أسفله.



وقد تقدم بيان ذلك في قوله ﷺ: «ما بين النضختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبئون كما ينبت البقل. وليس في الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظم واحد وهو عَجَب الدُّنْب منه يُرْكَب الخلق يوم القيامة» ^(٢).

وقال ﷺ: «كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عَجَب الدُّنْب، منه خلق، وفيه يُرْكَب» ^(٣).

(١) البقل نوع من النبات ليس شجراً، بل يطلق على ما ليس له جذع وساق، مثل الثوم والبصل والنعناع والبقدونس، وهو عادة يتكاثر وتخضر منه الأرض.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي ومالك، صحيح.

هل يختلف الخلق عن خلقهم الأول؟

مسألة



الجواب: الظاهر عند التأمل في دلالات النصوص الشرعية من القرآن والسنة، أن طبيعة الخلق بعد البعث من الموت، تختلف عن طبيعته الأولى، في قدرات الجسد وتحمله، وغير ذلك.

وهذا لا يعني أن الذين يُبعثون يوم القيامة ويُحاسبون ويُجازون هم خلق آخر، أو أشخاص آخرون غير الذين كانوا في الدنيا، بل ما يحصل هو أن الله تعالى يعيد العباد أنفسهم الذين كانوا في الدنيا، لكنهم يختلفون في تكوينهم وقدراتهم عما كانوا عليه في الحياة الدنيا، فمن ذلك:

إبصار العباد ما لم يكونوا يبصرون، فإنهم يبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن، وما الله به عليم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [لق: ٢٢].

ومن ذلك أن أهل الجنة لا يئصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون.

ومن ذلك أنهم لا يموتون من شدة الجوع والعطش مع طول يوم القيامة.

وأن العصاة والكفرة منهم يحترقون في النار ولا يموتون، كما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾

[إبراهيم: ١٧].

❁ أول من تنشق عنه الأرض:

عند النفخ في الصور النفخة الثانية، وتشقق القبور ليخرج الناس منها، وذلك بعد اكتمال خلقهم في داخلها، فإن أول من يُبعث وتُنشَق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ.

كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من يُنشق عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفَّع»^(١).

وعن أبي هريرة قال:

«استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود»^(٢)، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي^(٣)، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم.

فقال ﷺ: لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيَّقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ^(٤)، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فَيَمِّنُ صَعِقَ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَتْنَى اللَّهُ ﷻ^(٥)»^(٦).

(١) رواه مسلم.

(٢) يعني تخاصماً فجعل كل منهما يسب الآخر.

(٣) أي غضب المسلم لأن اليهودي فضل نبي الله موسى ﷺ على نبي الله محمد ﷺ، فضرب المسلم اليهودي.

(٤) باطش أي: ممسك وأخذ بجانب عرش ربنا جل وعلا.

(٥) المعنى: أي لا أدري هل موسى ﷺ كان ممن أصابه الصعق بالنفخة مثل ما أصاب بقية الخلق، أم أنه ممن استثناه الله تعالى من الصعق كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، كما تقدم أن ممن لا يصعقون: الروح، والعرش، والحوار العين...، وقد فصلنا ذلك عند كلامنا عن النفخ في الصور.

(٦) متفق عليه.

وفي رواية «... فإنه يُنفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى فأكون أول من يُبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري: أحوسب بصعقة الطور، أم بُعث قبلي»^(١).

❖ حكم من أنكر البعث:

الإيمان بالبعث واليوم الآخر من أصول الإيمان، ومن أنكر البعث فقد كذب الله تعالى، وأنكر القرآن.

وقد قال ﷺ:

« قال الله: كذَّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، أما تكذبيهِ إِيَّاي: أن يقول إني لن أعيده كما بدأته! وأما شتمه إِيَّاي: أن يقول اتخذ الله ولدا! وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كُفْؤاً أحد»^(٢).

والإيمان بالبعث يتضمن الإيمان بإحياء الله تعالى الناس بعد موتهم، والحساب والجزاء والجنة والنار.

(١) متفق عليه، ويعني ﷺ بصعقة الطور، هي لما كلم الله تعالى موسى ﷺ، وموسى ﷺ عند جبل الواردة، وطلب موسى من ربه تعالى أن ينظر موسى إليه ﷺ، فأخبره الله تعالى أنه الآن وهو في الدنيا لا يستطيع ولا يتحمل رؤية الله تعالى، ثم تجلَّى الله تعالى للجبل الأصم الصلب، فإذا بالجبل لما رأى الله تعالى صار دكاً كثيباً رملاً وتفتتت صخوره الصم، فلما رأى موسى ﷺ حال الجبل وما حصل له، صعق من هول ما رأى، فنابنا محمد ﷺ في هذا الحديث يقول: لا أدري هل موسى صعق بالنفخة التي صعق بها الخلائق، ثم أفاق قبل أن يفيق النبي محمد ﷺ؟ أم أنه لما صعق عند جبل الطور، أعماه الله من الصعقة التي يصعق بها الخلائق، وقد وصف الله تعالى قصة موسى عند الطور بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَلَّتِنَا وَلَكُمُ رُبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا جَلَّى رُبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

(٢) رواه البخاري.

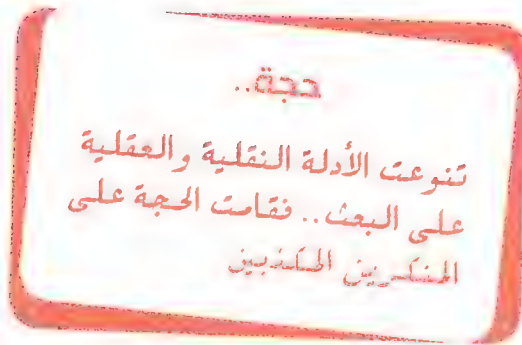
وختامًا.. فإن الناس إذا نُفخ في الصور وُبُعثوا من قبورهم.. من كل مكان في الأرض.. أمر الله تعالى بهم فحُشروا إلى مكان واحد..

• فأين هذا المكان؟

• وماذا يحصل فيه؟

• وكيف يستدلون عليه؟

هذا ما أفصله في المبحث القادم..



أهوال قيام الساعة

في يوم القيامة تُبدّل الأرض غير الأرض، وتبدل السموات، وتضطرب حركة الأكوان، ويتنزّل الجبار جل جلاله لفصل القضاء بين عباده.

- فكيف يكون حال السموات؟
- وكيف تُبدّل الأرض؟
- وماذا يحصل للعباد عند ذلك؟

- ١٤٩..... حال السموات والأرض يوم القيامة
- ١٥١..... تَنسُفُ الجبال
- ١٥٢..... تفجير البحار وتَسْجِيرُهَا
- ١٥٣..... دوران السماء وانفطارها
- ١٥٤..... لون السماء يومئذ
- ١٥٤..... تَكْوِينُ الشمس
- ١٥٥..... القمر
- ١٥٦..... النجوم والكواكب

أخبرنا الله تعالى عن أهوال يوم القيامة التي تشدهُ الناس، وتزلزل قلوبهم.
فالأرض تُزَلْزَل وتُنْكَر. والجبال تُسِير وتُنْصَف. والبحار تُفْجَر وتُسْجَر. والسماء
تَتَشَقَّق وتُمُور. والشمس تُكْوَر وتُكْصَف. والقمر ينطفئ ويُخْصَف. والنجوم تَنْكَدِر
ويذهب ضوؤها. وربنا يقبض الأرض بيده. ويَطْوِي السماوات بيمينه.

❁ حال السموات والأرض يوم القيامة:



دلّت نصوص الكتاب والسنة، على أن الله يقبض الأرض، ويَطْوِي السموات..

• فأما السموات:

فكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

والسَّجَل هو الكاتب أي المسجّل الذي يكتب في الورق، فإذا انتهى من الكتابة طوى كتابه، أي لفّ الكتاب وطوى بعضه على بعض، فهذا ما يحصل للسّموات يوم القيامة، حيث يطوي الجبار بعضها على بعض، ويَقْبِضُها بيده.. جل جلاله..

وقال ﷺ: « يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ »^(١).

وقال ﷺ: « يطوي الله سجّل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ »^(٢).

• وأما الأرض:

تكون يوم القيامة كما قال ﷺ: « تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدة يَتَكَفَّوْهَا الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خُبْزَتَه في السفر نُزْلاً لأهل الجنة.

فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم. ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال ﷺ: بلى. قال: تكون الأرض خُبْزَةً واحدة. فنظر النبي ﷺ إلى أصحابه ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالأمّ ونون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كَيْدِهِمَا سبعون ألفاً »^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه، والمراد بالنُّزْل: هو أول ما يوضع للضيف من طعام عند نزوله، وقوله بالأمّ أي ثور، ونون: حوت، والثور حيوان معروف كثير اللحم، والحوت معروف أيضاً سمك كبير عظيم في البحر.

❁ نَسْفُ الْجِبَالِ:

إذا نفخ في الصور يوم القيامة، فإن الأرض بما عليها من جبال صُمّ راسيات، وأشجار شامخات، وزروع ونباتات، تُحمل يوم القيامة فتُدك دَكَّةً واحدة.



قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۚ﴾ (١٤) **فيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ﴾ (الحاقة: ١٣-١٥).**

فتصير الجبال رملاً ناعماً كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْيَافًا مَّهِيلًا ۖ﴾ (المزمل: ١٤).

بل تكون الجبال لشدة الفزع والاضطراب كالصوف اللين المنفوش، بعدما كانت صلبة ثابتة، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۖ﴾ (القارعة: ٥)، والعِهْن هو الصوف.

ويزيل الله تعالى الجبال عن مواضعها، فلا يبقى في الأرض جبل، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠].

نعم.. تصبح الجبال سرايا يبدو لناظره من بعيد ماء، فإذا اقترب الإنسان لم يجده شيئاً، ثم تُنسف الجبال وتكون تراباً تلعب به الرياح!!، كما قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

هذا حال الجبال.. عند قيام الساعة.. أما البحار.. التي تغطي أكثر من ثلاثة أرباع الكرة الأرضية.. فلها شأن أعجب من شأن الجبال..

❁ تفجير البحار وتسجيرها:

البحار العظيمة الهائجة، العميقة الرهيبة، بما في باطنها من عوالم هائلة من الأحياء، تُفجّر يوم القيامة، وتُسجّر، وتشتعل نارا. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].



صورة توضيحية للبحار. ولا يعني أنها المقصودة في الآيات

وتفجير البحار هو امتلاؤها وغمرها لليابسة، أو تفجير مائها لُغْصَرِيه: الأوكسجين والهيدروجين؛ وتفجير ذرات هذين الغازين ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وتُسْجِرُ البحار هو إشعالها نارا، وقد يكون ذلك بفعل زلزال وتَشَقُّق في قيعان البحار فيتسرب ماء البحر ومعه المواد القابلة للاشتعال الموجودة في باطن الأرض مع سوائل مُلْتَهَبَةٍ داخل الأرض، فتشتعل وتظهر النيران على سطح البحار.

❁ دوران السماء وانفطارها:

في يوم القيامة تمور السماء مَوْرًا، وتضطرب اضطرابًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

تتحرك السماء، وتدور دَوْرَانَا وهي في مكانها كما تدور الرّحى، وتنْفَطِر وتتشقق كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نَشَقُّ السَّمَاءَ بِالسَّعْيِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

ولا ندري كيف تتشق السماء، لكنه جَزْمًا هو حال مرعب عصيب، كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَشَقَّتْ ۖ وَأَذَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ﴾ [الانشقاق: ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، تتصدع السماء، وتصبح ضعيفة واهية، بعد أن كانت شديدة عظيمة القوة.

(١) كما يقع في تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية اليوم.

❁ لون السماء يومئذ:



لون السماء الأزرق الجميل يتغير يوم القيامة، وتتلون السماء كما تتلون الأصباغ، فتارة حمراء، ثم صفراء، وأخرى خضراء، ثم زرقاء، كما قال تعالى: ﴿إِذَا أُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، فهي تتشقق فتكون لوناً بعد لون.

❁ تكوير الشمس:

الشمس عند قيام الساعة، ينطفئ نورها، ويذهب ضوؤها، فتُجمع وتُكوَّر، والتَّكْوِير: جمعُ الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، فيُجمع بعض الشمس على بعض، وقد ذهب ضوؤها ورُمي بها.

وقد يكون المعنى أن الشمس تبرد وتنطفئ وتكون بلا أشعة ولا لهب، كقشرة الأرض. كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]..

وقد يكون المعنى غير ما ذكر، والله أعلم.

صورة توضيحية للشمس في الفضاء، ولا يعني أنها المقصودة في الآية



القمر: ❁

صورة توضيحية للقمر في الفضاء، ولا يعني أنها المقصودة في الآيات



القمر يُخسف به ويذهب ضوؤه، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَّ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ﴾

(القيامة: ٧-١٢)

قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يجتمع الشمس والقمر في جهة واحدة، فيطلعان من جهة الغرب أسودين، لا نور فيهما.

❁ النجوم والكواكب:

نجوم السماء على اختلاف أشكالها، وتنوع أحجامها، وضوئها وجمالها، إذا قامت الساعة فإنها تتكبر وتنطفئ وتفقد جاذبيتها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۚ﴾ (التكوير: ٢)، وقال ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۚ﴾ (المرسلات: ٨)، ويتبع ذلك تناثر الكواكب المرتبطة بجاذبية تلك النجوم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۚ﴾ (الانفطار: ٢)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۚ﴾ (فاطر: ٤١).



صورة توضيحية للنجوم في الفضاء. ولا يعني أن هذا المقصودة في الآيات

ما هي النجوم التي يصيبها ذلك؟

مسألة



الجواب: الله أعلم بذلك، فلا ندري قد تكون نجوم مَجَرَّتِنَا، وقد تكون كل النجوم في السماء، والنجوم لا يعلم عددها ومواضعها إلا الله، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦]، لكننا نؤمن أن النجوم تَنَكِّدِر.

كل هذه الأحداث والتغيرات تقع قبل حشر الخلائق وجمعهم.. ويجمعون إلى أرض المحشر.. فكيف يُحشرون؟ وما الذي يحدث لهم في أرض المحشر؟

عقيدة..

ربنا وسع كرسيه السموات
والأرض.. يفعل بالأكران ما يشاء..

الحَشَر

الحشر، كلمة قليلة في مبناها كبيرة في معناها، تكررت في القرآن والسنة.

- فما هو الحشر؟
- وكيف يُحشر الناس؟ وأين يُحشرون؟
- وما هي أرض المحشر؟
- وما هي أنواعهم وأصنافهم في المحشر؟

مدخل.....	١٦١
الأدلة على الحشر.....	١٦٢
صفة أرض الحشر.....	١٦٢
مكان أرض الحشر.....	١٦٣
مقدار يوم الحشر.....	١٦٤
أنواع الحشر.....	١٦٥
صفة حشر الخلائق.....	١٦٨
لواء النبي ﷺ في أرض الحشر.....	١٧١
حال الناس في الحشر.....	١٧٢
شدة فزع الناس.....	١٧٤
حال المؤمنين في ذلك اليوم.....	١٧٥
هيئة حشر الكفار.....	١٧٦
أول من يكسى يوم القيامة.....	١٧٧
أول من يدعى يوم القيامة.....	١٧٧
أعمال تخفف شدة الحشر.....	١٧٨
حال العصاة في يوم القيامة.....	١٨٧
ذنوب لا يكلم الله أصحابها.....	١٩٠
ذنوب لا ينظر الله إلى أصحابها.....	١٩٥
ذنوب يلجم أصحابها بلجام.....	١٩٨
أقوام يلقون الله وهو عليهم غضبان.....	١٩٨

❦ مدخل

الحشر: هو جمع المتفرّق وضّمّه إلى مكان واحد.

والحشر يوم القيامة: فهو جمع الخلائق في موقف واحد لحسابهم والفصل بينهم.

سَمَّى الله تعالى يوم القيامة بيوم الجمع، لأن الله يجمع العباد فيه جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ جَمْعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ﴾ [هود: ١٠٣].

الكل يجمعهم الله.. الأولون والآخرين كما قال: ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠].

والله تعالى لا يعجزه شيء، فحيثما هلك العباد فإن الله آت بهم من أجواء الفضاء، وظلمات الماء، وأعماق الأرض، ومن بطون الطيور والحيوانات والأسماك، كل ذلك عند الله سواء، كما قال تعالى: ﴿أَيَّنْ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وعلمه محيط بهم، فلا ينسى منهم أحداً، قال ربنا: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [١٣] لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

نعم.. أحصى الله المخلوقات، عرّف ذكورهم وإناثهم، وصغارهم وكبارهم، وأحصى أعمالهم وأنفاسهم وأقوالهم، وهم جميعاً تحت قهره وسلطانه، وكل واحد سيأتي الله وحده، فيحكم الله في خلقه بما يشاء ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

فإذا قامت القيامة، حشر الله تعالى الخلق جميعاً، في مكان واحد.



❖ الأدلة على الحشر:

جاء إثبات الحشر في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

[الكهف: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال ﷺ: «إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيُسَمِّعُهم الداعي ويُنفِذُهم البصر»^(١).

❖ صفة أرض الحشر:

يُحْشَرُ الخلائق يوم القيامة في أرض بيضاء نقيّة..

قال ﷺ: «يُحْشَرُ الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقُرْصَةِ النَّقِيِّ ليس فيها معلم لأحد»^(٢).



قوله «كقُرْصَةِ النَّقِيِّ» هو الخبز المستدير المصنوع من دقيق القمح أو الشعير النقي من الغش والنُّخَالَةِ.

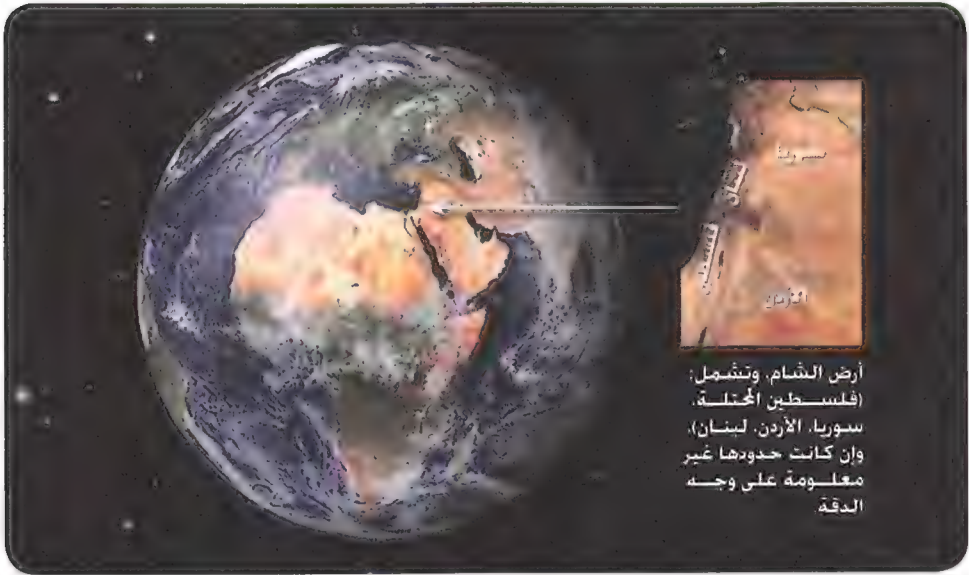
(١) متفق عليه. في حديث الشفاعة.

(٢) متفق عليه.

❖ مكان أرض المحشر:

أرض المحشر في الشام.. فإن النبي ﷺ أشار بيده إلى الشام وقال:

« ههنا، إلى ههنا تُحشرون: رُكبانًا، ومُشاة. وتُجرّون على وجوهكم. يوم القيامة أفواهكم الفِدام. تُوفُونَ سبعين أمة أنتم خيرها على الله، وأكرمهم على الله. وإن أول ما يُعرب عن أحدكم فَخِذُه »^(١).



قوله ﷺ: « أفواهكم الفِدام »:

الفِدام هي المِصفاة التي توضع على فم الإبريق فتمنع انسكاب الماء منه، والمعنى: أنهم مُنعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم، فشَبَّه ذلك بالفِدام الذي يُجعل على الإبريق، يحبس انصباب الماء.

(١) رواه البخاري.

❁ مقدار يوم الحشر:

يوم الحشر فيه يُقضى بين الخلائق، وتُكشف وجوه الحقائق، وتُفصل خصوصيات العباد.. فهو يوم طويل.. خمسون ألف سنة.. كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. والناس ينتظرون في فرعهم.. إلا من آمنه الله تعالى ورحمه..

ولطول ذلك اليوم ينسى الناس الزمن الذي عاشوه في الدنيا.. فهو ليس بشيء بجانب طول ذلك اليوم.. فيظن الناس أنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا إلا ساعةً من نهار استقصاراً لها بالنسبة لطول ذلك اليوم وهوله..

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّيْلِهِمْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]

وقال ربنا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

الناس في ذلك الموقف.. لا يلتفت أحد إلى أحد.. بل كل واحد يفكر في نجاة نفسه.. يفر المرء من أخيه.. وأمه وأبيه.. وصاحبه وبنيهِ.. وفصيلته التي تُؤويه.. ومن في الأرض جميعاً.. لينجو.. فلا أحد منهم يُنجيه.. يااااااااااا للهول.. نسي الحبيب حبيبه.. والخليل خليله.. نسيت الوالدة ما أرضعت.. والأم ما حملت..

كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۖ (٣٢) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) كُلٌّ آمِرٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنُ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَصْرُوهُمْ يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْدِرُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَصَحْبِهِ ۖ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: ١١-١٤].

يودّ المجرم لو يفتدي.. بولده وأمه وأبنائه.. لا يهمهم أن يهلكوا جميعاً لينجو..

ذاك يوم شاقّ عسير.. قال الله عنه: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَرِيًّا﴾ [الإنسان: ١٠]..

❁ أنواع الحشر

تقدم أن معنى الحشر هو الجمع والضّم، والخلائق عند قيام الساعة ينقسمون إلى نوعين، فمنهم الموتى في قبورهم، ومنهم الأحياء الذين تقوم عليهم الساعة، ويضعقون بالنفخة الأولى في الصور.

ومعلوم أن الساعة تقوم على شرار الناس، فإن الله تعالى يرسل قبل الساعة ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين، ثم بعد ذلك يتم حشر من بقي على الأرض من الأحياء.

وقد جاء في النصوص الشرعية، في القرآن والسنة، تفصيل كيفية حشر الخلائق وجمعهم، ولم يدع الله تعالى الأمر لتخروصات الناس وظنهم.

فالحشر نوعان:

• النوع الأول: حشر الأحياء:

صورة توضيحية لخروج نار من باطن الأرض،
ولا يعني أنها المقصودة في الحديث



وهو حشر الخلائق الأحياء،
فيُجمعون من كل أنحاء
الأرض إلى مكان واحد
في أرض المحشر في الشام،
والذي يجمعهم ويسوقهم هو
نار تخرج من قُفْرة عَدَن^(١).

قال النبي ﷺ: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات..» أي حتى
تروا قبلها عشر علامات من علامات الساعة كبار، وذكر النبي ﷺ هذه

(١) فصلت خبر هذه النار في كتابي الأول «نهاية العالم» ووضحت موضعها بالصور والخرائط.

العلامات ثم قال: «وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قُفْرَةِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَبَيَّتْ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا» ^(١) «^(٢)».

وقال ﷺ: «أما أولُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ» ^(٣).

وقال ﷺ: «إِنكُمْ تَحْشُرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا، وَتُجْرُونَ عَلَى وُجُوْهِكُمْ هَاهُنَا، وَأَوْمًا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ» ^(٤).

المفهوم من هذه الأحاديث أن النار تسوق الناس من أنحاء الأرض إلى موضع واحد في الشام، ثم يُنفخ في الصور النفخة الأولى وَيُضْعَقُونَ.

آخر من يُحْشَرُ من الناس:

الناس عندما تقبل عليهم النار وتُسَوِّقُهُمْ، يكونون مشغولين كعادتهم في أمور حياتهم، وظروف معاشهم، فتفاجئهم النار، وقد أخبر النبي ﷺ بآخر أهل الناس حشرًا، فقال ﷺ:

«أَخْرَجَ مِنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ يُعْقِضَانِ بَعْضُهُمَا فِجْدَانَهَا وَخُشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ خَرَا عَلَى وَجْهِهِمَا» ^(٥).

(١) صفة هذه النار: أنها تخرج من قعر عدن تشتعل وتسير على الأرض تتمدد فيهرب منها الناس متجهين إلى الشام، وهذه النار تظل تسوق الناس أيامًا وليالٍ، فهي تتوقف إذا وقفوا لبيبتوا - يناموا - وتتوقف إذا توقفوا ليقبلوا أي يناموا ظهرًا، أو قبيل الظهر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم، صحيح، والمراد هنا: أن الأرض التي يحشر إليها الخلائق، ويجمعون فيها موقعها في الشام.

(٥) رواه البخاري، والمعنى أن آخر من تسوقه النار رجلان يريعيان غنمهما، وهما من قبيلة مُزَيْنَةَ، وهي إحدى قبائل العرب المعروفة في نسبها وتاريخها في الجاهلية والإسلام وهي من القبائل العدنانية التي تنتسب إلى عَدْنَانَ من ولد إسماعيل عليه السلام وهناك الكثير من الصحابة والتابعين والشعراء الذين يرجع نسبهم إلى هذه القبيلة.

ففي هذا الحديث أوضح النبي ﷺ أن هذين الراعيين يزعيان غنمهما، فينزعان بها -أي يصرخان بالغنم- فيجدانها وحشاً -أي متوحشة- تنفر من الراعي بعد أن كانت أليفة مُستأنسة لهما، فيسير هذان الراعيان إلى جهة الشمال إلى الشام، فيمرّان المدينة النبوية، فإذا بلغا ثنية الوداع^(١) خرا على وجوههما -أي سقطا-.

فهذا هو النوع الأول من الحشر، وهو حشر الأحياء وسوقهم. أما الأموات في قبورهم فلهم حشر آخر.

• النوع الثاني: حشر الموتى:

ويكون ذلك بعدما ينفخ في الصور النفخة الأولى، ثم تمر فترة من الزمن وهي: أربعون، وبعدها يُنزل الله تعالى مطراً من تحت العرش، تنبت منه أجساد العباد وهم في قبورهم في مختلف نواحي الأرض.

فإذا تتأمت أجسادهم نماءً، يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فيخرج الأموات من قبورهم، ويُساقون إلى أرض المحشر، ليلتقوا بالأحياء الذي ماتوا بالنفخة الأولى.

(١) الثَّنيَّة هي المكان المرتفع، وقد اختلف المؤرخون في حقيقة المكان المسمى بثنية الوداع بالمدينة النبوية لأن الثنية في اللغة هي الطريق في الجبل، وفي المدينة أكثر من ثنية فأحدى الثنَّيات ثنية تقع بجانب جبل سلْع من جهته الشرقية قرب مسجد الراية اليوم حيث يمر بها اليوم القادمون والمسافرون إلى مدينة خيبر ومدينة تبوك وطريق الشام، كما يمر بها الزاهبون إلى الجامعة الإسلامية وكلية التربية بالمدينة، ولا يميزها إلا ارتفاع بسيط عما حولها، وقد غطاها اليوم الإسفلت حتى لا تكاد تظهر، لأن الأرض سُويت، وهي المعروفة اليوم بثنية الوداع لدى أهل المدينة، وما عداها لا يطلقون عليه هذه التسمية.

❁ صفة حشر الخلائق:

الخلائق يتنوعون؛ بشر، وحيوانات، وطيور، وأسماك، وكبار، وصغار، ومسلمون وكفار، كلهم يُحشرون، ويجمعون ليوم لا ريب فيه.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣) ..

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا لَأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة: ٤٩، ٥٠) ..

والله جل وعلا عظيم لا يعجزه شيء، فحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، كما قال تعالى: ﴿أَيُّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٤٨).

وقد وصف الله تعالى أنواع الحشر، فمن ذلك:

• حشر جميع الخلائق:

كما قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧).

• حشر الحيوانات والوحوش:

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥).

• حشر المجرمين:

وهم العصاة، بتنوع معاصيهم وجرائمهم، سواء وصلت المعصية لحد الكفر، أو لم تصل، فهؤلاء حشرهم في حال عسير، فيُحشرون رُزق العيون من هول الموقف.

كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢).



• حشر الظالمين وأمثالهم:

فأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿[الصافات: ٢٢ - ٢٣].

المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: أشباههم ونظراؤهم.

هل تحشر البهائم؟

مسألة



الجواب: نعم تُحشر البهائم كما تُحشر بقية الخلائق يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى عن حشر الوحوش: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]. وقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وليس من شرط الحشر والإعادة والجمع في القيامة أن يقع للحيوانات ما يقع للآدميين من المجازاة والعقاب والثواب ودخول الجنة والنار. وأما القصاص من الشاة القُرْناء للشاة الجَلحاء^(١) فهذا يقع لها في أرض المحشر، ثم يقال لها كوني تراباً.

كما قال ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْناء»^(٢).

(١) الشاة الجَلحاء: وهي الجَمَاء التي لا قرن لها، فلا تستطيع ضرب غيرها.

الشاة القرناء: الشاة التي لها قرن تنطح به، وتضرب.

(٢) رواه مسلم.

ما هو الفرع الأكبر؟

مسألة



الجواب: هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور، أما الصالحون فلا يفرعون كفرع غيرهم، لأنهم استعدوا ليوم القيامة، وأحبوا لقاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ (١٠) ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ سِرَاجَ الذِّكْرِ الْيَوْمَ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَشُرُورًا﴾ (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿[الإنسان: ١٠ - ١٢].

وقال ﷺ: «قال الله ﷻ: وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنت يوم أجمع فيه عبادي» (١).

لواء النبي ﷺ في أرض المحشر:

من إكرام الله تعالى لنبينا محمد ﷺ في أرض المحشر أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لواء النبي ﷺ يوم القيامة، فهو ﷺ إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» (٢).

وبيده ﷺ لواء الحمد، وما من نبي إلا تحت لواء نبينا محمد ﷺ:

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يَوْمئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» (٣).

(١) مسند الشاميين (٤٦٢) والصحيحة (٧٤٢) وصحيح الجامع (٤٣٣٢) صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي وأحمد (حسن).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه (صحيح).

❁ حال الناس في المحشر:

يوم الحشر يوم عظيم، طويل، عسير، تتعدد أنواع الناس، وتفاوت أصنافهم، لكنهم جميعاً يكونون كما وصفهم النبي ﷺ لما قال:

«يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»^(١).

«حُفَاةٌ»: غير منتعلين.

«عُرَاةٌ»: من غير لباس يستر العورات.

«غُرْلًا»: غير مَحْتُونين.

ثبت أن الإنسان يُبعث في الثياب التي مات فيها.. كما جاء عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جُدُد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»^(٢).

إشكال



وفي الحديث الذي قبله أن العباد يبعثون عُرَاة؟

فكيف نجمع بينهما؟

الجواب: أنهم يُبعثون عُرَاة ثم إذا كساهم الله في الآخرة كانت أول كِسوة من جنس ما مات فيه من الثياب.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، صحيح.

وقيل: المقصود بالحديث الشهداء، فإنهم الذين أمر الرسول ﷺ أن يدفنوا في ثيابهم التي ماتوا فيها، فيبعثون في ثيابهم تمييزاً لهم عن غيرهم.

وقيل: إن ما فعله أبو سعيد هو اجتهاد منه في فهم الحديث، وإلا فالمراد بالثياب في الحديث هي الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿وَبِأَبْكَ نُطَهِّرُ﴾ [الم نشر: ٤]؛ أي طهر عملك، فيبعث المرء على ما مات عليه من عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

يُؤَيِّده قوله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه» ^(١).

لذلك استُحبّ تلقين الميت (لا إله إلا الله) لتكون آخر كلامه من الدنيا وعليها يبعث يوم القيامة.

يحشر الناس عراة، فهل ينظر بعضهم إلى بعض؟

مسألة



الجواب: لما سمعت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث من النبي ﷺ، قالت: «يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟» فقال ﷺ: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» ^(٢).

يعني أن ما في قلوب الناس من الفزع، وما في نفوسهم من الرعب، وما يغشاهم من الخوف، يجعل كل واحد منشغلاً بنفسه عن النظر إلى غيره.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

❁ شدة فزع الناس:

وصف النبي ﷺ حال الناس فقال:



صورة قريبة للشمس في الفضاء،
ولا يعني أنها المقصودة في الحديث

« تُدْنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كَفْبِيهِ، ومنهم من يكون إلى رَكْبَتَيْهِ، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْهِ، ومنهم من يُلْجَمُه العرق إلْجَامًا »^(١).

وقال ﷺ: « يَفْرَقُ الناس يوم القيامة حتى يذهب عَرَقُهُمْ في الأرض سبعين ذراعًا وَيُلْجَمُهُمْ حتى يَبْلُغَ آذَانُهُمْ »^(٢).

وقال ﷺ: « يَقُومُ أحدهم في رَشْحِه إلى أنصاف أذنيه »^(٣).

وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة أذْنِيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين فَتَضْهَرُهُم الشمس »^(٤).

(١) رواه مسلم، والمعنى: أن الناس يكونون في ذلك اليوم في المشقة والعرق بحسب أعمالهم الصالحة، فمنهم من يصل العرق إلى عَقْبِيهِ أي فوق قدمه بقليل، ومنهم من يصل العرق إلى رَكْبَتَيْهِ، ومنهم من يصل العرق إلى حَقْوَيْهِ أي حوضه تحت سرتة، ومنهم من يلجمه العرق أي يغطي وجهه ورأسه فيغرقه. أما قدر ميل: فقال سُلَيْم بن عامر أحد رواة الحديث: فوالله ما أدري ما يَغْنِي بِالْمِيل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكْتَحَل به العين.

(٢) رواه البخاري، والمعنى: أنه من كثرة عرق الناس تشربه الأرض حتى يذهب فيها سبعين ذراعًا، ثم يرتفع حتى يبلغ من بعضهم أذنيه.

(٣) متفق عليه، والمعنى: أن العرق يصل إلى أنصاف الأذنين.

(٤) رواه الترمذي، والمعنى: أن الشمس تقترب حتى تُذِيب شحوم الناس فينصهر ويعرقون عرقًا كثيرًا.

❁ حال المؤمنين في ذلك اليوم:



مع شدة الفزع والاضطراب
في المحشر، وتبرؤ الناس بعضهم
من بعض، يكون للمؤمنين حال
آخر، فالمؤمنون تتلقاهم الملائكة
الكرام.. تُهدئ روعهم. وتطمئن
نفوسهم..

كما قال تعالى: ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

نعم.. لما امتلأت قلوبهم في الدنيا خوفاً من ربهم.. وتعظيماً لشأنه..
واستعداداً للوقوف بين يديه..

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٧) ﴿إِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧-٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي آمنين ولا خوفين:
إن هو آمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي. وإن هو خافني في الدنيا
أمنتُه يوم أجمع فيه عبادي» (١).

(١) رواه أبو نُعَيْم بإسناد حسن.

❁ هيئة حشر الكفار؛



يُحْشَرُ كُلُّ إِنْسَانٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَبَ
عَمَلِهِ، فَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُشَدَّدُ
عَلَى الْكَافِرِينَ، بَلْ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ عَلَى
الْكَافِرِينَ، وَاضْطِرَابِ قُلُوبِهِمْ، وَجَزَعِ
نَفُوسِهِمْ، وَارْتِجَافِ أَجْسَادِهِمْ، وَكَثْرَةِ
عَرَقِهِمْ، فَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ يُحْشَرُ عَلَى
أَحْوَالٍ تَدُلُّ عَلَى الذِّلِّ وَالصَّغَارِ..

فَمَنْ الْكَافَرُ مَنْ يُحْشَرُ عَلَى وَجْهِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (الأنعام: ٩٧).

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَحْشَرُ الْكَافِرَ عَلَى وَجْهِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ
يَمْشِيهِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» (١).

وَيُحْشَرُونَ عَطَاشًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ (مريم: ٨٦).
قَوْلُهُ تَعَالَى «وَرْدًا»: أَيُّ عَطَاشًا.

وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْكَافَرِ مِمَّنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ وَأَشْرَكُوا:
«فَيَقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا
تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ
فِي النَّارِ» (٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، قوله: تَرُدُّونَ: من الورود وهو الذهاب إلى الماء والتوجه إليه، والمعنى
أنهم يرون النار أمامهم فيظنونها ماءً.

❦ أول من يكسى يوم القيامة:

أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، كما قال النبي ﷺ:

«أيها الناس: إنكم تحشرون إلى الله حُفَاةً، عُرَاةً، غُرُلًا، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَّا كُنَّا فَعَلِينَ» ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة: إبراهيم عليه السلام»^(١).

ويكسو الله المؤمنين.. فهم أكرم على الله تعالى من أن يبقوا عراة كبقية الناس.. فيُكسَوْنَ الثياب الكريمة.. وتُعد لهم المراكب بحسب أعمالهم الصالحة، تحمل كلًّا منهم إلى مقامه الأمين ومقاعد العز والشرف.

❦ أول من يدعى يوم القيامة:

أول من يدعى يوم القيامة هو أبونا آدم عليه الصلاة والسلام.. كما قال ﷺ:

«أول من يدعى يوم القيامة: آدم. فتراءى ذريته فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أَخْرِجْ بَعَثْ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فيقول: يا رب، كم أَخْرِجْ؟ فيقول: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ. فقالوا: يا رسول الله، إذا أَخَذْنَا مِنْ كُلِّ مِائَةِ تِسْعَةٍ وَتِسْعُونَ، فماذا يَبْقَى مِنَّا؟ قال: إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري، والمعنى: أن آدم ﷺ لما كان أبا البشر، يقول الله تعالى له يوم القيامة: أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مَنْ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ، فيسأل آدم ربه جل وعلا: مِنْ كَمْ؟ فيقول الله تعالى: مِنْ كُلِّ أَلْفِ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، أي واحد في الألف إلى الجنة والبقية إلى النار، فلما سمع الصحابة ذلك فزعوا وقالوا: أَيْنَا يَكُونُ ذَلِكَ الْوَاحِدِ النَّاجِي، فأخبرهم ﷺ أنهم بالقياس إلى الأمم الأخرى هم قليل، فهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن البعث الذين يخرجون إلى النار هم من يستحقون دخولها بسبب ذنوبهم، لكن منهم من تنقذه المغفرة، أو الشفاعة، أو يدخل النار ثم يخرج فلا يخلد فيها.

❁ أعمال تخفف شدة الحشر:

مع كربات يوم القيامة يحتاج الناس إلى ما يخفف عنهم ذلك الهول والشدة، وقد ثبت أن هناك أعمال تنفع في الجنة وتُثقل الميزان، وكذلك هي تنفع في تخفيف هول الحشر وشدته. وأعمال المؤمنين متنوعة، منها ما ورد النص به أنه يُيسَّر وقوف العبد بين يدي الله تعالى، وهؤلاء العاملون المؤمنون، أنواع:

فمن هؤلاء: الذين يظلمهم الله في ظله: في ذلك اليوم العصيب، مع طوله، وعسره، وحرّه، وفزرعه.. وقد بلغ العرق والحر من الناس كل مَبْلَغ.. يميز الله تعالى أقواماً صالحين، فيظلمهم في ظل عرشه، وهم أنواع كثيرة، جاءت في أحاديث متعددة؛ منهم: السبعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل. وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(١).

ومنهم:

• المتحابون في الله تعالى:

الذين أحب بعضهم بعضاً لوجه الله تعالى، لا لأجل جمال أو منصب أو منفعة دنياء.



(١) رواه البخاري، والإظلال في ظل العرش ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع ابن حجر العسقلاني الخصال التي يظل الله أصحابها في كتاب سماه (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال).

قال ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»^(١).

• التاجر الذي يُنظر المُعسر أو يضع عنه:



رحمة الفقير وعدم التشديد عليه لها فضيلة، ومن ذلك إنظار المعسر أي تأخير مطالبته بالدين حتى يجد المال للسداد، أو مسامحته ببعض المال.

وقال ﷺ: «من أنظر مُعسراً أو وضع عنه، أظله الله يوم القيامة»^(٢)

وقال ﷺ: «من نَسَسَ عن غريمه أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»^(٣)

• الذي يُيسر على المعسر:

وهذا شبيه بما قبله، وهو التاجر الغني الذي يستلِف منه الفقراء، فلا يشدد عليهم في المطالبة بالسداد، بل يرفق بهم، ويتجاوز عن بعض ماله.

قال ﷺ وهو يذكر حال الناس يوم القيامة:

«أتى الله ﷻ بعبده أتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا رب، إلا أنك آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه أحمد.

وكان من خلقي أن أيسر على المُوسر وأنظر المُفسر. قال الله تعالى: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي»^(١).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا. فلما هلك قال: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك»^(٢).

• الذي يسعى بحاجة أخيه:



فاوت الله تعالى بين الناس في الغنى والفقر، والقوة والضعف، وكثرة العلاقات والمعارف أو قلتها، وغير ذلك..

ومن فضله الله تعالى بنعمة فينبغي له أن يساعد من حُرِمَ منها، ليظله الله في ظل عرشه يوم القيامة.

قال ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كُرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة. ومن يسر على مفسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٣).

(١) رواه الحاكم بإسناد صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه النسائي وابن جبان والحاكم بإسناد صحيح.

(٣) رواه مسلم.



• العادلون:

العدل صفة العظماء، وسَجِيَّة الحكماء،
من عمل به كان الريح جليسه، والتوفيق
أنيسه، يرتاح قلبه في الدنيا، ويرتفع
قدره في الآخرة، ويقل أعداؤه ومبغضوه،
ويكثر أصدقاؤه ومحبه.

أما الظلم، فهو صفة إبليس، ونازع الطهارة والتقديس، مَزْتَعِه وخيم،
ومُنْتَهَاه غير قويم، يسرع البوار لننازله، والدمار لفاعله.

ومن محبة ربنا تعالى للقسط والعدل، أنه يميز أهله يوم العرض عليه:

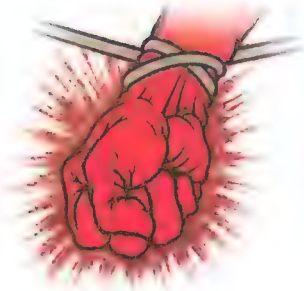
قال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور. عن يمين الرحمن،
وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُّوا»^(١).

يعدلون في:

- حكمهم: إذا حكموا بين الناس في الخصومات.
 - وأهليهم: لا يظلم زوجة ولا ولدًا.
 - وما ولُّوا: إذا ترأسوا على ولاية، فصار أحدهم ملكًا أو رئيس دولة، أو
مديرًا لشركة، أو مدرسة، أو غير ذلك.
- فهؤلاء إن عدلوا رفعهم الله تعالى على منابر من نور.

(١) رواه مسلم.

الكاظمون الغيظ:



الغضب صفة ذميمة، وعاقبته وخيمة،
وقد كان النبي ﷺ يوصي الرجل من أصحابه
ويكرر عليه قائلاً: « لا تغضب.. لا تغضب.. لا
تغضب »^(١)، لعلمه ﷺ بعاقبة الغضب.

فكم شتت الغضب شمل الأحباب، وفرّق الأصحاب، بل وأزهد الأرواح، ونشر
الخصومات، والشجاع العاقل البطل هو الذي يملك نفسه ويحكمها عند الغضب.

قال ﷺ: « ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(٢).

والكاظمون غيظهم، المتحكمون في غضبهم، يكافئهم الله تعالى يوم
القيامة: قال ﷺ: « من كظم غيظاً وهو يقدر أن يُنفِذه، دعاه الله على رؤوس
الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور العين شاء »^(٣).



المؤذنون:

النداء للصلاة قربة وعبادة، ولوعلم الناس
فضل الأذان لتسارعوا إليه، واستثموا عليه،
وكيف لا يكون المؤذن فاضلاً وهو يرفع
صوته بكلمة التوحيد، يجهر بها، ويعلمها.

قال ﷺ: « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم
القيامة »^(٤).

(١) رواه البخاري.

(٢) الحديث متفق عليه، ومعنى: الصُّرَعَة: هو القوي الذي يصرع الناس عند الجراك والمصارعة.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

وطول العُنُق جمال، وهو مناسب لما قاموا به من عمل صالح وهو الأذان، حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة، والمؤذن يشهد له يوم القيامة، كل رطب ويابس بلغة صوت أذانه في الدنيا.

قال أبو سعيد الخدري لعبد الرحمن بن صغصعة: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديته فأذنت للصلاة فارفع بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»^(١).



• الذين يشيرون في الإسلام:

الثبات على الإسلام، والموت عليه، فوز عظيم،
كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وأمر الله تعالى بتوقير الكبير، واحترام شببته،
وإشعاره بقيمته، كما جاء في قوله ﷺ:

« ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنّه »^(٢).

وقال ﷺ: « إن من إجلال الله إكرام ذي الشببة المسلم، وحامل القرآن غير
الغالي فيه والجل في عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط »^(٣)

وقال ﷺ: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »^(٤)

والشبيبة المسلم يكرمه الله يوم القيامة: قال ﷺ: « من شاب شببة في الإسلام
كانت له نورا يوم القيامة »^(٥)

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه الترمذي.

المتوضئون:



الوضوء مفتاح الصلاة، ومفتاح قراءة القرآن، والطواف، وعدد من العبادات.. ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن..

والوضوء هو شعار أمة الإسلام.. والمتوضئون يجدون أثر وضوئهم إذا وقفوا بين يدي ربهم.. ﷻ

قال ﷺ وهو يتحدث عن الناس يوم القيامة: «إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء»^(١)

وقال ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»^(٢).

والمراد به في الحديث النور. وهذه الغُرَّة، وذلك التَّحجيل يكون للمؤمن حلية تُزيّنه بين الناس يوم القيامة.

ففي يوم القيامة إذا اختلط الناس ببعض، وماجَت الأمم، واضطرب الأمر، عندها يعرف النبي ﷺ بصفة يختص بها أهل الوضوء والصلاة من الأمة، وهي الغُرَّة والتَّحجيل.

قال ﷺ: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة. وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأَنْظُر إلى ما بين يدي. فأعرف أمتي من بين الأمم. ومن خلفي مثل ذلك. وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك. فقال رجل:

(١) رواه البخاري، ومعنى قوله «غُرًّا»: هو جمع أَعْرَ، أي ذو غُرَّة، والغرة في الأصل اسم للفتحة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت اللفظة في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ، قوله «محجلين»: من التحجيل، وهو في الأصل بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الججل وهو الخلخال.

(٢) رواه مسلم.

يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم عُرِّ مُحَجَّلُونَ من أثر الوضوء»^(١)

أهل القرآن؛



القرآن عز في الدنيا، نجاة في الآخرة..
ومن أشغل ليله ونهاره بحفظ القرآن
وتدبره لا يستوي يوم القيامة مع
الكسول المعرض..

وقد مدح النبي ﷺ قارئ سورتي البقرة وآل عمران، وأنها تنجيانه يوم الحشر، وتخففان عليه.

فقال: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزُّهْرَ أَوْيْنَ: سورة البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَبَابَتَانِ، وكأنهما غَمَامَتَانِ، أو كأنهما فُرْقَانِ من طير صَوَافٍ، يُحَاجَّانِ عن صاحبهما. اقرأوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها بَطَلَةٌ»^(٢).

وقال ﷺ: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا ربِّ حَلِّهِ، فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة. ثم يقول: يا رب زِدْهُ، فيُلْبَسُ تَاجَ الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيَرْضَى عنه»^(٣).

(١) رواه أحمد وأحمد بإسناد صحيح.

(٢) رواه مسلم، ومعنى: غَبَابَتَانِ وتلفظ أيضاً بالياء غَيَابَتَانِ: الغَيَابَةُ: كل شيء أَظْلَمَ الإنسانُ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالسَّحَابَةِ وَغَيْرِهَا - ومنه حديث هلال رمضان «فإن حَالَتْ دُونَهُ غَيَابَةٌ» أي سَحَابَةٌ أو قَتَرَةٌ، وقوله «غَمَامَتَانِ»: مثنى غَمَامَةٍ، وهي السحابة المليئة بالمطر، وفُرْقَانِ من طير صَوَافٍ: أي مجمعتان من الطير الصافّة في السماء، تحاجان: أي تجادلان وتدافعان عن قارئهما، وقوله عن سورة البقرة لا تستطيعها البطلة: أي لا يستطيع السحرة التأثير بسحرهم على من يقرأ سورة البقرة ويكررها.

(٣) رواه الترمذي والحاكم، حسن.

• المحسنون:

أهل الإحسان والجود بالجاه، والمال والعلم، الذين يتفقدون الضعفاء، ويزأفون بالفقراء، وينصرون المظلوم، ويصلون المحروم، يفرّجون كربات المكروبين، ويخففون عن المغمومين، يخفف الله عنهم وينفّس كربات يوم القيامة. كما قال ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُفسّر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١).



• ناصرو الضعفاء:

جعل الله تعالى الناس في مراتب متفاوتة، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وقد يتسلط بعض الأقوياء على الضعفاء، فيظلمونهم بأخذ أموالهم أو إيذاء أجسادهم، أو منعهم حقوقهم.

ولكن يوجد من الأقوياء المتمكّنين مؤمنون أتقياء، ينصرون الضعيف، ويحمون حقه، وقد بشرهم النبي ﷺ، فقال: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة»^(٢).

ختامًا..

هذه بعض أحوال أهل الإيمان والتقوى في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه الإنسان مال ولا جاه ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

نعم.. سليم من الشرك والغش والحسد، مليء بالإيمان والصدق والتقوى.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم وغيرهما، وهو صحيح.

✽ حال العصاة في يوم القيامة:

كل من مات على عقيدة التوحيد، سليماً من الشُّرك، ناجياً من عبادة غير الله تعالى، لكنه ارتكب معاصٍ متنوعة، كباراً كانت أو صغاراً، فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وقد جاء في أحاديث كثيرة وصف أحوال العصاة في أرض المحشر، وهم أنواع وأشكال وأحوال، وكذلك جاءت أحاديث مبشرة ومحذرة، ومرغبة ومرهبة، وقد حذر النبي ﷺ من أعمال يكون أصحابها في حال رديء في المحشر، ومن هؤلاء:

• مانعو الزكاة:



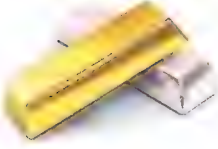
وهؤلاء على خطر عظيم، فقد منعوا حق الله تعالى في المال، ومنعوا حق الفقير أيضاً، فهم لجشعهم وبخلهم وضعف إيمانهم.. منعوا الحقوق.. وهؤلاء.. حالهم في المحشر شديد..

قال ﷺ: « من آتاه الله مالا فلم يؤدَّ زكاته مُثِّلَ ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة. ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ^(١) ».

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿التوبة: ٣٤ - ٣٥﴾.

(١) رواه البخاري.

وقال ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار^(١) فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى نار.



قيل: يا رسول الله، فالإبل؟

قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وُرُودها إلا إذا كان يوم القيامة بُطِح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطوّه بأخفافها وتعضّه بأفواهها، كلما مر عليه أو لاهأ رُدَّ عليه آخرها^(٢)، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى نار»



قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟

قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر،



(١) صفائح: جمع صفيحة وهي القطعة العريضة من الحديد والنحاس، أو الذهب والفضة، والمعنى: أن ماله من ذهب وفضة يجعل صفائح، يحمى يوم القيامة حتى يكون ناراً، فيكوى بها.

(٢) قوله: (بطح لها بقاع قرقر) بطح أي: ألقي على وجهه، وقد يكون على ظهره، لأنه جاء في رواية البخاري يخبط وجهه بأخفافها، القاع: المستوي الواسع من الأرض، وجمعه قيعان، والقرقر: المستوي من الأرض الواسع، وهي تمر عليه أوفر ما كانت أي: أكثر ما كانت عدداً وأسمناً وأعظمها، قوله «لا يفقد فصيلاً»: الفصيل هو صغير الإبل، أي أن جميع إبله تطوّه بأخفافها؛ والخفّ هو موطن قدم البعير، فهي عقوبة له تطوّه بأخفافها، وتعضه بأفواهها وأسنانها، إهانة له وعقوبة، وهي تتابع عليه كلما مر عليه آخرها عاد إليه أولها من جديد، فلا تزال تطوّه طوال يوم المحشر.



لا يفقد منها شيئاً. ليس فيها عَصَاءٌ وَلَا جُلُوءٌ
وَلَا عُضْبَاءٌ^(١)، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها،
كلما مر عليه أو لاهأرَدَّ عليه أخرها^(٢). في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله
بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى نار»^(٣).

• المتكبرون؛



الكبر داءٌ وبيل.. والمتكبر لا يحبه الله تعالى، ولا
يرفعه، بل لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
ذرة من كبر.

المتكبر ينفر منه الناس، ويُغضه الأكياس..
ويكرهه الكبار والصغار..

وقد بين النبي ﷺ حالهم في القيامة فقال:

«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي صُورِ
الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»^(٤).

والذَّرُّ صغار النمل، وصغار النمل لا يعبا به الناس، فيطؤونه بأرجلهم
وهم لا يشعرون.. فكَذَلِكَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَشِدَّةِ احْتِقَارِهِمْ وَازْدِرَائِهِمْ
يَطْوَهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ..

(١) العَصَاء: الملتوية القرون، والجلعاء: التي لا قرن لها، العُضْبَاء: مكسورة القرن، والمقصود بالحديث أن هذه الدواب تكون تامة الخلق ليتعذب بها.

(٢) القرون جمع قرن - وهو معروف - وهو شيء مثل العظم البارز فوق رأس الشاة من الغنم، والأظلاف جمع ظلف وهو موضع قدم الشاة، وهي تمر عليه كلها تطؤه كلما مر آخرها رجعت من جديد إليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

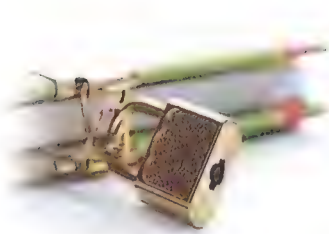
❁ ذنوب لا يكلم الله أصحابها:

نعم.. أقوام يوم القيامة يلقون الله تعالى وقد تَلَطَّخُوا بذنوب استحقوا بها أن لا يكلمهم الله تعالى.. وذلك لشدة حقارتهم.. ودُنُو مرتبتهم.. وقبح أعمالهم..

فالعذاب والنكال الذي يصيب المذنبين المكذبين متنوع، ومن ذلك إعراض الله تعالى عن العبد، فلا يكلمه ولا ينظر إليه.

وقد ذكر الله تعالى بعض هؤلاء في كتابه، وذكر النبي ﷺ بعضهم في سنته، تحذيرًا من فعلهم. منهم:

• الأخبار والرهبان والعلماء:



وهم الذين يكتمون العلم الشرعي، ويغيرون الفتوى الشرعية إرضاء لأحد، أو تحقيقًا لمصلحة شخصية، أو طلبًا لعرض دنيوي، ويتركون الجهر بالحق مع قدرتهم على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَكُونُ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[آل عمران: ٧٧].

• المسبيل:

المسبيل: هو الذي يجعل ثوبه تحت الكعبين. وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال، كما قال ﷺ: «ما تحت الكعبين من الإزار فضي النار»^(١)، وقد حذر ﷺ من إسبال الثياب، وأخبر بوعيد في المحشر للمسبيل.



• المنفق سلعته بالحلف الكاذب:

الإكثار من الحلف عموماً أمر مكروه، يقول ربنا تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، فكيف إذا كان الحالف كاذباً؟! فالأمر يكون أعظم والذنب أكبر.

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب: الذي يبيع بضاعة ويقسم بالله العظيم على جودة بضاعته، ليشتريها الناس، وهو كذاب.



• المنان:

المنان: هو الذي يعطي الناس الشيء ثم يمتنّ عليهم به ويذكر إحسانه إليهم على سبيل الإذلال لهم.

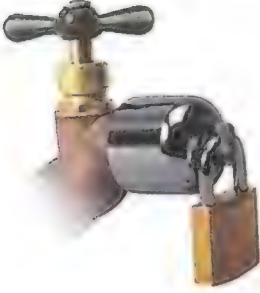
وفي هؤلاء جميعاً، روى أبو ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال:

«ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلت: يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا! ثم أعادها رسول الله ثلاث مرات. ثم قال: المسبيل. والمنفق سلعته بالحلف الكاذب. والمنان»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

• الباخل بالماء:



البخل عموماً خلق قبيح، يدل على دناءة النفس، وخبث الطبع، فكيف إذا كان الإنسان يبخل بما لا يضره بذله، مع شدة حاجة الناس إليه، وهو أن يبخل بالماء، الذي أخبرنا النبي ﷺ أن الناس شركاء فيه.

• ناقض البيعة:



المواثيق والعهود، والاتفاقات والعقود، وبيعة الأمراء على الطاعة، لها شأن كبير، والتلاعب بالعهود والمواثيق، أو الاحتيال في ذلك، عظيم خطره، كبير ضرره.

وفي هؤلاء جميعاً، قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعته بعد العصر، ورجل بايع إماماً، فإن أعطاه وفقى له، وإن لم يعطه لم يف له»^(١).

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود، والمعنى: ابن السبيل هو المسافر الذي تقضى نفقته أثناء طريقه في سفره، فيحتاج إلى شربة ماء، فيقف عند رجل عنده ماء زائد عن حاجته، فيمنعه أن يشرب منه، بخلاً وجزعاً، والذي يبيع سلعته بعد العصر فيحلف أثناء عرضه سلعته للناس ليقتنعهم بشرائها، وكثرة الحلف في بيع السلعة حرام حتى لو كان صادقاً، وإذا كان كاذباً كان إثمه أعظم وأكبر، وقوله «يحلف بعد العصر» هو على الأغلب: لأن أكثر تباع الناس بعد العصر، وإلا فالحلف في البيع حكمه واحد في جميع الأوقات، والثالث الرجل الذي يبايع إماماً على أنه أمير له السمع والطاعة فإن أعطاه هذا الأمير أموالاً وعطايا وفقى له هذا الرجل ببيعته، وإن منعه الأمير ولم يعطه خافه ونقض العهد.

• الشيخ الزاني:



المقصود بالشيخ هنا هو الرجل الذي تقدمت به السن حتى كبر وشاخ.

وبعض الناس لخبث نفوسهم، وضعف إيمانهم، وجرأتهم على معصية ربهم، واستخفافهم بالدين، تجد أنهم: يقعون في المعصية مع ضعف الداعي إليها.

وبالمثال يتضح المقال:

فالرجل المتقدم في سنه، الشيخ الكبير، الذي رقق عظمه، وضعفت شهوته، وقل انجذاب جسده للشهوة، فإنه بهذا الحال إذا ارتكب فاحشة الزنا، صار ذنبه أعظم وأطم وأخنع من الشاب الذي ربما دفعته شهوته للفاحشة.

مع العلم أن:

الزنا عموماً كبيرة من كبائر الذنوب، والزاني شيخاً أو شاباً رجلاً أو امرأة، قد هتك الستر بينه وبين الله، واستتر من الخلق، وانتهك حرمة نظر الخالق.

• الملك الكذاب:

والملك الكذاب: جاء فيه هذا الوعيد؛ لأن الدافع للشخص إلى الكذب هو الرغبة في رفع شأن نفسه عند الناس فيصطنع القصص والبطولات ليرفع نفسه عند الناس، أو يكذب ليجذب أنظار الناس إليه، أو ليكتسب الدنيا..

أما الملك فهو غني عن ذلك.. فالناس مقبلون عليه.. رافعون له.. والدنيا حاضرة بين يديه.. فلماذا يكذب؟ إلا لخبث نفسه، واستخفافه بشرع الله، وعدم تعظيمه لربه..

وهذا لا يعني أن الكذب يجوز لغير الملك، كلا.. بل الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار..

• الفقير المتكبر:



وكذلك العائل المستكبر: وهو الفقير، رث الثياب، خشن الفراش، رديء المركب، متهدم البيت.. ومع ذلك يتكبر على الناس، ينظر للناس من علو، ويسلم بطرف يده تكبراً، ويمشي في الأرض مرحاً متبختراً.. مع أنه لا يملك من متاع الدنيا ما يدعو به إلى الكبر..

مع أن الكبر مذموم مطلقاً سواء صدر من غني أو فقير. وفي هؤلاء جميعاً، قال ﷺ:

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر »^(١).

فهؤلاء لا يكلمهم الله تعالى لعظم ذنبهم.

(١) رواه مسلم والنسائي.

❦ ذنوب لا ينظر الله إلى أصحابها:

كما أن أقواماً لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة، فكَذَلِكَ أَقْوَامٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ، احْتِقَارًا لَهُمْ، وَإِزْرَاءً عَلَيْهِمْ، وَكِبْتًا وَإِذْلَالًا.

وقد ذكر النبي ﷺ أنواعاً من الذنوب، لا ينظر الله تعالى إلى أصحابها، فإذا أعرض الله تعالى عن العبد، فلم ينظر إليه، فقد خاب العبد وخسر..

ومن هؤلاء الذين جاء ذكرهم في السنة:

• المسبل إزاره خيلاء:

الإسبال في الثياب، وجَرَّها تحت الكعبين، معصية لله، والأصل أن يلبس المسلم ثوبه وإزاره فوق الكعبين.

فإذا اجتمع الخيلاء والكبر مع الإسبال صار الذنب أعظم، فلم ينظر الله إليه يوم القيامة تحقيراً وعقوبة.

قال ﷺ: « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ بَطْرًا »^(١).

وقال ﷺ: « الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ، مِنْ جَرٍّ مِنْهَا شَيْئًا تَخِيلاً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢).

(١) متفق عليه، والبطر هو: الكبر والخيلاء والغرور بالنفس.

(٢) أبو داود والنسائي وابن ماجه.

• العاق لوالديه:

عقوق الوالدين ذنب عظيم، وتَنَكَّرُ للجميل، وقد جعل الله تعالى حق الوالدين تابعاً لحقه، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [التنمآن: ١٤].

وبر الوالدين طريق لسعادة الدارين، كما قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهَ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ^(١)، وأخبر النبي ﷺ بسوء حال العاق في المحشر، فلا ينظر تعالى إليه.



• المرأة المتشبهة بالرجال:

تشبه أحد الجنسين بالآخر في لباسه أو كلامه أو تصرفاته، أمر مذموم، واضطراب في الشخصية، وباب فساد في المجتمع.

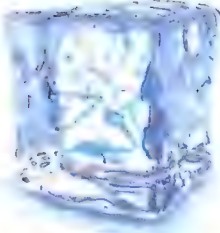
وقد انتشر في زماننا هذا عبر بعض صفحات الإنترنت، وعدد من القنوات الفضائية الفاسدة الترويج لأنواع من الشذوذ والتشبه، فصار الرجل يلبس لباس المرأة، والمرأة تلبس لباس الرجل.

والأعظم من ذلك أن يصل التشبه بالرجل أو المرأة إلى أن يقلب جنسه الذي خلقه الله تعالى عليه إلى الجنس الآخر، وذلك بالعمليات الجراحية، وأدوية الهرمونات، وغير ذلك، فيقلب الرجل نفسه امرأة، أو المرأة تقلب جنسها إلى رجل.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا كل أنواع التشبه بين الجنسين، وأخبر أن من فعله لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

• الدِّيُوثُ:



الديوث هو الرجل الذي يُقَرّ الخبث في أهله؛ في زوجته وبناته وأولاده، ولا يهتم بحماية أسرته من الفساد، ولا يأمر أهله بالستر والحجاب، بل ربما وقعت بعض نسائه في المنكرات والعلاقات المحرمة، ولا يغار لذلك ولا يغضب، فهو فاقد المروءة وعديم الرجولة فهذا دِيُوث.

وقد قال ﷺ في وصف هؤلاء جميعاً: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والدِّيُوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»^(١).

• من أتى امرأة في دُبُرِها:

فطر الله تعالى الرجل والمرأة على ميل كل منهما إلى الآخر، وجعل للعلاقة بينهما طريقاً شرعياً، وحرم غيرها، ومن أكبر الكبائر إتيان الرجل امرأته في دبرها، قال ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دُبُرِها»^(٢).

وتوعد النبي ﷺ من فعل ذلك بأن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، فقال ﷺ: «إن الذي يأتي امرأته في دُبُرِها لا ينظر الله إليه»^(٣).

(١) رواه النسائي، صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، صحيح.

(٣) رواه النسائي، صحيح.

❁ ذُنُوبُ يُلْجَمُ أَصْحَابُهَا بِلِجَامٍ :



وَاللِّجَامُ: هُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى فَمِ الْفَرَسِ.
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُلْجَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ عِيَادًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، هُمُ
الَّذِينَ يَسْتَفْتِيهِمُ النَّاسُ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ،
وَمَعَ ذَلِكَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ، وَلَا يَعْلَمُونَ
النَّاسَ دِينَهُمْ، مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَى نَشْرِ
الْعِلْمِ، وَلَا ضَرَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَشْرِهِ.

قَالَ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ
أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ»^(١).

❁ أَقْوَامٌ يَلْقَوْنَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِمْ غَضَبَانُ :

نَعُودُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَضَبِهِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَعْمَنَا بِحِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ،
قَالَ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ،
لَقِيَ اللَّهَ ﷻ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(٢).

• الْأَثْرِيَاءُ الْمُنْعَمُونَ :

الاستمتاع بنعم الله تعالى، مع الاعتدال في ذلك، وعدم الإسراف، أمر
مباح، وقد يُؤَجَّرُ المرءُ عليه إذا قام بشكرها وحمد الله عليها.

(١) رواه أبو داود والترمذي، صحيح.

(٢) متفق عليه.



لكن المبالغة في الأكل والشرب،
والإسراف في ذلك أمر مذموم،
وقد سمع النبي ﷺ رجلاً عنده
تجشأ فكانه ﷺ كره ذلك، وقال:
« كَفَّ عَنْ جُشَائِكَ، فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ
شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جَوْعًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ »^(١).



وقال ﷺ: « إِنْ أَكْثَرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا،
فَنَفَخَ فِيهِ بِيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ
وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا »^(٢).

وقال ﷺ: « الْأَكْثَرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا
وَهَكَذَا، وَكَسَبَهُ طَيِّبٌ »^(٣).

• حال الفادر يوم القيامة:

الغدر والخيانة من صفات المنافقين، فالمنافق إذا عاهد غدر، ومن أمّنه
الناس على أموالهم، وعهودهم، ومواثيقهم فخان وغدر، فإنه يُفضح يوم
القيامة، بل أعظم من الفضيحة.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، صحيح، ومعنى تجشأ أي: أخرج جُشَاءَهُ، وهو هواء يخرج من الفم يدل على امتلاء المعدة بالطعام.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه.

قال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء، فقليل: هذه غُذرة فلان ابن فلان»^(١).



والغادر: هو الذي يغدر، فيُعد بالشيء ولا يفي به، ويخون أمانته..

واللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، والناس تبغ له.

فالغادر تُرفع له راية تبين أنه غادر، فيُضح بذلك يوم القيامة.. وتُجعل هذه الراية عند مؤخرته: قال ﷺ: «لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة»^(٢).

وكلما كانت الغدرة أكبر ارتفعت الراية أكثر: قال ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامّة»^(٣).

أمير العامة: الحاكم الرئيس على الناس، لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير، وهو يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر، وأيضا هو إذا غدر لم يستطع المغدور أن ينتقم منه أو يستخرج حقه؛ لغلبته وسلطانه.

ويلحق به كل رئيس، سواء على عمال في شركة فلا يوفي بعقودهم، أو مدير مدرسة أو جامعة، أو كل صاحب سلطة يتلاعب بالعقود بعد إبرامها.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، ومعنى قوله «إسته» أي عند دبره، مقعدته.

(٣) رواه مسلم.

الغادر في الجاهلية

مائدة

كانت العرب في الجاهلية ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج، وكذلك يُطاف بالجاني مع جنايته، فإن كان سارقاً طافوا به بين الناس ومعه ما سرق، لفضيحته ورذعه.

• الغال من الغنيمة:

الْغُلُولُ هو: السرقة من الغنيمة قبل أن تُقَسَّم بين المجاهدين.

والغنيمة: هي ما يحصل عليه المجاهدون المسلمون، بعد انتصارهم على عدوهم، من أموال الأعداء ومتاعهم..

وقد توعده الله تعالى أهل الغُلُول، فقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ولعظمة أمر الغُلُول، كان النبي ﷺ يجتهد في تحذير أصحابه منه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغُلُول فعظمه، وعظم أمره، ثم قال:

« لَا أَلْفَيْنَ أَحَدِكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ^(١)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي! فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

(١) الرُّغَاء: هو صوت البعير.

لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ،
فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ، فَيَقُولُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ.

لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ^(١).

فهؤلاء كلهم أهل سرقة وغُلُول.. فيأتي أحدهم حاملاً على ظهره وعلى
رقبته ما غلّه وسرقه، وهو معذَّب بحمله، متعب بثقله، مرعوب بصوته،
مفضوح بإظهار خيانتته على رؤوس الأشهاد.

ومن الغُلُول:

- غلُولُ الْحُكَّامِ مِنْ أَمْوَالِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ.

- وَغُلُولُ الْمُوظَّفِينَ مِنْ أَمْوَالِ وَظَائِفِهِمْ.

- وَغُلُولُ الْعَمَالِ وَالْوَلَاةِ مِنَ الْأَمْوَالِ الْعَامَةِ.

وقد ورد الوعيد والتخويف من ذلك:

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم، ومعنى الحديث: أنه إن غل وسرق بغيراً جاء يحمله يوم القيامة على ظهره والبغير له رغاء، والرغاء صوت البعير، أو فرس له حمحمة وهو صوت الفرس، أو شاة لها ثغاء وهو صوتها، وقوله: «نفس لها صياح» أي قد غل وسرق أي شيء من الغنيمة، إما حيوان أو عبد مملوك، أو غيره، أو سرق وغل صامتاً: أي ذهباً أو فضة.

فقد كان رسول الله ﷺ يبعث بعض الصحابة ليجمعوا الصدقات من البوادي والقبائل.. فبعث رجلاً من قبيلة الأزد يقال له ابن اللثبيّة ليجمع الزكاة.. فكان يأتي صاحب الإبل أو الغنم فيأخذ منه زكاته الواجبة، فكان صاحب الغنم أو الإبل يعطيه الزكاة الواجبة ليوصلها إلى رسول الله ﷺ ليقسمها للفقراء، ويعطي أيضاً ابن اللثبيّة هدية خاصة له. فاجتمع له إبل وغنم بعضها زكاة واجبة، وبعضها هدايا له. فأقبل بها يسوقها، حتى إذا وصل المدينة توجه بها إلى رسول الله ﷺ. وقال: هذا لكم، وهذا أهدي لي.

فغضب النبي ﷺ كيف يأخذ هدايا وهو موظف يستلم أجره من بيت مال المسلمين، ولو فُتح الباب للعمال أن يأخذوا هدايا ربما أدى ذلك إلى تساهلهم بأعمالهم أو قبولهم لرشوة.. أو نحوه.. فأراد ﷺ أن يسد الباب تماماً..

قام ﷺ على المنبر وقال: «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول: هذا لكم وهذا لي!! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي منه بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته: إن كان بغيره له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»^(١).

وهذا حديث عظيم، وذلك أن تساهل الموظفين بقبول الهدايا مع الناس، كأن يقبل المدرس هدايا طلابه، وأستاذ الجامعة كذلك، أو الموظفون في مصالح الناس في البلديات والمستشفيات العامة، والجهات الأمنية من شرطة وغيرها..

كل هذا سيؤدي إلى محاباة من يهدي وإهمال غيره، وإكرام القوي الغني وإهمال الفقير الضعيف.

(١) رواه البخاري ومسلم.

فلا يجوز قبول الهدايا أبداً ما دمت أخذتها بسبب وظيفتك، وإلا جئت بها على رقبتك تحملها يوم القيامة، ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة.

• غاصب الأرض :

الغاصب هو الذي يأخذ الشيء غنوة بالقوة والسلطة، وقد ابتلينا اليوم بأقوام يغصبون أراضي الناس، أو أراضي النفع العام، يستولون عليها ظلمًا بوسائل مُلتوية أو بالاحتيال.

وقد جاء الوعيد الشديد على من فعل ذلك.

قال ﷺ: « من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين »^(١).

• الذي يسأل وله ما يغنيه :

الفقير المتعفف الذي يكتفي بقوت يومه، ويحمي حرّ وجهه عن سؤال الناس، ولا يُذل نفسه لأحد، هذا أفضل ممن يسأل الناس ويستجديهم، ويشتكي إليهم فقره وحاجته.

والأقبح من ذلك هو الذي يسأل الناس مُستجدياً مستعطفاً، وعنده ما يكفيه من ملابس ومطعم ومشرب، وقد حذر النبي ﷺ ممن هذا حاله، فقال:

« من سأل وله ما يغنيه، جاءت مسأله يوم القيامة خُدوشاً أو خُموشاً أو كُدوحاً في وجهه. قيل: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب »^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، ومعنى قوله: خدوش، خموش، كدوح: هي ما يصيب الوجه من أثر إذا جرح بالأظفار الصلبة الحادة، سواء أظفار إنسان أو حيوان.



• الذي لا يحافظ على الصلاة:

الصلاة أحد أركان الإسلام..

ومبانيه العظام..

الصَّلَاة.. قرّة عيون الموحّدين..

ولذة أرواح المحبين..

عبادة.. عظم الله أمرها..

وشرف أهلها..

وهي آخر ما يذهب من الإسلام.. وآخر ما أوصى به النبي ﷺ.. وأول ما يسأل عنه العبد بين يدي الملك العلام.

فحمد الله العظيم الذي أذن لنا بالوقوف بين يديه.. والإقبال بالقلوب عليه.. وشكاية الحاجات إليه..

إنَّ الصَّلَاةَ صِلَةً ولِقَاءً.. بين العبد في الأرض.. والرب في السماء..

ولقد كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر فزَع إلى الصلاة..

والصلاة تنفع أصحابها في المحشر، كما قال رسول الله ﷺ في شأن الصلاة:

« من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف^(١). »

(١) رواه أحمد وابن حبان وإسناده صحيح.

• المُغْتَاب والنَّمَام:

- المُغْتَاب: هو الواقع في الغيبة، والغيبة ذكرك أخاك في غيبته بما يكره.
- النَّمَام: هو الذي ينقل الكلام السيء بين الناس للإفساد بينهم.

وهذه أمور عمّ البلاء بها وحصل بسببها فساد عظيم، وأولئك من أشر الناس وأكثرهم إفساداً إذ لهم لسان مُتَقَلَّب يتكلم بحسب الهوى والشهوة.

ولهم حال مخيف في المحشر، كما قال ﷺ:

«من أكل لحم أخيه في الدنيا قُرب له يوم القيامة، فيقال له: كُلْهُ مَيْتًا كما أكلته حياً، فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ»^(١).

• ذو الوجهين:

ذو الوجهين: هو المتلاعب المتلون المحتال، الذي يلقي هؤلاء بوجهه، وهؤلاء بوجهه.

قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»^(٢).



(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في المعجم الأوسط، حسن الإسناد، ومعنى يَكْلَحُ: الكُلُوحُ:

التكشير في عبوس، يصيح: يرفع صوته بالصراخ والبكاء.

(٢) رواه أبو داود وغيره، صحيح.

• المصوّرون:



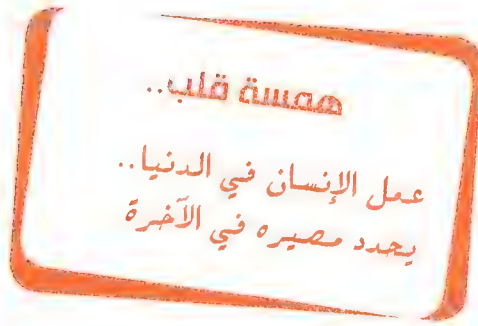
التصوير أنواع وأشكال، وقد اختلف أهل العلم في حكمه بناءً على تنوع أشكاله، لكنهم أجمعوا على تحريم صنع التماثيل، خاصة إذا كانت على صور الزعماء والعظماء.

قال ﷺ: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أخبثوا ما خلقتكم»^(١).

وقال ﷺ: «من صور صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»^(٢).

ختامًا:

فهذه أحوال بعض الناس في يوم الحشر. أما كيف يبدأ الحساب؟ وكيف تُوزع الصحف؟ ومتى يقرأ الناس صحف أعمالهم؟ وكيف يُسألون عنها؟ فهذا ما أتحدث عنه في الصفحات التالية..



(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

نَشْرُ الصُّحُفِ

في يوم الحشر يُعطى كل عبد كتابه المشتمل على سجل أعماله التي عملها في الحياة الدنيا ويقال له:

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

- فما الصحف؟
- وما المكتوب فيها؟
- وكيف يأخذها العباد؟

مدخل ٢١١

قسم يُعطى كتابه بيمينه ٢١١

قسم يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره ٢١٢

✿ مدخل

كل عبد له صحيفة مُسجَّلة فيها أعماله خيرا وشرها، وهذه الصحيفة كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وفي المحشر يعطى كتابه ليقرأه وينظر أعماله.

وتختلف الطريقة التي يُؤتى بها العباد كتبهم: فأما المؤمن فإنه يُؤتى كتابه بيمينه من أمامه بعد محاسبته الحساب اليسير، وينقلب إلى أهله مسرورا، وأما أهل المعاصي والنفاق فإن أحدهم يُؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وعند ذلك يدعو أحدهم بالويل والثبور.

وبعد سؤال العباد على أعمالهم، تُنشر صحف الأعمال من حسنات وسيئات، ومعنى نشر الصحف: فتحها وتناولها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وكل إنسان مُلزم ومُجازى بعمله الذي سُجل في صحيفته من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣] ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، فكل إنسان يقرأ كتابه بنفسه، ويعلم نهايته، ويعرف نتيجته ومصيره.

✿ قسم يُعطى كتابه بيمينه:



فيُحاسب حساباً يسيراً، ويرجع إلى أهله ناجياً مسرورا، قد زال خوفه، وفرح قلبه، ورفع رأسه بين الناس، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَقُولْ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾ [١٩] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [٢٠] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٢١] ﴿فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ قُطُوفٌ دَانِيَةٌ﴾ [٢٢] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤].

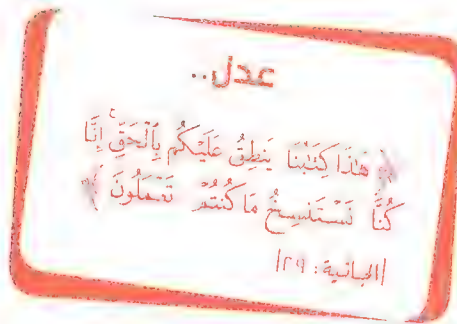
❖ قسم يُعطي كتابه بشماله من وراء ظهره:



وهو الذليل الخاسر، الهالك الفاجر، الذي ضَيَّع عمره، وخسر آخرته، وأحاطت به المضائق، واسودَّ وجهه في الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُؤْتَ كِتَابَهُ ۖ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ۖ (٢٦) يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۖ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۖ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

وقال ﷺ واصفًا حال المؤمن في ذلك اليوم: «ثم يُعطي كتاب حسنة بيمينه. وأمَّا الكافر أو المنافق فينادي على رؤوس الأشهاد: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [هود: ١٨] (١).



(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، صحيح.

اليوم الآخر

الْعَرَضُ وَالْحِسَابُ

أخذ العباد صحفهم بدأ عند ذلك عرض الأعمال والحساب، وما يتبع ذلك من وزن أعمالهم، والمرور على الصراط.. والجنة والنار.. عندئذ يكون العرض..

- فما العرض؟
- وما الذي يُعرض؟
- وما حال العبد أثناء العرض؟

مدخل	٢١٥
معنى الحساب	٢١٥
أنواع الحساب في الآخرة	٢١٦
قواعد محاسبة العباد	٢٢٠
الأمور التي يُسأل عنها العباد	٢٢٧
أول من يُحاسب من الأمم	٢٣٠
أول ما يُقضى فيه بين الناس	٢٣١
حال العباد يوم الفصل والقضاء	٢٣٢
أنواع أداء الحقوق يوم القيامة	٢٣٤
الشهود في محكمة القيامة	٢٤٠

❖ مدخل

العرض له معنيان:

١- عرض الخلائق كلهم على ربهم:

وهذا العرض ليس فيه حساب، ولا نقاش أعمال، وإنما وقوف بين يدي الملك جل جلاله. فيعرض الكل عليه.. الإنس والجن.. والحيوانات.. يعرضون كما خلقهم أول مرة.. لا يخفى عليه منهم شيء.

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ جَعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف: ٤٨).

٢- العرض والحساب:

وفي هذا العرض تُناقش الأعمال، ويُسأل العباد، ماذا أُجِبْتُم المرسلين؟ ماذا كنتم تعملون؟ ويشتد عليهم المقام، وتزل الأقدام، ويشيب الولدان، وينعقد اللسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية: ٢٥ - ٢٦).

❖ معنى الحساب:

الحساب هو: العدّ والإحصاء، ومن عدل الله تعالى أنه يحاسب العباد يوم القيامة، فلا يستوي من عمل وتقرب، مع من عصى وتقلب، كلهم أعمالهم معدودة، وأفعالهم مزرودة.

❁ أنواع الحساب في الآخرة:

يختلف الناس في طريقة الحساب على أعمالهم، فمنهم من يدخل الجنة بلا حساب، ومنهم من يُخَفَّفُ عليه، ومنهم من يُشَدَّدُ عليه.

• فمنهم:

من ينطلقون إلى الجنة بغير حساب.. وهم سبعون ألفاً.. هم صفوة من الأمة في الإيمان والتقوى والصبر والجهاد.. وقد قال ﷺ عنهم:

« عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ بِالْمَوْسِمِ فَرَأَيْتُ أُمَّتِي فَأَعْجَبْتَنِي كَثَرَتُهُمْ، وَهَيْبَتُهُمْ، قَدْ مَلَأُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ،

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْضَيْتَ؟ قَالَ:

نَعَمْ أَيُّ رَبِّ. قَالَ: وَمَعَ هَؤُلَاءِ

سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ

حِسَابٍ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا

يَكْتُمُونَ.

فَقَالَ عُكَّاشَةٌ: ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ..

فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ.

ثم قال رجل آخر: ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ. قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ^(١).

فهؤلاء السبعون ألفاً.. لا يحاسبون على أعمالهم.. ولا يُدَقَّقُ عليهم كما

يُدَقَّقُ على غيرهم.. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم..

(١) متفق عليه.

• ومنهم:

من يحاسبهم الله تعالى على أعمالهم.. لكن حساباً يسيراً من غير نقاش ولا تدقيق، وإنما تعرض عليهم أعمالهم عرضاً ثم يتجاوز الله تعالى عنهم..

قال ﷺ: «إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب. حتى إذا قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك. قال الله: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغضها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنة» ^(١).

ويُشرع للعبد أن يدعو الله بأن يخفف عنه الحساب، فيقول: اللهم حاسبني حساباً يسيراً.

كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «سمعت النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً.

فلما انصرف قلت: يا نبي الله، ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه» ^(٢).

نسأل الله أن يخفف حسابنا، ويعاملنا بعفوه وحلمه.. آمين.

• ومنهم:

من يُشدَّد عليه ويُوبَّخ لذنوبه ويُناقش فيها ويُدَقَّق عليه: لماذا فرطت في صلاتك؟ كيف أدَّيت زكاتك؟ حقوق الوالدين؟ حقوق العباد؟ وفي هذا الحساب يتعذب العبد، ويضطرب، ويخاف ويغرق..

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، صحيح.

كما قال ﷺ: « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك »

فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿الانشقاق: ٧- ١٨﴾.

فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عَذَّبُ (١).

والعذاب المقصود هنا ليس العذاب في النار، إنما يتعذب بما يقع له من فزع وخوف واضطراب وخزي بالنظر إلى سيئاته، وذلك بتذكر أعماله الفاسدة..

• ومنهم:

من يطول حسابهم ويعسر؛ بسبب كثرة الذنوب وعظمتها، أو إصرارهم عليها ومجاهرتهم بها، أو فساد نياتهم ومراءاتهم بأعمالهم.

قال ﷺ: « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

(١) متفق عليه.

ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار»^(١).

هل كل المؤمنين يُحاسبون؟

مسألة



يستتني الله تعالى فريقاً من المؤمنين لا يحاسبهم، كما قال ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسرقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»^(٢).

وفي رواية قال ﷺ: «مع كل ألف سبعون ألفاً»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه، ومعنى قوله «لا يسرقون»: لفظ مشتق من الرُقِيَّة، وهي العلاج بقراءة القرآن والأذكار الشرعية على المريض، فلا يسرقون أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقىهم، وطلب الرقية جائز، إلا أن الحديث يرشد المسلم إلى أنه إن استطاع أن يرقى نفسه، فهو أفضل لما فيه من التوكل على الله، وقد كان النبي ﷺ يرقى نفسه إذا اشتكى فيقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه قرأت عليه عائشة ومسحت عليه بيده رجاء بركتها.

وقوله «ولا يتطيرون»: يعني: لا يتشاءمون بمرئي، ولا بمسموع، ولا بمشموم، ولا بمُتَذَوِّق، وقد كان العرب في الجاهلية يتطيرون، فإذا طار الطير وذهب نحو اليسار تشاءموا، والطيِّرة محرمة، لا يجوز لأحد أن يتشاءم بأيام، ولا بشهور، ولا بالوجوه، ثم ختم الحديث بقوله «وعلى ربهم يتوكلون» أي يعتمدون في أمورهم على الله تعالى وحده لا شريك له «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» ومن كان الله حسبه فقد كفى كل شيء.

(٣) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

❁ قواعد محاسبة العباد :

إذا اجتمعت الخلائق بين يدي الملك جل جلاله، في موقف رهيب.. حُفاة غير مُنتعلين، يسيرون على أقدامهم، غير راكبين.. عُراة ليس عليهم لباس.. عُراة غير مختونين، قد عادوا كما خُلِقوا أول مرة..

موقف رهيب.. تشخص أعين العُصاة، وتهتز قلوب الطغاة.. ويُذل المتكبرون، ويفزع الظالمون.. لا تُطرف أبصارهم، ولا تطمئن أفئدتهم.. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [مُحْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ] ﴿٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

نعم لا يرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء.. يا للهول!!

بل ترتفع القلوب لدى الحناجر، كما قال ربنا: ﴿وَأَنْذَرُهم يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ﴾ [غافر: ١٨]، كاضمين ساكتين لا يتكلمون.

تُبدل هذه الأرض، فالجبال تُسِفَت، والسماء كُشِطَت، والنجوم انكدرت، والكواكب انتثرت، والبحار سُجِّرت، والشمس كُورَت، والملائكة العظام فزعت، والرسل أُقَّتت..

يقف الجميع في المحكمة العظمى؛ محكمة يوم القيامة، حيث تبلغ القلوب الحناجر، وتدنو الشمس من الخلائق، وتكون أحوالهم عصيبة بين يدي الملك جل جلاله..

محكمة يحضرها الخصم اللدود، ويشهدها الشهود. الصحف منشورة، والأعذار محظورة، والقلوب ترتجف، والألسن تعترف، قال تعالى: ﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]

وعند التأمل في القرآن والسنة، نستخلص قواعد عامة يحاسب من خلالها العباد:

• القاعدة الأولى: العدل التام الذي لا يشوبه ظلم:



فربنا الكريم العَدْلُ جل وعلا، لا يظلم أحداً سبحانه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

وكما قال ﷺ « يقول الله تعالى: يا عبادي: إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً؛ فلا تظالموا. يا عبادي! كلّم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلّم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلّم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسأله، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص الخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفىكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه »^(١)

(١) رواه مسلم.

• القاعدة الثانية: لا يؤخذ أحد بجريرة غيره:

نعم.. غاية العدل أن يكون كل فرد مسئول عن عمله وما كسبت يده، ولا يؤخذ بظلم غيره أو معصيته.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: ١٦٤)
وقال: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الإسراء: ١٥).

وقال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لِّئِنَّ الْإِنْسَانَ إِلَّا مَاسِي ۖ ﴿٣٩﴾ وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَىٰ﴾ (النجم: ٣٦-٤١).

مادام أن الإنسان لا يؤخذ إلا على أعماله، فما الجواب عن قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (النحل: ٢٥).

إشكال



وقوله ﷻ: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْقَالَهُمْ وَأَتْقَالًا مَّعَ أُنْقَالِهِمْ﴾ (المنكوت: ١٣).

فالله تعالى أخبر في هذه الآيات أن الإنسان قد يتحمل أوزار غيره، فكيف يكون ذلك؟

الجواب: أن الإنسان إذا عمل على إضلال غيره، وتسبب متعمداً في إفساده كأن يوقعه في شرب الخمر أو يدهله على مكان فساد أو يزين له أن يقيم علاقات محرمة بنساء.. فإنه يؤخذ بما عمل ذلك الشخص من جرأ إفساده له، وتشجيعه ودعوته للمنكر ويحمل مثل وزره، كما قال ﷻ:

« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص من أوزارهم شيئاً » (١)

نعم، من أفسد الناس حُمِّل وزره وأوزارهم.. كما أن من دعا الناس إلى خير، نال من الأجر مثل أجورهم، جزاءً وفاقاً.. فسبحان الحكم العدل جل وعلا.

• القاعدة الثالثة: اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

ربنا جل وعلا لا تخفى عليه خافية، والصحف تسجل كل ما يعمل العباد من خير وشر، فيرون كل ذلك حاضرًا أمامهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال: ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

وقال: ﴿وَوَجَدُوا مَّا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

واطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم، وقرائتهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَتُهُ طَبِيعُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإنشراح: ١٣ - ١٤].

وهو كتاب شامل لجميع الأعمال كبيرها وصغيرها كما قال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَّا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

(١) متفق عليه.

• القاعدة الرابعة: مضاعفة الحسنات دون السيئات:

من فضل الملك الكريم المحسن أن رحمته تسبق غضبه، وعفوه يغلب عقوبته، وأن الحلم والتجاوز أحب إليه من العقوبة والعذاب.

لذا فهو سبحانه يفرح بحسنة عبده ويضاعفها، ويكره السيئة، ولا يضاعفها، بل قد يغفرها.

قال تعالى: ﴿إِنْ تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٧].

وأقل مضاعفة للحسنة هو عشرة أضعاف ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أما السيئة فتجزى مثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إِنْ رَبِّكُمْ رَحِيمٌ، مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ ﷻ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»^(١).

وقال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدَ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاؤُهُ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفَرَ، وَمَنْ عَمِلَ قُرَابَ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَقِيَنِي لَا يَشْرِكُ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً، وَمَنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه.



ومن فضل الله تعالى أن الحسنه قد
تضاعف لسبعمائه ضعف، وأكثر:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

• القاعدة الخامسة: إقامة الشهود:

الشهود هناك حاضرون، في محكمة الحساب والجزاء يوم القيامة، وهم
شهود ملازمون للعبد في الدنيا، لا يتوقعهم العبد، ولا ينتبه إلى مراقبتهم له.

الملائكة الحافظون، والحفظة الكاتبون، وأعضاء العبد.. كلها تشهد له أو عليه
يوم القيامة.. نعم تشهد له إن عمل طاعة.. وتشهد عليه إن فعل معصية..

قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٢٣].

ويبعث الله من رسله ومن شاء من مخلوقاته شهداء على العباد: كما قال
تعالى عن شهادة الأنبياء على أقوامهم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [القصص: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [لق: ٢١].

وممن يشهد أيضاً:

الأرض: فتشهد بما عمل عليها.. ﴿يَوْمَذِ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

والليل والنهار: يشهدان بما فعل فيهما.

والمال: يشهد على صاحبه، من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

والملائكة: تشهد على العباد بما كانوا يعملون.

إذا أنكر العبد شيئاً من عمله:

في يوم القيامة يُنكر بعض العباد أعمالاً مسجلة في صحفهم، ويزعمون أنهم لم يعملوها، وإذا لجَّ العبد في الخصومة وكذب الشهود الذين شهدوا عليه، ختم الله على فيه وأمر أعضائه فنطقت.. وأخبرت بما فعلت..

ما!!!! أصعب ذلك الموقف؟!!



تنطق اليد: أنا للحرام لمست.. وتنطق الرجل: أنا إلى الحرام مشيت.. وتنطق العين: أنا إلى الحرام نظرت.. وتنطق الأذن: أنا إلى الحرام استمعت.. وينطق الأنف.. والجلد.. و.. آآه اللهم الطف بنا واسترنا..

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

قال أبو موسى الأشعري: «يُدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول: أي رب! وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل! فيقول الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في

مكان كذا؟ فيقول: لا، وعزتك أي رب ما عملته! فإذا فعل ذلك خُتم على فيه وتكلمت أعضاؤه ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١).

وقال ﷺ: «يقول العبد: يا ربِّ ألم تُجِرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول العبد: فإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، ثم يُختم على فيه ويقال لجوارحه: انطقي! فتنطق بأعماله، ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لَكُنَّ وسحقاً فنعننُ كنت أناضل»^(٢).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[فصلت: ٢٠].

❁ الأمور التي يُسأل عنها العباد:

﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]، هكذا قال ربنا تبارك وتعالى، يُسأل العباد عن أفعالهم، ونياتهم وأقوالهم، وقد وردت النصوص في أشياء يُسأل عنها العباد:

• أولاً: أعظم الذنوب الشرك:



أعظم ذنب عند الله تعالى أن تجعل لله نداً وهو خلقك، والشرك لا يغفره الله أبداً، كما بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية.

(٢) رواه مسلم.

وفي ذلك اليوم يتبرأ المعبودون ممن عبدوهم، ويُقرّع الله المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢ - ٩٣]. وقال ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَنْ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٧٤].

ويُسأل الذين كانوا يذبحون لغير الله.. كمن يذبح تقرباً إلى الأصنام، أو القبور، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَأْنٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفَرُّونَ﴾ [النحل: ٥٦].

ويُسألون عن تكذيبهم للرسل.. كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمِّيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٥ - ٦٦].

• ثانياً: يُسأل العبد عما عمله في دنياه:

يسأل العبد عن أعماله من حسنات وسيئات، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

نعم يسألهم أجمعين.. الكل يُسأل: الغني والفقير.. والملك والأمير.. والعربي والأعجمي.. والأبيض والأسود.. والحر والعبد.. كلهم مسئولون.. عما كانوا يعملون..

بل يُسأل الرُّسل عن أقوامهم.. ويُسأل الأقوام عن رُسلهم.. كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦١﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَكُنَّا غَائِبِينَ ﴿٦٣﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٠ - ٦٩].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١).

(١) رواه الترمذي.

• ثالثاً: يُسأل عن النعيم الذي تمتع به:



البيوت الواسعة.. والسيارات الفارهة..
والشارب والمطاعم اللذيذة.. اللباس
الناعم.. والخَدَم والحَشَم.. شَبَع
البطون.. وبارد الماء.. وظلال المساكن..
واعتدال الخلق.. ولذة النوم.. حتى
شُرْبَة العسل..

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وقال ﷺ: «إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له:
ألم نُصَحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ؟ ونُزَوِّيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ»^(١).

ولا ينبغي للعبد أن يحتقر شيئاً من النعيم:

سأل رجل عبد الله بن عمرو فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد
الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم.
قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك!!^(٢).



• رابعاً: يُسأل عن السمع والبصر والفؤاد:

يتفاوت الناس في النعم، والقدرات
والحواس، وكلما كان العبد أقدر، كان
الحساب أدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) رواه الترمذي.

(٢) هوفي عمدة التفسير - أحمد شاكر ١/٦٥٧، إسناده صحيح.

قال قتادة: « لا تقل: رأيت، ولم تراه! وسمعت، ولم تسمع! وعلمت، ولم تعلم! فإن الله سائلك عن ذلك كله .. »^(١).

❖ أول من يُحاسب من الأمم:



مع طول انتظار الحساب يوم القيامة، والناس في فزعهم، وخوفهم، وقد عرضت النار أمامهم، وخاف الأنبياء، واضطرب الأولياء، وتحير المؤمنون، وعرق العصاة والمذنبون، وطال انتظارهم.. عندها يبدأ الحساب.

ومن رحمة الله تعالى بأممتنا، وحب الملك لنبينا، أن أول من يُحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ.

كما قال ﷺ: « نحن آخر الأمم، وأول من يُحاسب^(٢). يُقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون^(٣). »

وقال ﷺ: « نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة. المقضي لهم قبل الخلاق^(٤). »

(١) تفسير ابن كثير، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٢) المعنى: نحن آخر الأمم وجوداً في الأرض، لأن نبينا محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء، ونحن أول من يحاسب تخفيفاً على أمة الإسلام.

(٣) رواه ابن ماجه، صحيح.

(٤) روه مسلم.

❦ أول ما يُقضى فيه بين الناس:



من أعظم الجرائم والذنوب أن يسفك العبد دمًا بغير حق، وفي زماننا مع الأسف مع انتشار آلات وأسلحة القتل من مسدسات متنوعة سهولة الاستعمال، وغيرها، وقع عند بعض الناس تساهل وتسرع في ذلك، وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك من أشراط الساعة، فقال:

« لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل القتل »^(١).

ولعظيم حق الدماء، قال ﷺ: « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء »^(٢).

وقال ﷺ: « يجيء الرجل أخذا بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل أخذا بيد الرجل، فيقول: إن هذا قتلني. فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان! فيقول: إنها ليست لفلان. فيبوء بإثمه »^(٣).

فعلى العبد أن يحذر من سفك الدم بغير حق، وأن يبتعد عن الخصومات والمشاجرات، ومواضع التُّهم، وأن يملك نفسه عند الغضب، ويسأل الله تعالى السلامة والعافية.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي، صحيح.

❁ حال العباد يوم الفصل والقضاء:

يوم المحشر والقضاء، والفصل والنداء، طويل عسير، إلا على من يسره الله تعالى عليه، والناس في ذلك اليوم على أحوال:

فعند العرض على الكريم الجبار جل جلاله، في رهبة الموقف، وخوف المُقترِف، يتبرأ الناس بعضهم من بعض، وينسى كل ذي نسب نسبه وقربته، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ومهما بلغت قوة صداقة الرجلين، وارتقت درجة المحبة بين اثنين، إلا أنهما يتبرَّان من بعضهما يوم القيامة، وكل يقول: نفسي.. نفسي.. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠].

بل يَفِرُّ المرء من أهله وأحبابه، ويهرب من إخوانه وأصحابه.. وقد ذلّت للملك الرقاب، ولانت له الصُّعاب، وخضع أولو الألباب.. ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

فما أفضع ذاك الموقف!.. اللهم الطف بنا..

الناس يرتجفون.. والرسل يتضرعون.. الألسن مُنْعَقِدَةٌ.. والعقول مُتَوَقِّدَةٌ.. والأعمال متنوعة متعددة..

قال ﷺ: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرُّسل»^(١).

وفي ذلك اليوم.. يجد العباد ما عملوا حاضراً بين أيديهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَجْذِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ولا يغيب في ذلك اليوم ما عمله الإنسان في حياته..

(١) متفق عليه.

وآثارهم..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَرَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

هكذا قال ربنا تعالى.. واصفًا حال الإنسان وعمله.. يُكتب ما قدّم قبل موته.. ويكتب ما ترك من أعمال وهي آثاره..



نعم.. الحساب دقيق.. حيث يحضر بين يديه ما عمله قبل أن يموت وما تركه من عمله بعد موته.. فإن كان ورث مصحفًا.. أو حضر بئراً.. أو أجرى نهراً.. أو كفل يتيماً.. أو نشر علماً.. أو ترك ولدًا صالحاً.. فكلها تبقى تحسب له عمل صالح حتى بعد موته..



وكذلك من ترك شيئاً محرماً.. كمن مات وترك محلاً يبيع الخمر.. أو مرقصاً.. أو قناة فضائية تنشر الفساد.. أو كتباً سيئة..

كله يجده الإنسان أمامه.. كما قال تعالى: ﴿ يَبْتَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [١٣] بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ، ﴿[القيامة: ١٣ - ١٥].﴾

ومهما احتقر الإنسان معصية فإنه يستعظمها يوم القيامة..

قال ﷺ: «إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فإنما مثلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بَعُودٍ وذا بَعُودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم. وإن مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ متى يُؤْخَذُ بها صاحبها تهلكه»^(١).

(١) رواه ابن جبان وأحمد، صحيح.

❁ أنواع أداء الحقوق يوم القيامة:

الحق هو الواجب الذي يطالب الإنسان بأدائه لغيره، وقد جعل الله تعالى للإنسان حقوقاً، وجعل عليه حقوقاً، وقد ضمن الله تعالى له حقوقه، وحذره بالمحاسبة على ما عليه من حقوق إن قصر فيها.

• حقوق الله تعالى:

حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وبقية العبادات.. فأول ما يسأل عنه الناس: ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا أجبتكم المرسلين؟

ومن حقوق الله تعالى على العبد أن يؤدي العبادات التي أوجبها عليه.

وأول ما يحاسب عليه العبد من العبادات هي الصلاة،

قال ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته: فإن صاحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة. ثم يكون سائر عمله على ذلك»^(١).

وقال ﷺ: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة. يقول ربنا ﷻ ملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك»^(٢).

(١) رواه الترمذي والنسائي.

(٢) رواه أبو داود.

• حقوق العباد:



جعل الله تعالى للعباد حقوقاً لبعضهم على بعض: فجعل لأب حقاً على ولده، وللولد حقاً عليه، وجعل للجار حقاً على جاره، وجعل للزوجين حقوقاً على بعضهما، بل جعل للحيوان حقاً.. وللأشجار حقاً.. وجعل بين العباد مباحات ومحرمات..

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق العباد: الدماء.. فمن مات مقتولاً.. أو ضُرب فُجرح وسال دمه.. أو شُجَّ رأسه.. فهي أول شيء يُقضى فيه من حقوق العباد فيما بينهم..

كما قال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»^(١).

من يضرب الناس:

الذي يعتدى على غيره بالضرب، يُقتَصَّ منه بالضرب في يوم القيامة، كما قال ﷺ: «من ضُرب بسوط ظلما اقتَصَّ منه يوم القيامة»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من رجل يضرب عبداً له إلا أُقيد منه يوم القيامة»^(٣).

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت: «كان رسول الله ﷺ في بيتي وكان بيده سواك، فدعا وصيفة له، أو لها، حتى استأثر الغضب في وجهه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي والبخاري في الأدب المفرد، صحيح.

(٣) أخرجه البزار في مسنده، صحيح لغيره.

فخرجت أم سلمة إلى الحجرات، فوجدت الوصيفة وهي تلعب ببهيمة، فقالت:

ألا أراك تلعبين بهذه البهيمة ورسول الله ﷺ يدعوك؟

فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك!!

فقال رسول الله ﷺ: **لولا خشية القود، لأوجعتك بهذا السواك** ^(١).

فإذا كان هذا خوفه ﷺ وهو نبي مُقَرَّب، فما بالك بغيره من عامة الناس!

صاحب الدين:



حقوق الناس لا تضيع، بل يُعطي الله تعالى كل ذي حق حقه، ولو كان شيئاً يسيراً، كما قال ﷺ:

« من كانت عنده لأخيه مظلمة فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ من حسناته بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » ^(٢).

فالمدين الذي مات وللناس في ذمته مال، لم يسدده لهم في الدنيا فإن أصحاب الأموال في الآخرة يأخذون من حسناته بمقدار ما لهم عنده، كما قال ﷺ: « من مات وعليه دينار أو درهم قُضي من حسناته، ليس ثم دينار ولا درهم » ^(٣).

(١) رواه أبو يعلَى المَوْصِلِي في مسنده، حسن، ومعنى الوصيفة: هي الجارية الصغيرة التي تخدم أهل البيت، والقود هو: القصاص يوم القيامة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه، صحيح.

الذي يقذف الناس:

القَذْف: رمي المرأة أو الرجل بالزنا أو ما يجري مجراه، فالذي يقذف أحدًا بالزنا أو غيره فإنه يُقتَصّ منه في الدنيا والآخرة، ومن قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد في يوم القيامة إن كان كاذبًا، كما قال ﷺ:

« من قَذَفَ مملوكه بالزنا يُقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال »^(١).

وقال ﷺ: « من قذف مملوكه وهو بريء مما قال، جُلِدَ يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال »^(٢).

المتسلط على الضعفاء:

من تسلط على الضعفاء بقوته، أو سلطته، أو استغل منصبه أو علاقته، أو ذكائه، لظلم الضعفاء وقهرهم، فإنه يُقتَصّ منه يوم القيامة.

كما في حديث عائشة ؓ: « أن رجلا قعد بين يدي النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتُمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

قال ﷺ: يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم: فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم، كان كَفَافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتُصّ لهم منك الفضل.

فتنحَّى الرجل فجعل يبيكي ويهتف.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ﴾» [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدكم أنهم أحرار كلهم»^(١).

ولما كان هذا شأن الظلم فحريُّ بنا أن نخافه ونحذره ونجتنبه، وقد أخبر النبي ﷺ أن الظلم يكون ظلمات على صاحبه يوم القيامة، فقال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٢).

كيف يُقتص من المبد يوم القيامة؟

مسألة



الجواب: من كانت عليه مظالم للعباد فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم، فإن لم يكن له حسنات أو فُنيَت حسناته، فإنه يؤخذ من سيئاتهم فتُطرح فوق ظهره. كما قال ﷺ:

«من كانت له مظلمة لأحد من عِرْضه أو شيء فليَتَحَلَّله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(٣).

(١) رواه الترمذي وأحمد، صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

• حقوق البهائم:



من عدل الله تعالى ودقة حكمته
بين خلقه، أنه لا يأخذ الحقوق
من البشر لبعضهم البعض، بل
حتى البهائم يُقتَصَّ لبعضها
من بعض، كما قال ﷺ:

« تُؤَدَّنُ الحقوق إلى أهلها يوم
القيامة حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحَاءُ
من الشاة القَرْنَاءُ »^(١).



بل يُحْكَم ما بين البشر والبهائم:
فمن أذى بهيمة في الدنيا، حوكم
وعوقب يوم القيامة، كما قال ﷺ:

« عُذِبَتْ امرأة في هِرَّة حبستها
حتى ماتت فدخلت فيها النار،
لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي
حبستها، ولا هي تركتها تأكل
من خَشَّاش الأرض »^(٢).

فهذا غاية العدل والإنصاف.. فإن الله تعالى يفصل الخصومات بين عباده،
وينتصر للمظلوم على الظالم، ويؤتي كل ذي حق حقه، فيعيد للمسروق
حقه من السارق، وللضعيف حقه من القوي.

(١) رواه مسلم، ومعنى الشاة الجَلْحَاء: هي الشاة التي لا قرن لها، فلا تستطيع ضرب غيرها، والشاة القَرْنَاء: هي التي لها قرن تنطح به، وتضرب.

(٢) متفق عليه.

❁ الشهود في محكمة القيامة :

في يوم القيامة تُشرق الأرض بنور ربها حين يتجلى الله تعالى لفصل القضاء بين خلقه، والحكم بينهم، ويُؤتى بالنبیین والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

وعندها في تلك المحكمة الكبرى يُفصل بين الخلائق.. فمن شهود المحكمة؟ وعلى ماذا يشهدون؟

أول من يخبر العباد بأعمالهم هو الله جل جلاله.. فهو شهيدٌ على عباده، مُطلع عليهم، لا يخفى عليه منهم شيء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

• نبينا محمد ﷺ وأُمَّته يشهدون على الأمم:



الرسول عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى رحمةً للخلق، مبشرين ومنذرين، وأقوامهم منهم مُهْتَدٍ ومنهم مكذب معرض، فإذا اجتمع الرسول بأُمَّته يوم القيامة، ووقفوا جميعاً بين يدي العزيز الحكيم جل وعلا، فكانوا كما قال تعالى:

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِلَيْنَا مَأْجِدُهُمْ﴾ [الأعراف: ٦ - ٧].

فإذا كَذَّبَ الْأَقْوَامُ وَأَنْكَرُوا أَنْ رَسُولَهُمْ بَلَّغَهُمْ، عِنْدَهَا يَشْهَدُ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ لِلرَّسْلِ بِالْبَلَاغِ، يَشْهَدُونَ أَنَّ الرِّسْلَ بَلَّغُوا أَمَّهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وَقَالَ ﷺ: «يُدْعَى نُوْحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبُّ؟ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ؟ فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ» (١).

فَأَمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ.. وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَشْهَدُ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى أَمَّهُمْ، قَالَ ﷺ:

«يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرِّجَالُ، وَأَكْثَرُ مَنْ ذَلِكَ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغْتُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقَالُ: هَلْ بَلَغْتَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِينَا ﷺ بِذَلِكَ أَنَّ الرِّسْلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ» (٢).

• نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَشْهَدُ عَلَى أُمَّتِهِ:



فَإِنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى أُمَّتِهِ، يَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَهُمْ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ، وَأَنْذَرَهُمْ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّاهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن رحمته ﷺ بأمته.. ومحبته لهم.. أنه تذكّر شهادته على أمته يوم القيامة.. فبكى.. حتى بلّ الدمع وجهه الشريف.. بأبي هو وأمي وروحي ﷺ.. فإنه جلس إليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يومًا.

فقال له ﷺ: «اقرأ عليّ،

فقال ابن مسعود: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل»

قال: نعم، إني أحب أن أسمع من غيري.

قال: فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]،

فقال ﷺ: حسبك الآن.. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»^(١).

فما أرقّ تلك الدمعات الطاهرات منه على أمته ﷺ.. وحرّتي بنا نحن أن نحسن العمل لنلقى الله تعالى وهو راضٍ عنا، ونلقى رسولنا ﷺ فيفرح بنا.

• كل رسول يشهد على أمته؛

يأتي بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام شهداء على أقوامهم، يشهدون أنهم بلغوهم الدين، وحذروهم من الشرك، كما قال تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ١٧٥].

والمقصود بالشهيد هنا رسولهم الذي أرسل إليهم.

(١) متفق عليه.

• الملائكة الحافظون:

فالملائكة لا يفارقون العبد في حضر ولا سفر، ولا يقظة ولا منام، يُحصون عليه أفعاله، ويكتبون أقواله وأعماله، ولا يفوتهم شيء من حركاته ولا سكناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١].

فهؤلاء يشهدون على العبد يوم القيامة، فقد رأوه لما صلى، وسمعوه لما دعا، وراقبوه لما مشى، وصحبوه في سفره، وأقاموا معه في حضره.

فُجَاءَ بهم يوم القيامة فيشهدون، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

• شهادة الإنسان وإقراره على نفسه:

فيشهد على نفسه، ويُقر بعمله، فيشهد الكفار على أنفسهم بالكفر، ويشهد العصاة على أنفسهم بالمعصية، ولا يملكون الإنكار، ولا الكذب، لكثرة الشهود عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

• شهادة الأرض:



تشهد الأرض بما عملوا فوقها، فتشهد بصلاة المصلي، وصدقة المتصدق، ودموع الباكي، وخطوات المجاهد...

وتشهد أيضاً.. بفجور الزاني، وطغيان السارق، وجريمة القاتل..

وَأَنَّى للعبد أن يستتر من أرض تُقَلِّه، أو سماء تُظَلِّه؟ نعم.. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَذِ تُنَادِىُ أَخْبَارَهَا ۚ﴾ [٤] ﴿بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥-٤].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَذِ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا؛ كذا وكذا. فهذه أخبارها» ^(١).

وقال ﷺ: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به» ^(٢).

فما دام أن العبد يعلم أنه سيقابل رباً لا تخفى عليه من عمله خافية، فكيف يجزؤ على المعصية؟!!

• شهادة أعضاء العبد:

العين التي يبصر بها.. والأذن التي يسمع بها.. واليد التي ينطش بها.. والرجل التي يمشي عليها.. بل يشهد عليه جلده في كل موضع جسده.. تنطق الساق والبطن والظهر والخصد..

كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

فواحسرتا الله من موطن تشهد فيه الأعضاء وتنطق..

وقال أنس رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال:

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه.



« هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني^(١)! فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه! فيقال لأركانه: انطقي. فتتطرق بأعماله. ثم يخلو بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل^(٢). »

نعم.. يقال لأركانها وهي جوارحه وأطرافه، اليد والرجل.. يُقال لها: انطقي بما فعلت! فتتطرق وتظهر الفضائح، وتتكلم بالقبائح، وتكشف المستور، وتُذِل المغرور، ثم إذا اعترفت ونطقت وهو يسمع ولا يملك أن يعترض لأن فمه مغلق وهو ممنوع من الكلام، فيؤذن له بالكلام، فيبدأ بلومها وعتابها، ويقول كنت أدافع عنكن وأحول بينكن وبين النار..!!

وقال ﷺ في أثناء كلامه عن سؤال العباد يوم القيامة:

«... ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، وبشئ بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا، ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟!! فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتتطرق فخذه، ولحمه، وعظامه، بعمله، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المناق و ذلك الذي يسخط الله عليه^(٣). »

(١) المعنى أن العبد لشدة تكذيبه لا يقبل شهادة الشهود عليه من الملائكة وغيرهم، ويقول لا أقبل شاهداً إلا من نفسي، فأنا أشهد وأخبر بأعمالي، ولا أقبل أن يخبر غيري عني!! عندها يُخلق فمه فلا يستطيع فتحه ليتكلم، وتؤمر جوارحه بالكلام.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

• شهادة الأحجار والأشجار:



فهي تشهد للناس أو عليهم، ومن ذلك شهادتها للمؤذن يوم القيامة، وهذا من فضل الأذان أن كل من سمعه من الجن والإنس والشجر والحجر، يشهد للمؤذن، كما قال ﷺ:

« فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة »^(١).

مهمة..

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا..
وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم..
وتهيبوا للعرض الأكبر على الله.

(١) رواه البخاري.

الميزان

يوم المحشر ينصب الميزان لوزن أعمال العباد؛ لأن الوزن للجزاء، فيكون بعد الحساب على الأعمال، فإن حساب العباد هو لتقدير أجور أعمالهم، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

- فما الميزان؟
- وما صفته؟ وكيف شكله؟
- وما الذي يوزن فيه؟
- وهل توزن جميع الأعمال؟

مدخل.....	٢٤٩
الأدلة على إثبات الميزان.....	٢٤٩
شكل الميزان.....	٢٥٠
ميزان دقيق.....	٢٥٠
ما الذي يوضع في الميزان؟.....	٢٥١
مصير العبد بحسب وزن أعماله.....	٢٥٤
أعمال الكفار.....	٢٥٥
أثقل شيء في الميزان!!.....	٢٦١

مدخل

ذكر الله تعالى الميزان في كتابه، وأمر بالاستعداد لوزن الأعمال، وبين النبي ﷺ صفته، وأوضح ما يثقل في الميزان من الأعمال وما يطيش ويخف.



الأدلة على إثبات الميزان:

قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣].

وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١).

وقال ﷺ عن ساقى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لهما في الميزان أثقل من أحد» وسيأتي الحديث كاملاً في الصفحات التالية.

وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة، وسيأتي ذكر الحديث كاملاً في الصفحات التالية.

(١) رواه البخاري.

❖ شكل الميزان:

دلت النصوص على أن الميزان حقيقي حسّي مشاهد، وله لسان وكفتان، ويميل بالأعمال، فتخف كفة وتثقل كفة. ولا يعرف حجمه، ويُقدّر قدره إلا الله تعالى، لكنه ميزان عظيم، كما قال ﷺ:

«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن وزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانه ما عبدناك حق عبادتك»^(١).

❖ ميزان دقيق:

وهذا غاية العدل، يُحصى أعمالهم، دقيقة وجليها، كبيرها وصغيرها، لا يزيد فيها ولا ينقص منها، كما قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

هل هو ميزان واحد أم موازين؟

مسألة



قد تكون عدة موازين، فإما أن لكل عبد ميزان لعمله، أو أن للمؤمنين ميزاناً وللكفار ميزاناً، أو لكل أمة ميزان، علم ذلك عند الله تعالى، لكن الذي يفهم من قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] أنها عدة موازين، وقد يكون المراد بالموازين في الآية الموزونات.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال صحيح على شرط مسلم.

❖ ما الذي يوضع في الميزان؟

هل الموزون هو الأعمال؟ أم الصحف؟ أم العبد نفسه؟
للعلماء في ذلك أقوال، والأقرب أن هذه كلها توزن في الآخرة، وقد دلت
على ذلك أحاديث النبي ﷺ.

وزن الأعمال:



وردت أحاديث أن الأعمال هي التي توضع
في الميزان، كما قال ﷺ:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان
في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله
وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١).

وقال ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان»^(٢).

فذكر النبي ﷺ هنا أعمالاً ووصفها بأنها ثقيلة في الميزان، ففهمنا من
ذلك أنها توزن، وأن بعض الأعمال أثقل من بعض.

وزن صحائف الأعمال:

والمقصود بصحائف الأعمال: الصُحف التي تكتب فيها أعمال العباد من
خير أو شر، فقد جاءت النصوص أن صحف الأعمال توزن، وقد قال ﷺ في
حديث البطاقة التي فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

«يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مدّ البصر^(١). ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة^(٢) فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»^(٣). فهذا يدل أن صحائف الأعمال توزن أيضاً..

لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة..

فائدة

هذا الحديث فيه أن التوحيد يكفر الله به الخطايا التي لا تقتضي الردّة والخروج من الإسلام، أما الأعمال التي تقتضي الردة فإنها تناقض كلمة التوحيد وتصبح لفظاً مجرداً لا معنى له.

قيل للحسن البصري: «إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة».

فكلمة لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، والسبب لا ينفع إلا إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه، فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله، فلا تنفعهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، لأنهم يقولونها بألسنتهم فقط من غير اعتقاد لمعناها وعمل بمقتضاها.

(١) السجل: هو صحيفة الأعمال، وهي سجلات كبار طويلة، بحيث أن كل سجل منها بقدر ما يمد الشخص نظره فلا يستطيع أن يدرك أقصاه.

(٢) البطاقة: هي رُقعة صغيرة من ورق أو غيره، يكتب فيها الكلام اليسير.

(٣) رواه أحمد والترمذي، صحيح، والمعنى أن البطاقة فيها إقراره بالتوحيد لله تعالى وعبادة الله وحده لا شريك له، بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقد يُوزن العامل نفسه :

وذلك بأن يوضع العبدُ نفسه في ميزان الأعمال، ويثقل وزن العبد أو يخفّ بحسب حسن أعماله أو سوءها.

ومما يدل على ذلك ما جاء في قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.. لما كان يمشي مع النبي ﷺ فمرا بشجرة فأمره النبي أن يصعداها ويختزّ له عودًا يتسوّك به..

فرقى ابن مسعود وكان خفيفًا نحيل الجسم.. فأخذ يعالج العود ليقطعه.. فأثت الريح فحركت ثوبه وكشفت ساقيه.. فإذا هما ساقان دقيقتان صغيرتان.. فضحك القوم من دقّة ساقيه..

فقال النبي ﷺ: «مَمّ تضحكون؟.. من دقّة ساقيه؟ والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أحد»^(١).

فساقا ابن مسعود خفيفتان في الدنيا لكنهما ثقيلتان في الميزان..

ما الذي أثقلهما في الميزان؟ إنه طول القيام.. ومداومة الصيام.. وما حملته ساقاه إلى حرام..

أما غير ابن مسعود ممن زينوا ظواهرهم.. وأهملوا بواطنهم.. بيّضوا ثيابهم وسودّوا قلوبهم.. فقد قال فيهم أبو القاسم ﷺ:

«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، ثم قال ﷺ: اقرعوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(٢).

(١) رواه أحمد.

(٢) الحديث متفق عليه.

❖ مصير العبد بحسب وزن أعماله :

يتحدد مصير العبد يوم القيامة بحسب نتيجة وزن أعماله: فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته بحسناته استحق النار. إلا أن يعفو الله عن العاصي، أو يشفع فيه الشفعاء، وقد قال تعالى:

﴿وَالْوِزْنُ يُوْزَنُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

من تساوت حسناته وسيئاته فما مصيره؟

مسألة



الجواب: من تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين يكونون بين الجنة والنار، كما قال تعالى:

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].



وأهل الأعراف يُؤخَّر أمرهم حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يدخل الله تعالى أهل الأعراف في الشفاعة فيدخلون الجنة، وهذا بمنّة ربنا وكرمه.

كما قال تعالى عن أهل الأعراف بعدما ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٧].

❁ أعمال الكفار:

لا يظلم الله تعالى أحداً كافراً كان أو مسلماً، بل الكل يتأثر بعمله الصحيح أو القبيح، فالكفار أيضاً توزن أعمالهم، لكنها تخف ويطيش بها الميزان، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، فأعمال الكفار قسман:

• القسم الأول:

هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض، فهذه أعمال باطلة فاسدة هم أصلاً منذ أن عملوها لا يرجون من ورائها خيراً ولا ثواباً، وقد وصف الله تعالى هذه الأعمال بالظلمات فقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمْتُ فِي بَحْرٍ لُّجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

• القسم الثاني:

أعمال عملها الكفار في الدنيا وهم يظنونها تنفعهم عند الله، كالصدقة، وصلة الأرحام، ونصرة المظلوم، والاختراعات النافعة للبشر، فهذه يكافئون بها في الدنيا، من زيادة في أموالهم، وراحة في قلوبهم، وشفاء من أمراضهم، وحماية من الأذى، لكنها لا تنفعهم في الآخرة، لأن شرط قبول العمل هو الإيمان بالله تعالى.

لكنه تعالى لا يساوي بين الكافر الذي يعمل الخبائث والكافر الذي يعمل الصالحات، بل يكافئ المحسن في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

وقد ضرب الله أمثلة لهذه الأعمال التي يفعلها الكفار:

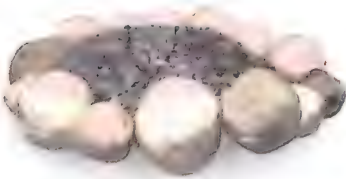
أعمالهم مثل السراب:

لأن الكافر يعمل العمل من إحسان وصدقة، يظن ذلك ينفعه، وهو لا ينفعه، فصار كالعطشان الذي يتبع السراب اللامع أمامه يظنه ماء وهو ليس كذلك. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَتْهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].



أعمالهم مثل الرماد:

والرماد هو ما يتبقى بعد احتراق الخشب أو الفحم، فيكون كالطحين المائل إلى اللون الأسود، فأعمال الكفار هي مثل الرماد المجتمع الذي جاءته ريح عاصف فذرتة في كل مكان، فكيف يستطيع صاحبه جمعه بعد تفرقه؟



قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

لماذا لا يقبل الله تعالى أعمال الكافرين؟

مسألة



الجواب: خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين، فوضّحوا للناس السبيل، وأفهموهم الحُجَّةَ، وبينوا المَحَجَّةَ.. فمن تبين له الحق، وظهر له الصدق، ومع ذلك تعمَّد الإعراض والتكذيب، من غير أن يكون مكرهاً أو مجنوناً، استحق عند ذلك العقاب على فعله..

فيوقف الله تعالى العباد جميعاً، باختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم، يحاسبهم جميعاً، في محكمة يوم القيامة.. قال تعالى حاكياً حال الكفار يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص: ٦٢).

نعم أين شركائي؟ الذين عبدتموهم! وعظمتموهم! وتقربتهم إليهم! وزعمتم أنهم آلهة مع الله، أين هم اليوم هل ينفعونكم؟ أو ينجونكم من العذاب؟

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٦٥).

وقال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (١٠) ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (١١) ﴿القارعة: ٨ - ١١﴾، وأي ميزان أخف وأخسر من ميزان الكافر.

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خلّيدون ﴿١٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٥﴾.

نعم، خسروا أنفسهم التي أكرموها في الدنيا، ودلّلوها، وأعزّوها، فخسروها يوم القيامة فلم ينتفعوا بها..

هل الكفار يحاسبون؟

سؤال



الجواب:

نعم، الكل يُسألون ويحاسبون، وتوزن أعمالهم.

ما دام أن مآل الكفار إلى النار، فلماذا يحاسبون
وتوزن أعمالهم وهي أعمال حابطة؟!

إشكال



﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].. هكذا قال ربنا جل وعلا،
يحاسبهم ويسألهم عن أعمالهم، لأمر:

- إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله فيهم:

حتى لا يبقى لهم عذر ولا حجة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ
لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

- أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ ذُوقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ
قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فأي حسرة عند ذلك تحيط بهم! وأي ندم وحزن يغشاهم!
وقد عرفوا الحق وتعمدوا مخالفته..

- أن الكفار مُكَلَّفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها:

فَيُسْأَلُونَ عما قَصَّروا فيه وخالفوا فيه الحق.

فيسألهم ربنا عن منعهم للزكاة وتركهم للصلاة.. مع حسابهم لهم على كفرهم..

كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧].

وقال عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ السَّكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَافِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٦].

- أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم:

وبالتالي فإن الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخول الجنة، كما أخبر النبي ﷺ عن عمه أبي طالب، وقد مات كافراً، فحدثنا النبي ﷺ عن حاله في الآخرة فقد سأله العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال:

يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، فقال ﷺ: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(١).

فأبو طالب في النار أخفّ عذاباً من أبي لهب.

(١) رواه مسلم، ومعنى: «يحوطك» يصونك ويحفظك ويذبّ عنك أذى قريش، قوله «ضحضاح» هو في الأصل الماء الرقيق على وجه الأرض الذي يصل إلى نحو الكعبين، واستعير هنا في وصف ما يصيبه من النار، قوله «الدرك»: هي الطبقة من طبقات النار، والدرك الأسفل من النار هو قعر جهنم، وأقصى أسفلها.

كيف توزن أعمال الكفار؟ وهل عندهم أعمال صالحة توضع في الكفة الأخرى؟

مسألة



توزن أعمال الكفار في كفتي الميزان.. فالكفة الأولى من ميزان الكافر يوضع فيها كفره وسيئاته، بينما لا يوجد له حسنة توضع بالكفة الأخرى، فترجح كفة السيئات وتغلب.

وقد تقدّم أن الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا كافأه الله بها وعجل جزاءه عليها في الدنيا، براحة قلبه، واطمئنان نفسه، والبركة في رزقه، وتكثير ماله.. ولا يظلم ربك أحداً.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿[هود: ١٥ - ١٦].

والشرك يحبط الأعمال الحسنة فلا تنفع في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣) **قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴿٦٤﴾ **وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٦٥﴾ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴿[الزمر: ٦٣ - ٦٦].

وصح عنه ﷺ أن الكافر يُطعم بحسنته في الدنيا، فيأتي يوم القيامة وليس له حسنات، كما قال ﷺ:

«إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها» (١).

(١) رواه مسلم.

ماذا قال الكفار يسألون، فكيف نوجه

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] ؟

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ۚ وَلَا يُؤْدِنُ لَكُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] ؟

إشكال



الجواب: أن حال الكفار يوم القيامة يكون على أحد حالين:

- أن الكفار لا يُسألون عن ذنوبهم سؤال حساب لحسنات أو سيئات، كما يُسأل غيرهم من المؤمنين، وإنما يُسألون سؤال تقريع على أعمالهم، فيُوبَّخ ويُعَاتَب: لماذا سَرَق؟ لماذا زنى؟..

- أن يوم القيامة طويل جداً، فيه أحداث ومواطن، حساب وصحف وصراط وحوض.. فهم يُسألون في موطن دون موطن.

فالقيامة موطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك.

أثقل شيء في الميزان !!

كلما كان العمل أحب إلى الله تعالى كان أثقل في الميزان، وإذا ثقل الميزان بالعمل الصالح، أفلح العبد ونجح.

والأعمال متنوعة متفاوتة، بعضها أفضل من بعض، منها الكبير والصغير، والخفيف والثقيل، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن بعض الأعمال أنها ثقيلة في الميزان، فمن ذلك:

• حُسْنُ الْخُلُقِ:



حسن الخلق شيء هين، وجه طليق
وكلام لين..

فمن رُزِقَ حسن الخلق، ودوام
الابتسام، ولطف التعامل، ولين
الجانب، فعمله ثقيل في الميزان
ثقيل، حبيب إلى الرحمن.

وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأكرمهم معشراً، حتى
مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **الفلم: ١٠٠**.

وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
آل عمران: ١٥٩.

وقد مدح النبي ﷺ حسن الخلق فقال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان
العبد يوم القيامة خلق حسن، وإن الله يفيض الفاحش البذيء»^(١).

• ذِكْرُ اللَّهِ:



كثرة ذكر الله تعالى، والتسبيح
والتهميد والتهليل، تجعل العبد
محبوباً قريباً إلى الله تعالى، ومن
أحب شيئاً أكثر من ذكره، فمن
أحب الله تعالى أكثر من ذكره.

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال: ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ أَكْثَرُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٣٥].

والنبي ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: بلى.

قال: ذكر الله تعالى»^(١).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فمُرني بأمر آتيت به، فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله ﷻ»^(٢).

والذكر ثقيل في الميزان.. كما قال ﷺ:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(٣).

ومن أفضل الذكر قول: الحمد لله.. وهي ثقيلة في الميزان.. كما قال ﷺ: «المنور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض»^(٤).

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

• الوقف في سبيل الله:



الوقف أن يخصص المرء شيئاً من ماله كعَقَار أو مزرعة أو أثاث، فلا يبيعه، بل يجعل ما يُستخرج من أجرته يُنفق في أوجه البر تقرباً إلى الله تعالى.

وهو صدقة جارية. قال ﷺ:

« إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له »^(١).

وقال ﷺ: « إن مما يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »^(٢).

وقال ﷺ: « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده كان شبعه وريته وروثه وبوله حسنات يوم القيامة »^(٣).

وهذا كله مما ذكر يدل على فضل الوقف كذلك.

وقال جابر بن عبد الله ﷺ: « لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ ذا مقدرة إلا وقف ».

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي ، بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري.



وقد كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بئرحاء وهو بستان من نخل بجوار المسجد النبوي وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَن نَّالُوا الْرِّحْتَ نُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) قام أبو طلحة إلى الرسول ﷺ فقال: «إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَن نَّالُوا الْرِّحْتَ نُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بئرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضغها يا رسول الله حيث شئت. فقال ﷺ: بخ. ذلك مال رابح. ذلك مال رابح. قد سمعت ما قلت فيها. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»^(١).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «أصاب عمر أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه فما تأمرني به؟ فقال له رسول الله ﷺ: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها.

فتصدق بها عمر: أنها لا ثباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ولا يطعم غير متمول»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه، ومعنى غير متمول: أي غير متخذ منها ملكا لنفسه.

والوقوف من خصائص الإسلام ^(١).. والوقوف ثقيل في الميزان: قال ﷺ: « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً واحتساباً وتصديقاً بوعده، كان شبعه وريّه ورؤثه في ميزانه يوم القيامة » ^(٢).

والمقصود بالحديث الحث على أن يوقف المسلم شيئاً يناله نفعه، فمن احتبس فرساً في سبيل الله فإن الله تعالى يجعل شبعه بالطعام وريّه بالماء بل ورؤثه - العائد الخارج منه - كل ذلك يكون مُثْقَلًا لميزان حسناته يوم القيامة.

وأخيراً..

على العبد أن يحرص أن يثقل موازينه يوم القيامة بالإكثار من الحسنات والهَمُّ بها، فقد قال ﷺ: « الحسنات بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف » ^(٣).

وقال ﷺ: « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » ^(٤).

ميزان..

الإخلاص لله تعالى يزيد العامل قرباً
وإيماناً ويثقل عمله في الميزان.

(١) الوقوف أنواع:

الوقوف على الذرية والأقارب: فيجعل غلّة الوقف تنفق على المحتاج الفقير من ذريته أو أقاربه.
الوقوف الخيري: وهو ما يصرف ريعه على جهة خيرية كالفقراء والمساكين وبناء المساجد والمستشفيات ودور الأيتام وغيره.
الوقوف المشترك: فيوقف أولاً لجهة خيرية لمدة معينة ثم بعدها للذرية والأقارب فيقول أوقفت الدار للفقراء سنة ثم لأولادي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

الحَوْض

المؤمنون بنبيهم ﷺ عند الحوض، فيسقيهم بيده الشريفة شربة هنيئة لا يظمئون بعدها أبداً، ويُطرد أقوام من المنافقين والمرتدين عن حوض النبي ﷺ، فلا يشربون.

- فما الحوض؟
- وأين موضعه؟
- وما صفات الشاربين منه؟

مدخل	٢٦٩
منبر النبي ﷺ على حوضه	٢٧٠
موضع الحوض، وترتيبه في الآخرة	٢٧٠
نهر الكَوْتَر وعلاقته بالحوض	٢٧٠
صفات الحوض	٢٧١
أول الناس ورودًا عليه	٢٧٦
تقديم أهل اليَمَن	٢٧٦
الواردون على الحوض	٢٧٧
حوض نبينا ﷺ لأمته فقط	٢٧٩

مدخل

إذا طال وقوف الناس يوم القيامة في أرض المحشر، وقد ازدحمت الأمم، من لدن آدم عليه السلام إلى آخر ميت من أمتنا، يحشرون يوم القيامة وقد اشتد العطش، وعظم الفزع، واشتأقت الأفواه إلى شربة ماء، تبّل بها ريقها. عندها يبدو لكل أمة حوض نبيها، ليشرب منه أتباعه من أمته، فمن الناس من يشرب، ومنهم من يُطرد.

والحوض هو الموضع الذي يجتمع فيه الماء، أما حوض النبي ﷺ فهو موضع ماء طيب يكرم الله تعالى به عبده ورسوله محمداً ﷺ في الموقف العظيم يوم القيامة، وهو حوض: واسع الأرجاء، غاية في الصفاء، ماؤه أبيض من اللبن، أحلى من العسل، ريحه أطيب من المسك، أباريقه كعدد نجوم السماء، حوض ترد عليه أمة نبينا ﷺ. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

هل الحوض خاص بنبينا محمد ﷺ؟

مسألة



لكل نبي من الأنبياء يوم القيامة في المحشر حوض، ولكنه ﷺ يرجو أن يكون حوضه أكثرهم واردة، أي أكثر أتباعاً، يأتون ليشربوا من حوض نبيهم.

كما قال ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»^(١).

أي يتنافس الأنبياء في كثرة المؤمنين من أممهم، فكل من كثر المؤمنون من أمته، ازداد فرحاً وفخراً على بقية الأنبياء.

(١) رواه الترمذي، صحيح.

منبر النبي ﷺ على حوضه:

وذلك من إكرام الله تعالى، ورفع قدر نبينا ﷺ بين الناس، فهو سيد ولد آدم يوم القيامة.

قال ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»^(١).

والمؤمن يشاق إلى رؤية نبينا ﷺ في عَرَصات القيامة، والشرب من يده الشريفة شربة من الحوض المبارك.



موضع الحوض، وترتيبه في الآخرة:

إذا اجتمع الناس في المحشر يوم القيامة، واشتد فزعهم، وعطشهم، ثم اشتاقوا أن يردوا حوض ماء يشربون منه.

فهل يكون ورود المؤمنين ليشربوا من الحوض قبل عبورهم الصراط، أم قبله؟

اختلف أهل العلم في موضعه، والصحيح أنه يكون قبل المرور على الصراط، وذلك أن المرتدين والكفار والمنافقين بعد طردهم من الحوض يمشون مع الناس ليعبروا الصراط، فلا يستطيعون، فيتساقطون في النار.

نهر الكوثر وعلاقته بالحوض:

الكوثر وصف يدل على المبالغة في الكثرة، وهو النهر الذي يغذي الحوض بالماء.

(١) رواه البخاري.

وقد وردت أحاديث تصف نهر الكوثر وصفاً يشبه الوصف الذي ورد في الحوض؛ مما جعل بعض أهل العلم يرى أن الكوثر الوارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) أن المقصود به الحوض.

والذي يظهر أن الحوض يكون في أرض المحشر يوم القيامة، أما الكوثر فنهر في الجنة، لكن العلاقة ما بين الحوض والنهر هي أن نهر الكوثر يصب في الحوض ويغذيه بالماء، فصار الحوض كأنه فرع وامتداد لنهر الكوثر، فتداخلت أوصافهما، وسيأتي تفصيل الكلام في وصف نهر الكوثر وبيان طبيعة مجراه، ومن أين ينبع عند كلامنا عن وصف الجنة..

❁ صفات الحوض

الحوض موضع يجتمع فيه ماء من الجنة، يشرب منه المؤمنون يوم المحشر، وقد ثبتت أحاديث في وصف الحوض، وذكر من يشربون منه، ومن يُردُّون عنه.

ومجموع ما ثبت في الأحاديث في وصفه، أنه:

- حوض واسع الأرجاء.
- ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك.
- أباريقه وكيزانه كثيرة جداً كعدد نجوم السماء.
- يأتيه هذا الماء الطيب من نهر الكوثر.
- ترد عليه أمة نبينا محمد ﷺ.
- من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

• حوض واسع :

جاءت أحاديث كثيرة في وصف سعة الحوض، وكِبَر حجمه، ليسع الناس، فلا يتزاحمون، ولا يتأخر أحد في الشرب. وتقريباً لحجمه، قدّره النبي ﷺ بالمسافات بين البلدان، فذكر بلدان كثيرة، تقريباً للفهم، وتشويقاً لذلك الحوض.

قال ﷺ: « أمامكم حوض كما بين جَرْباء وأذرح »^(١).

وقال ﷺ: « إن قَدَر حوضي كما بين آيَلة وصَنعاء من اليَمَن »^(٢).

وقال ﷺ: « ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة »^(٣).

وقال ﷺ: « إن حوضي أبعد من أَيْلة من عَدَن »^(٤).

وقال ﷺ: « حوضي من عَدَن إلى عَمَّان البَلقاء »^(٥).

وقال ﷺ: « حوضي ما بين الكعبة وبيت المقدس »^(٦).

(١) رواه البخاري، جَرْباء وأذرح: جرباء وأذرح متلازمان في الذكر عادة، كما يقال: مكة والمدينة، أو دجلة والفرات، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة معان على قرابة ٢٢ كم، وطريقهما يفرق من مدينة معان، إذا كنت سائراً في معان متجهاً إلى عمان رأيت لوحة تشير إلى اليسار، كتب عليها: إلى أذرح والجرباء.

(٢) متفق عليه. وبلدة أَيْلة: هو الاسم القديم لمدينة العقبة الأردنية، وسميت أَيْلة، وإيلات، وهي عند قمة خليج العقبة، وهو الميناء الوحيد للمملكة الأردنية على البحر الأحمر، وهي بلدة تحيط بها الجبال، فتحها المسلمون سنة ٦٣١م الموافق سنة ١٠هجرية.

وصنعاء: مدينة باليمن، وهي عاصمة الجمهورية اليمنية اليوم.

(٣) رواه مسلم، صنعاء عاصمة اليمن اليوم، والمدينة: هي المدينة النبوية، الواقعة اليوم في غرب المملكة العربية السعودية، وقد سماها النبي ﷺ: طَيْبَة.

(٤) رواه مسلم، عَدَن: بلدة تقع جنوب اليمن، وأَيْلة: العقبة الأردنية، وقد تقدمت قبل قليل.

(٥) رواه الترمذي، صحيح، عمان: هي مدينة عمان المشهورة اليوم عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية.

قوله «عَمَّان البَلقاء»: هو اسم إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية، تتوسطه مدينة عمان عاصمة الأردن، ومن أشهر مدن هذا الإقليم: عمان والسلط ومادبا والزرقاء والرصيفة.

(٦) رواه ابن ماجه، صحيح، الكعبة: يعني المسجد الحرام في مكة، وبيت المقدس: المسجد الأقصى، في مدينة القدس بفلسطين.

وقال ﷺ: «إني فرطكم على الحوض وإن عرضَه كما بين أيلة إلى الجُحفَة»^(١).

وسُئل ﷺ عن عرض حوضه، فقال: «من مقامي إلى عَمَّان»^(٢).



(١) رواه مسلم، ومعنى فرطكم أي أسبقكم إلى الحوض، أيلة: العقبة الأردنية، وقد تقدمت قبل قليل. الجُحفَة: مدينة شمال جدة، تبعد عن جدة ١٠٠ كم، وهي اليوم غائبة المعالم، وأشهر المدن حولها مدينة رابغ حيث تبعد عنها ٢٢ كم.

(٢) رواه مسلم، من مقامي: أي من المدينة. عمان: عاصمة الأردن اليوم، وقد تقدمت قبل قليل.

التنوع في ذكر المدن..

الملاحظ في هذه الأحاديث أن النبي ﷺ نَوَّعَ ذكر المدن، زيادةً في الإيضاح والبيان، فمن لم يعرف موضع مدينة، عرف الأخرى.



• الحوض مُرَبَّعٌ:

الناظر في الأحاديث يجد أن شكل الحوض، عرضه مسيرة شهر وطوله مسيرة شهر، فهما سواء.

قال ﷺ: « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ »^(١).

• عدد أباريقه:

يَرِدُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْحَوْضِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْهُ بِأَبَارِيقٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا، لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهَا، وَلَا يَزِدُّهُمْ مِنْهَا.

قال ﷺ: « فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ »^(٢).

(١) متفق عليه. ومعنى مسيرة شهر: أي المسافة ما بين كل زاوية إلى الأخرى، مسيرة شهر، أي يسير الإنسان من زاوية إلى أخرى شهرًا كاملاً، من طول ما بين الزوايا.

زواياه سواء: أي المسافة ما بين كل زاوية والأخرى من زواياه الأربع متساوية.

(٢) رواه مسلم.

• مصدر ماء الحوض:

ماء الحوض ينبع من الجنة، يصب فيه نهر الكوثر، كما قال ﷺ:

« يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ »^(١)

• صفة ماء الحوض:

ماؤه أطيب وأعذب وأحلى الماء، ولا عجب في ذلك فهو من الجنة، قال ﷺ:

« أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ »^(٢).

وقال ﷺ: « وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ »^(٣).

• شربة واحدة تروي الظمأ:

من طيب ماء الحوض أن شربة واحدة منه، يجد الشارب من لذتها،

وطيبها، وأثرها ما يقضي به على عطشه، ولا يظمأ بعدها أبدًا.

كما قال ﷺ: « فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ

بَعْدَهَا أَبَدًا »^(٤).

(١) رواه مسلم، معنى يشخب: أي يصب ويسيل فيه.

ميزابان: مثني ميزاب، والميزاب هو ما يسيل منه الماء من موضع عال.

(٢) رواه مسلم، ومعنى الورق: الفضة.

(٣) رواه مسلم، والمِسْك: أطيب الطيب والعطر.

(٤) رواه مسلم.

❁ أول الناس وروداً عليه:

حوض نبينا ﷺ جعله الله تعالى كرامةً لنبيه ﷺ، وربنا سبحانه أهل للكرم والجود، ونبينا ﷺ يستحق الإكرام والإحسان.

وكما كان المؤمن أكثر إيماناً وتصديقاً، وبذلاً للخير، صار أسبق للشرب من الحوض، وأول الناس شرباً منه هم فقراء المهاجرين الذين بذلوا أرواحهم، وسفكوا دماءهم، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله، كما وصفهم العليم بظواهرهم وباطنهم بقوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)

وأولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ... وبقية الصحابة الكرام.. كما قال ﷺ: «وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. أول الناس وروداً عليه: فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً، الدُّنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السُّدد»^(١).



❁ تقديم أهل اليمن:

أهل اليمن، أرقّ الناس قلوباً، وألينهم أفئدة، وهم أول من جاء بالمصافحة، لحسن أخلاقهم، وطيب طباعهم.

(١) الحديث رواه الترمذي، صحيح، المعنى: أن فقراء المهاجرين الضعفاء، الذين تركوا ديارهم وأموالهم وفروا بدينهم إلى المدينة، خوفاً على دينهم، وإقبالاً إلى ربهم تعالى، هؤلاء هم أسبق الناس إلى الحوض، وهم لفقرهم شعث الرؤوس أي شعورهم مُغبرة، وثيابهم قديمة بالية، زوجاتهم فقيرات ضعيفات، لا تفتح لهم السُّدد أي البيوت والأبواب، التي تفتح عادة للأغنياء.

فهم يكونون من السابقين إلى الحوض، ويُقدّمهم النبي ﷺ في الشرب قبل غيرهم.

قال ﷺ: «إني لبيغضر حوضي أدود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفضّ عليهم»^(١).

وفي الحديث فضيلة لأهل اليمن، فمعناه أبعد الناس عن الحوض ليتقدم أهل اليمن، ويسيل الماء عليهم.

وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب مجازاةً لهم بحسن صنيعهم في الدنيا للإسلام.

❁ الواردون على الحوض:

كلما ازداد المرء صلاحًا صار أسرع تقدمًا إلى الحوض، وأصلح هذه الأمة هم صحابة رسول الله ﷺ، وأصلحهم الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، والأنصار لهم تقدم أيضًا.

كما قال ﷺ للأنصار رضي الله عنهم: «إنكم ستلقون بغدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٢).

الأثر: لفظ مأخوذ من الإيثار، وهو تقديم أحد على أحد، والمعنى أن الأنصار يُقدم عليهم غيرهم في العطاء والمال مع أنهم أولى وأحق لخدمتهم الإسلام وجهادهم.

(١) رواه مسلم، قوله «لبيغضر»: العقر: هو المكان الذي تقف فيه الإبل قبل شربها من الحوض عادة، وهو أمام البئر، وقيل في مؤخرة البئر، قوله «يرفضّ عليهم» أي يسيل الماء بقوة.

(٢) متفق عليه. معنى أثره: أي يؤثر غيركم ويُقدم عليكم في العطايا والهبات، وأنتم أحق منه، لأنكم من أول من نصر الإسلام، لكن لا تنازعوا الأمر أهله، ولا تحدثوا خصومات، وإنما اصبروا حتى تلقوني على الحوض.

وبين النبي ﷺ أن الذين ارتدوا عن الإسلام بعد موته ﷺ، والمنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، فإن هؤلاء جميعاً تنكشف حقائقهم وتُفصح سرائرهم يوم القيامة، ويُطردون عن الحوض. كما قال ﷺ:

« أنا فرطكم على الحوض أنظركم ليرفع لي رجال منكم حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني. فأقول: رب أصحابي، أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. ».

وفي رواية: « إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري »^(١).

ليس قدحاً في الصحابة..

تنبيه



هذا الحديث ليس قدحاً في الصحابة الكرام ﷺ، بل معناه: أن الذين يُطردون عن الحوض هم الذين ارتدوا عن الإسلام في عهد أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ، فقاتلهم أبو بكر، فماتوا على الكفر.

ومعلوم عند كل مؤمن أنه لم يرتد من الصحابة المشهورين أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة وجهلة الأعراب ممن لم يكن له نصرة للدين، ولا مخالطة للنبي ﷺ، ولا طول مجالسة، ولا طلب للعلم، ولا حفظ للحديث.

وأيضاً من هؤلاء الذي يراهم النبي ﷺ فيعرفهم، ويظنهم أصحابه، هم المنافقون، كعبد الله بن أبي بن سلول، وغيره، ممن كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، والله تعالى أعلم بسرائرهم.

(١) رواه البخاري، ومعنى الحديث: أنا فرطكم أي أسبقكم إلى الحوض أنتظركم لأسقيكم، فيأتي رجال يراهم النبي ﷺ فيتذكر أنه رآهم في الدنيا، فينتظر أن يصلوا إلى الحوض ليشربوا، فتمنعهم الملائكة من الشرب، فيقول ﷺ: رب أصحابي، أي لماذا يُمنعون؟ فيقال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، ومعنى القهقري: هو تراجع الرجل للخلف ماشياً، كأن أحداً يدفعه للخلف وهو يريد التقدم للأمام.

حوض نبينا ﷺ لأمته فقط:

لكل نبي يوم القيامة حوض، يشرب منه المؤمنون من أمته، وقد أخبر ﷺ أن حوضه مخصص لأمته لا يشرب منه غيرهم، بل كل أمة تشرب من حوض نبيها، كما قال ﷺ:

« ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله، فقال الصحابة: يا نبي الله، أتعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيمًا ليست لأحد غيركم، تردون علي غرًا مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء. وليصدقني عني طائفة منكم فلا يصلون. قالوا: يا رب هؤلاء من أصحابي! فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك »^(١).

وهذا الحديث يؤيد أن المطرودين عن الحوض هم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وكانوا يجالسون النبي ﷺ، فكأنه يقول لهم محذرًا في الدنيا: إن أشخاصًا منكم أيها الجالسون معي سيطردون يوم القيامة عن حوضي، لأن الله تعالى سيعاملهم يوم القيامة على حقيقتهم، وهؤلاء المنافقون بعضهم فُضح في عهد النبي ﷺ، كالذين خرجوا معه إلى معركة أُحُد، فلما وصلوا إلى موقع المعركة، رجعوا وكانوا ثلاثمائة رجل!!

وقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريبة من الإبل »^(٢).

(١) رواه مسلم، والمعنى أنه ﷺ يذود الأمم الأخرى: أي يبعد الأمم الأخرى عن الشرب من حوضه لأنهم إن كانوا مؤمنين شربوا من حوض نبيهم، ولما سأله الصحابة هل تعرفنا يوم القيامة أخبرهم ﷺ أن لأمته سيمًا أي صفة وعلامة تتميز بها عن غيرها من الأمم، فإن أمته يرؤون عليه غرًا مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء، والغرة والتحجيل هو بياض ونور في الجبهة والقدمين، يميز الله تعالى به هذه الأمة لوضوئهم وصلاتهم. وتقدم بيان أن المقصود بمن يطردون عن الشرب من الحوض هم المرتدّون بعد وفاة النبي ﷺ، والمنافقون الذين كانوا يصلون معه، ويراهم في مجالسه، وهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

(٢) رواه مسلم، ومعنى الحديث: أذود أي أبعد الأمم الأخرى عن الشرب لأنهم إن كانوا مؤمنين شربوا من حوض نبيهم، أو أبعد رجالاً كانوا معي في الدنيا لكنهم منافقون أعداء للدين، كما تطرد الناقة أو البعير الغريب عن مجموعة الإبل.

والأمم يوم القيامة كثيرة جداً، والخلق لا يحصيهم إلا الله، والزحام عظيم، والخطب جسيم، وأمة محمد ﷺ من أقل الأمم عدداً مقارنة بأعداد الأمم يوم القيامة.

وأثناء عَرَصات القيامة، وفي حال شدة العباد، يحتاج الناس إلى من يشفع لهم عند ربنا جل وعلا، فتكون للأنبياء والرسل والملائكة والشهداء والصالحين عدة شفاعات..

سيأتي تفصيلها في الفصل التالي..

عقيدة..

صحابة نبينا هم أفضل الأمة
وغيرها وهم أول الناس وروداً
على هروض نبينا ﷺ

الشفاعة

من أعظم أحداث يوم القيامة، ولها في القيامة تأثير كبير، وتخفيف وتيسير، يرغب العباد فيها إلى سادة الأتقياء، فيعتذر عنها الرسل والأنبياء، ثم يبعث الله نبينا محمداً ﷺ للمقام المحمود، والرفعة والصعود..

- فما الشفاعة؟
- وما شروطها؟
- وكم أنواعها؟
- وهل هي خاصة بنبينا ﷺ أم لبقية الأنبياء أيضاً؟
- وهل يمكن أن يشفع غير الأنبياء؟

مدخل	٢٨٣
تعريف الشفاعة	٢٨٣
شروط الشفاعة	٢٨٤
أهمية الشفاعة	٢٨٥
لكل نبي دعوة مستجابة	٢٨٦
أنواع الشفاعة	٢٨٦
الشفعاء يوم القيامة	٢٨٨
الطريق لنيل شفاعته ﷺ	٣٠٨
كثرة اللعن تمنع الشفاعة	٣١٠
أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ	٣١١

❁ مدخل :

إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة، وطال وقوفهم، واشتد فزعهم، وبكت عيون المفرطين، وخابت ظنون الخاسرين، وخافت الرسل الكرام، واضطربت الملائكة العظام، وبلغت القلوب الحناجر، وخاب كل كافر وفاجر.

عندها يبحث الناس عن من يشفع لهم إلى الملك العظيم، ليبدأ حسابهم، ونشر صحفهم.. وبعد طول طلب وانتظار، ومرور على الرسل الأخيار، يقوم سيد البشر شافعاً، وللواء الحمد رافعاً، ويسجد بين يدي ربه داعياً، مبتهلاً راجياً.. فيقبل الله تعالى شفاعته.. ثم يشفع ﷺ بعدها شفاعات، يخرج بها أقوام من النار إلى الجنة، ويرفع درجات بعض المؤمنين في الجنة.. وغيرها..

كما قال ﷺ: «أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَلَنْ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّهَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرِكْتَهُ الصَّلَاةَ فليصل، وأَعْطَيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكُلَّ نَبِيٍّ بُعِثَ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثَ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

❁ تعريف الشفاعة:

مصدر شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً مأخوذة من الشَفَعَ: وهو ضم الواحد إلى الواحد، وهو ضد الوثر.

والشفاعة هي: سؤال الخير للغير، وسميت شفاعة لأن الشخص يكون في البداية منفرداً في طلب حاجته، فإذا انضم إليه آخر يطلبها معه صاروا شَفْعًا، أي اثنين.

(١) متفق عليه

❁ شروط الشفاعة:

ذكر الله تعالى في القرآن شرطين، لا بد من توافرها لتكون الشفاعة مقبولة عند الله تعالى، نافعة للمشفوع له، وهذان الشرطان هما:

• إذن الله تعالى للشافع بأن يشفع سواء كان هذا الشافع نبياً أو شهيداً أو ملكاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]

• رضا الله تعالى عن المشفوع له بأن يكون عاصياً معصية دون الشرك، فإن كان المشفوع له كافراً، لم يقبل الله تعالى أن يشفع له أحد، لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به؛ لذا قال تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مریم: ٨٧]، والعهد هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل العهد هو الصلاة لقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ^(١).

فالكافر ليس له عند الله عهد توحيد وإيمان، فلا تُقبل فيه شفاعة الشافعين..

وقال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ^(٢)،

يعني: أنه يشفع للعصاة عموماً وإن كانوا من فاعلي الكبائر، أما من وقع فيما هو أعظم من الكبائر وهو الشرك، فلا يشفع له.

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

(٢) رواه أبو داود وغيره، صحيح.

وجمع الله تعالى شرطني الشفاعة في آية واحدة، فقال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

فقوله ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي أذن للشافع أن يشفع.

قوله ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي رضي عن المشفوع له أنه لم يأت بشرك.

ولا يملك الإذن بالشفاعة إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾

[الزمر: ٤٤].

أهمية الشفاعة:



نيل شفاعة النبي ﷺ، ثم نيل شفاعة من أكرمهم الله تعالى بالشفاعة من الشهداء وغيرهم، هو شرف عظيم، ونجاة ونجاح للمشفوع له.

ومن أهمية الشفاعة أن النبي ﷺ خيره الله تعالى بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة، فاختار الشفاعة، كما قال ﷺ:

«أتدرون ما خيرني ربي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. قلنا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: هي لكل مسلم.»^(١)

(١) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح

❁ لكل نبي دعوة مستجابة:

ومن حرصه ﷺ على الشفاعة أنه كان يفرح بها ويستعد لها وهو في الدنيا، ومن ذلك أن لكل نبي دعوة مستجابة، فدعا كل نبي بها في الدنيا.

أما رسول الله ﷺ، فبالرغم مما أصابه من تعب ولأواء في الدنيا، وكم احتاج إلى هذه الدعوة المستجابة، ومع ذلك خبّاها ليوم القيامة.

كما قال ﷺ: « لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً »^(١).

ومن فضل الله تعالى ومنته وكرمه أنه قد وعد الله نبيه ﷺ أن يدخل الجنة من أمة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، ومعهم غيرهم.

كما قال ﷺ: « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب. مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثياته »^(٢)

❁ أنواع الشفاعة

كل الخلائق يوم القيامة تتمنى نيل الشفاعة، فمنهم من يُقبل ومنهم من يُطرد، ومن أعظم المطرودين الخاسرين أناس كانوا في الدنيا يتقربون لقبور وأقوام، وأحجار وأصنام، يبذلون لهم الدعاء، ويرجونهم كشف البلاء، وينحرون عند قبورهم الذبائح، ويصبئون العطور ونفائس الطيب، فإذا جاء يوم القيامة تبرأ المعبدون من دون الله ممن عبدوهم، ولم ينفعوهم أو يُنجوهم.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بنحوه، صحيح.

وما أحسن قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿البقرة: ١٦٥ - ١٦٧﴾.

وقد دلت الأدلة الشرعية على أن الشفاعة، منها مقبول مأذون به، نافع يوم القيامة، ومنها مردود لا ينفع الشافع ولا المشفوع له.

فالشفاعة نوعان:

• أولاً: شفاعة مقبولة:



وهي الشفاعات الثابتة في القرآن والسنة، سواء لرسول الله ﷺ، أو للأنبياء عليهم السلام، أو للملائكة أو الشهداء، أو المؤمنين، وهي أنواع وأقسام، ومراحل، وبعضها عام لجميع الناس من أمتنا والأمم الأخرى، وبعضها خاص لأمتنا فقط.

• ثانياً: الشفاعة المرفوضة:



فهي ما يعتقده المشركون والنصارى في آلهتهم، وما يعتقده المبتدعون في مشايخهم، وما يظنه عبّاد القبور في القبورين، فيبدلون لهم الدعاء والذبح والتَّمَسُّح والصلاة، رغبة في شفاعتهم يوم القيامة.

وقد كَذَّبَ الله أصحابها، فلا أحد يشفع في ذلك اليوم إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا إذا رضي الله عن الشافع والمشفوع.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فمن تقرب إلى قبر بصرف شيء من أنواع العبادة له، من ذبح، أو توسَّل، أو دعاء، أو طواف، أو صلاة.. فهو في ضلال بعيد، وبالشفاعة غير سعيد.



❁ الشفعاء يوم القيامة:

من إكرام الله تعالى لأصحاب قُربه، وأهل عبادته - أنه يقبل شفاعتهم ووساطتهم يوم القيامة في إنقاذ بعض أهل النار منها.

وقد تقدّم الحديث عن أنواع الشفاعة وشروط قبولها، وذكرنا أن أحد هذه الشروط أن يأذن الله تعالى للشافع بالشفاعة.

وفي ضوء الأدلة الشرعية نجد أن الشفعاء يوم القيامة هم:

الأنبياء:

الأنبياء هم أصفياء الله من البشر، اصطفاهم ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، وهم درجات عند الله، وهو سبحانه يكرم ويرفع من يشاء، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [الجاثية: ٢٨]، ومن أعظم الإكرام والإعزاز يوم القيامة قبول الشفاعة من الشافع.



سنعرض أولاً شفاعات نبينا محمد ﷺ -نسأل الله أن لا يحرمنا شفاعته-، وبعضها خاص به، وبعضها يشترك معه فيها غيره من الأنبياء والشهداء..

وهذه الشفاعات هي:

الشفاعة الأولى:



هي الشفاعة العظمى يوم القيامة
في أهل الموقف جميعاً، وهي من المقام
المحمود في قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

[الإسراء: ٧٩].

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ، لأن كل الأنبياء يعتذرون عنها، وهي أعظم
الشفاعات، فيشفع ﷺ لأهل الموقف، وهم في المحشر، فرعين مضطربين،
يشفع لهم ليقضي الله بينهم، ويتخلصوا من الغم والكرب وهول الموقف.

كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً^(١) كل أمة
تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع يا فلان، اشفع! حتى تنتهي الشفاعة
إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»^(٢).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً أنه سمع النبي ﷺ يصف حال الناس
يوم القيامة، في حديث طويل، قال فيه النبي ﷺ: «... فيشفع ليقضى
بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً
محموداً، يحمده أهل الجَمْع كلهم»^(٣).

واختصاص النبي ﷺ بهذه الشفاعة، هو لبيان شرفه، وإظهار مقامه، وقد
قال ﷺ: «أنا سيد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه
الأرض يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مُشَفَّع ولا فخر»^(٤).

(١) جثاً: جمع جاثٍ، أي من شدة الهول لم يستطع الوقوف على قدميه، فقام على ركبتيه، كما قال تعالى:
﴿وَرَأَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾.

(٢) رواه البخاري عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه ابن ماجه.

ولأنها الدعوة المدخرة لرسول الله ﷺ، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ: «يا رسول الله ألا سألت ربك مُلكاً كملك سليمان؟ فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: لعل لصاحبكم عند الله أفضل من مُلك سليمان، إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، منهم من اتخذها دنياً فأعطىها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، فإن الله أعطاني دعوة فاخترتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة»^(١).

الأنبياء يعتذرون عنها إلا نبينا محمد ﷺ:

هذه الشفاعة جاءت مُفصلة في عدة أحاديث، وقد جمعت رواياتها هنا، فقد أخبرنا النبي ﷺ: أن الله يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد.. يُسمعهم الداعي.. وينفذهم البصر.. وتدنو الشمس.. فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.. فإذا اشتد عليهم ذلك.. ورجوا أن يفصل الله بينهم القضاء.. قال بعضهم لبعض:

ألا ترون ما أنتم فيه.. وما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ﷻ؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم..

فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر.. خلقك الله بيده.. ونفخ فيك من روحه.. وأمر الملائكة فسجدوا لك.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم ﷺ: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي.. نفسي.. نفسي^(٢).. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى نوح..

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح.. أنت أبو الرسل إلى أهل الأرض.. وسماك الله عبداً شكوراً.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى

(١) أخرجه الحاكم، والطبراني، والزيّار، صحيح.

(٢) المعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لشدة تعظيمه لله تعالى وخوفه منه، يقول نفسي نفسي، أي أبحث عن نجاة نفسي، وإنقاذ نفسي.

إلى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. وإنه كانت لي دعوة على قومي، نفسي نفسي.. نفسي نفسي.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى إبراهيم..

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم.. أنت نبي الله.. وخليله من أهل الأرض.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً.. لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. فذكر كذباته.. نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى موسى..

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله.. اصطفاك برسالاته.. وبتكليمه على الناس.. اشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي غضب اليوم غضباً.. لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. واني قتلت نفساً لم أوامر بقتلها.. نفسي نفسي.. نفسي نفسي.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى عيسى..

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله.. وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.. وكلمت الناس في المهد.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً.. لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. ولم يذكر ذنباً.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى محمد..

قال ﷺ: فيأتوني فيقولون: يا محمد.. أنت رسول الله.. وخاتم النبيين.. غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأقوم فأقف تحت العرش.. فأقع ساجداً لربي ﷻ.. ثم يفتح الله علي ويُلهمني من محامده.. وحُسن الثناء عليه.. ما لم يفتحْه على أحد قبلي.. فيقال: يا محمد ارفع رأسك.. وسل تغط.. واشفع تُشفع.. فأقول: يا رب أمتي أمتي.. يا رب أمتي أمتي.. يا

رب أمتي أمتي.. فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة.. وهم شركاء الناس فيما سواه من أبواب.. ثم يفصل الله القضاء بين الناس.^(١)

فهذا ما يقع في الموقف العظيم، والخطب الجسيم، عند اضطراب الأمر، وحيرة الفكر، يشفع سيد الأنبياء، ورأس الأتقياء..

فهذه هي الشفاعة الأولى.. تفرع فيها جميع الأمم إلى النبي ﷺ..

• الشفاعة الثانية:

وهي بعدما يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة.. فيبحثون عن من يشفع لهم بدخول الجنة.. فيأتي المؤمنون آدم عليه السلام، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، كما قال ﷺ:

« يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُرْلَف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء^(٢)، اعمدوا إلى موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً عليه السلام فيقوم فيؤذن له^(٣) ».

فنبينا محمد ﷺ يشفع في استفتاح باب الجنة ودخولها، وهي من المقام المحمود أيضاً، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي محمد ﷺ دون غيره، ودل على ذلك حديث ابن عمر لما قال: «... فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب»^(٤).

(١) رواه أحمد والترمذي، وأصله في البخاري.

(٢) أي من خلف جباب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

وقال ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(١).

فهذا هو النوع الثاني من الشفاعات التي يكرم الله تعالى بها نبيه محمداً ﷺ، وهذه الشفاعة ينتفع بها أمته ﷺ وغيرها من المؤمنين من أهل الجنة.

• الشفاعة الثالثة:

وهي خاصة بالمؤمنين الذين ليس عليهم حساب ولا عقاب، يشفع لهم نبينا محمد ﷺ إلى الله تعالى أن يؤذن لهم بدخول الجنة. قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويُنفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون...



ثم قال في آخر الحديث: «ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأقول: أُمّتي يا رب، أُمّتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده، إن ما بين المضراعين من مَصاريع الجنة كما بين مكة وجُمَيْر، أو: كما بين مكة وبُضرى»^(٢).

وهذه الشفاعة أيضاً من المقام المحمود الذي اختصّ الله تعالى به نبينا محمداً ﷺ.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه. ومكة المكرمة: مدينة معروفة، وهي قبلة المسلمين، وجُمَيْر: بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء، وهي قبيلة مسكنها صنعاء اليمن، وهي نسبة إلى حمير بن سبأ، أما بُضرى فهي: مدينة في الشام.

• الشفاعة الرابعة:

من فضل الله تعالى وإحسانه لعباده المؤمنين، أنه يعاملهم بعفوه وحلمه، قبل أن يعاملهم بغضبه وعقوبته.



فمن رحمته تعالى بالخلق، أنه أذن لنبينا ﷺ أن يشفع في قوم دخلوا النار من عصاة المؤمنين الموحدين ممن ماتوا وليس عندهم شرك بالله تعالى، لكنهم ماتوا وهم مُصِرّون على معصية عالين بتحريمها.

فأخبرنا ﷺ أنه يشفع فيهم أيضًا، كما قال ﷺ في حديث الشفاعة:

«... فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ. فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدَ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَاهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمُحَمَّدٍ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ثم أرجع فإذا رأيت ربِّي وقعت ساجدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدَ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَاهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمُحَمَّدٍ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ثم أرجع، فإذا رأيت ربِّي وقعت ساجدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدَ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَاهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمُحَمَّدٍ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود.

يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة.
ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرة.
ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه ما يزن من
الخير ذرة^(١).

وقال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(٢).

وقال ﷺ في رواية أخرى: «فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من بُرة، أو شعيرة من إيمان، فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل.. ثم أرجع
إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجدا.

فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع
تشفع. فأقول: أمتي.. أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل.

ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجدا، فيقال لي: يا
محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا
رب، أمتي.. أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى، أدنى، أدنى،
من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق، فأفعل.

وقال في آخر الحديث: فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله.
قال: ليس ذاك لك. أو قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي، وكبريائي،
وعظمتي، وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله»^(٣).

(١) رواه البخاري ومسلم بنحوه، والشعيرة: جمعها شعير، وهو من أصناف الحبوب التي تزرع ويصنع منها الخبز ونحوه. والبُرة: جمعها بُر، وهو من أصناف الحبوب أيضاً التي تزرع ويصنع منها الخبز ونحوه، وهو يشبه الشعير إلا أن حجم حبته أصغر من حبة الشعير، والذرة: تطلق على الشيء الصغير جداً الذي لا يكاد يُرى.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم، صحيح.

(٣) رواه مسلم، ومعنى «حبة من خردل»: الخردل جمع خردلة، وهو نبات عُشبي يضرب به المثل في شدة الصغر.

صفة الخارجين من النار بالشفاعة:

وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ حَالَ بَعْضِ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجُوا مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ، بَعْدَمَا تَعَذَّبُوا فِيهَا، فَقَالَ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ التَّعَارِيرُ»^(١).



أحد أشكال نبات القثاء

قَوْلُهُ «التَّعَارِيرُ»: هِيَ الْقِثَاءُ الصَّغَارُ، وَالْقِثَاءُ هُوَ نَبَاتُ الْخِيَارِ الْمَعْرُوفِ، أَوْ هُوَ مِثْلُ الْخِيَارِ لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمَّا أَصَابَتْهُمْ النَّارُ غَيَّرَتْ أَجْسَادَهُمْ، فَتَغَيَّرَتْ أَشْكَالُهُمْ وَأَحْجَامُهُمْ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُمْ، فَصَارُوا كَالْتَّعَارِيرِ.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ خُرُوجَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ عَذِّبُوا فِيهَا، فَقَالَ:

«يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّاهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٢).

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّارِ، بَعْدَمَا يُطَهَّرُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّتِهِ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، يَشَارِكُهُ فِيهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَكِنْ لِنَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهَا النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، قال ابن حجر: «قوله «سفع» أي سواد فيه زُرْقَةٌ أَوْ صُفْرَةٌ، يُقَالُ: سَفَعَتِ النَّارُ إِذَا لَفَحَتْهُ فَغَيَّرَتْ لَوْنَ بَشَرَتِهِ وَفِيهِ رَوَايَةٌ: «قَدْ امْتَحَشُوا» وَفِي رَوَايَةٍ مُسَلَّمٌ: «إِنَّهُمْ يَصِيرُونَ فَحْمًا» وَفِي رَوَايَةٍ: «جَمْمًا» وَمَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَالْمُرَادُ بِالْجَهَنَّمِيِّينَ: أَيِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى الْجَنَّةِ.

• الشفاعة الخامسة:

وهي شفاعة خاصة من النبي ﷺ لعمه أبي طالب، دون غيره ومع أن الكفار قد قال الله تعالى فيهم:

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

إلا أن الله تعالى استثنى أبا طالب، فنفعته شفاعة النبي ﷺ ليس في إخراجهم من النار، ولكن في تخفيف العذاب عنه، بحيث يكون في ضحضاح من النار^(١).

وهو أهون أهل النار عذاباً، لكنه لا يخرج من النار.

وقد جاء تفصيل حال أبي طالب في أحاديث أخرى، فقال ﷺ عن عمه أبي طالب: «إنه وجده في غمرات النار فشفع له حتى صار في ضحضاح من النار».

فشفع لعمه أبي طالب فقط في تخفيف عذاب النار عنه لا في خروجه منها؛ لأن أبا طالب مات كافراً، والكافر قد حرم الله عليه دخول الجنة.

وقد اجتهد النبي ﷺ في دعوة عمه أبي طالب، ولم ييأس من ذلك أبداً، حتى إنه كان واقفاً عند رأس أبي طالب أثناء احتضاره، يناشده أن يقول: لا إله إلا الله، وأبو طالب يأبى ويقول: إنه على ملّة عبد المطلب.

(١) ضحضاح من النار: الضحضاح هو القليل من العذاب، والعرب تسمي الماء القليل ضحضاحاً، قيل لأعرابي: إن فلاناً يدعي الفضل عليك! فقال لو وقع في ضحضاح مني لغرق! أي في القليل من مياه كرمي ومالي، وقيل الضحضاح هو ما يبلغ الكعبين، وكل ما رُق من الماء على وجه الأرض فهو ضحضاح.



فشفع له ﷺ في أن يخفف الله عنه العذاب
فصار في ضحضاح من النار، بسبب ما بذل
من نصرة للنبي ﷺ وتعبه وحمايته له، وهذا
من الآيات الدالة على أنه ﷺ على جلالة
قدره، وعلو منزلته عند الله تعالى، إلا أنه
كما قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ﴾ [القصص ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقره ٢٧٢].

وقال ﷺ: «أهون الناس عذاباً يوم القيامة أبو طالب، فإنه في ضحضاحٍ
من النار يغلي منه دماغه»^(١).

وقال ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة من يكون له نعلان من
النار يغلي منهما دماغه، فهو يرى أنه أشد الناس عذاباً، وهو أهونهم
عذاباً»^(٢).

وفي رواية قال ﷺ: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو مُتَعَلِّ بنغلين
يغلي منهما دماغه»^(٣).

نسأل الله العافية والسلامة من عذابه، والثبات على دينه حتى الممات.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الحاكم، وأحمد، صحيح.

(٣) رواه مسلم.

• الشفاعة السادسة:

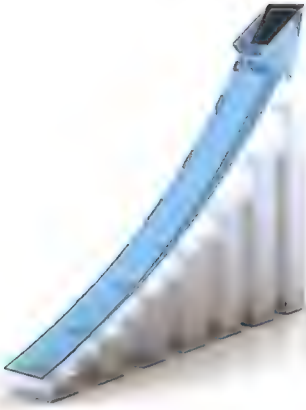
وهي أن يشفع فيمن استحق دخول النار بسبب معاصيه، وتقصيره، أن ينجو منها، فلا يدخلها، وهذه غير شفاعته فيمن دخلها من المؤمنين المصلين أن يخرج منها.



وهذه الشفاعة ليست خاصة بنبينا محمد ﷺ بل تكون لغيره أيضاً من الأنبياء والصديقين والصالحين والملائكة، يشفع الملائكة، يشفع الأنبياء، ويشفع المؤمنون أيضاً، كل هؤلاء يُشَفِّعُهُم الله تعالى فيمن دخل النار أن يخرج منها، أو فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها.

• الشفاعة السابعة:

هي الشفاعة لأناس من أهل الإيمان دخلوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، كما قال ﷺ داعياً لأبي سلمة بعد وفاته ﷺ:



«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ، وارفع درجته في المَهْدِيِّينَ، واخلفه في عَقْبِهِ في الغَابِرِينَ، واغفر لنا وله يا رَبَّ العالمِينَ، وأَفْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» ^(١).

(١) رواه مسلم، ومعنى اخلفه في عقبه في الغابرين: أي احفظ أولاده وأهله الذين بقوا أحياء.

• الشفاعة الثامنة:

وهي الشفاعة لمن يصبر على لأواء المدينة وتعبها، فيقيم فيها ولا يغادرها للسكنى في غيرها، كما قال ﷺ: « لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعا يوم القيامة، أو شهيدا »^(١).

• الشفاعة التاسعة:

الشفاعة لمن يموت بالمدينة، كما قال ﷺ: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإني أشفع لمن يموت بها »^(٢).

فطوبى لمن وفقه الله لسكنى المدينة، وطوبى لمن مات فيها.



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وغيره.

وهذه الشفاعات التسع هي التي ينفرد بها النبي ﷺ، أو يكون شفاعته فيها غالبية على شفاعة غيره، وهناك شفاعات وشفعاء آخرون، ثبت أنها تقع يوم القيامة، غير هذه الشفاعات، سيأتي الكلام عنها.

الملائكة والمؤمنون:

الملائكة لهم عند الله تعالى مقام وإكرام، والصالحون من المؤمنين كذلك، قال ﷺ: «... فيشفع: النبيون. والملائكة. والمؤمنون. فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة. فينبئون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض. فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم. فيدخلون الجنة. فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدمود. فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»^(١).

وفي رواية قال ﷺ: «... فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة»^(٢).

(١) الحديث متفق عليه. والمعنى: أن الله تعالى يخرج من النار بعض الموحدين غير المشركين، بعدما امتحشوا أي: احترقوا، فيلقون في ماء الحياة في الجنة، فتنبت أجسادهم من جديد كما تنبت الحبة في حميل السيل، أي: وحميل السيل هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مخرجي السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبّه النبي ﷺ سزعة عود أبنائهم وأجسادهم إليهم بعد إخراج النار لها، وبعدما تكتمل أجسادهم، ويتم حسنهم، يجعل في رقابهم الخواتيم: والخواتيم جمع خاتم، وهي علامات أو أسورة من ذهب تدل على منة الله تعالى عليهم أن أدخلهم الجنة بلا عمل عملوه، لكن بمغفرته ورحمته، فيدخلون الجنة وهم لم يعملوا خيرا قط، إلا أنهم لم يقنعوا في الشرك، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أي اعتقهم الرحمن وخلصهم من النار، ثم يقال لهؤلاء الناجين: لكم ما رأيتم من النعيم، ومثله معه، أي كل ما تقع أعينكم عليه هو لكم مضاعفا.

(٢) الحديث رواه مسلم، وقوله «حمما» جمع حَمَمَةٍ، وهي: الضحمة السوداء.

الشهداء:



الشهداء هم من بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعالى، فبهم يرفع الله راية التوحيد، وبجهادهم يُعبد الواحد المجيد، فارقوا الأهل والأوطان، والأحباب والخِلال، وتغربوا في البلاد، بلا أهل ولا أولاد، طالبين رضا الكريم المتعال، عندها كافأهم الله تعالى بأن جعلهم يوم القيامة من الشفعاء.

قال ﷺ: « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »^(١).

رجال صالحون:



وهم من أحبوا ربهم ﷻ فأحبهم، وتقرَّبوا إليه، فقرَّبهم، واستعانوا به فأعانهم، فلمنزلتهم عند الله تعالى يأذن لهم فيشفعون، كما جاء عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول:

« يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: سواي.

قال الراوي: فلما قام النبي ﷺ قلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي الجدعاء»^(٢).

(١) رواه أبو داود، صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وعبد الله بن أبي الجدعاء هو صحابي جليل من خيرة أصحاب النبي ﷺ، كان صاحب عبادة، وفزبة، وصدق، وهو يشفع يوم القيامة لعدد كبير.

القرآن؛



القرآن كلام الله تعالى، قُرْبَة إِلَى الله تعالى، ولقارئه بكل حرف حسنة، وهو عِزٌّ لقارئه فِي الدنيا، ونجاة له فِي الآخرة، وهو شافع يوم القيامة لأصحابه، كما قال ﷺ:

« اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه... الحديث »^(١).

وقال ﷺ: « يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حَلِّه، فيُلْبَس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زِدْهُ، فيُلْبَس حُلَّة الكرامة. ثم يقول: يارب ارض عنه فيَرْضَى عنه، فيقول: اقرأ وارْق، ويُزَاد بكل آية حسنة »^(٢).

وقال ﷺ: « إن القرآن يَلْقَى صاحبه يوم القيامة حين ينشَق عنه قبره كالرجل الشَّاحِب.. فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعْرِفُكَ، فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أَظْمَأْتِكَ فِي الْهَوَاجِر، وَأَسْهَرْتَ لَيْلِكَ، وَإِنْ كُل تاجر من وراء تجارته، وإِنَّكَ الْيَوْم من وراء كل تجارة. فيعطى الملك بيمينه، والخُلْد بشماله. ويوضع على رأسه تاج الْوَقَار، ويكسى والداه خُلَّتَيْن لَا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: عَمَّ كُسِينَا هَذَا؟ فيقال: بأَخَذ وَلدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ، واصعد، فِي دُرْج الجنة، وغرفها، فهو فِي صعود، ما دام يقرأ، حَذراً كان أو ترتيلاً »^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، حسن.

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد بسند قال فيه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

فالقُرآن يأتي شافعاً لقارئه يوم القيامة، وسورتا البقرة وآل عمران تُحاجّان عن قارئهما يوم القيامة، فمن أكثر قراءة القرآن، خاصة قراءة سورتا البقرة وآل عمران، استحق الشفاعة يوم القيامة.

فقد قال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزُّهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تُحاجّان عن أصحابهما»^(١).

موت الأولاد صغاراً:

موت الولد جرح في قلب أبيه، لا يكاد يبرأ أبداً، وإذا صبر الأب أو الأم، واحتسب أجره عند الله، فهو على خير عظيم. ففي عهد النبي ﷺ كان رجل يأتي رسول الله ﷺ، ومعه ابن له، ففقدته النبي ﷺ فقال:

«ما فعل ابن فلان؟ قالوا: يا رسول الله، مات.

فقال النبي ﷺ لأبيه: أما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟

فقال رجل: يا رسول الله، أله خاصة، أو لکُنْنا؟ قال: بل لکُلِّم»^(٢).

(١) الحديث رواه مسلم، قوله «غمامتان»: مثنى غمامة وهي السحاب في السماء، «غيايتان»: هي ما أظلتك من فوقك من سحاب أو غيره، «فرقان من طير صواف»: أي مجموعتان من طير كثيرة صافّة فوقه تطير بانتظام، تأتي تحاجّان عن صاحبهما أي تدافع عنه وتشفع لإنجائه من العذاب.

(٢) رواه أحمد.

دعاء الأولاد:



دعاء الأبناء لأبائهم ينفع الآباء يوم
القيامة، ويرفع درجة الآباء بعد الموت،
كما قال ﷺ:

« إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد
الصالح في الجنة. فيقول: يا رب أنى لي
هذه؟! فيقال: باستغفار ولدك لك »^(١).

الصيام:



الصيام من أعظم وأجل وأنفع العبادات.

قال ﷺ: « كل عمل ابن آدم له الحسنه
بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف، يقول
الله ﷻ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي
به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من
أجلي، للصائم فرحتان؛ فرحة عند
فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فم
الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »^(٢)..

وقال ﷺ: « من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار
سبعين خريفاً »^(٣)..

(١) رواه أحمد.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

وفي الجنة باب يُقال له الرِّيَّان يدخل منه الصَّائِمُونَ لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد..

والصوم يشفع للعبد يوم القيامة، كما قال ﷺ: «الصيام القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي رب مَنْعْتَ الطَّعامَ والشَّهَوَاتِ بالنَّهارِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ. ويقول القرآن: مَنْعْتَ النَّوْمَ بالليلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قال: فَيَشْفَعَانِ»^(١).

شفاعة المصلين على الميت:



صلاة الجنائزة على الميت المسلم، هي حق للميت على الأحياء، وللمصلي على الجنائزة أجر كبير، قال ﷺ: «من شهد جنازة حتى يصلى عليها؛ فله قيراط، ومن شهدا حتى تُدفن؛ فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين»^(٢).

كما قال ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين ببالغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه»^(٣).

فقوله «كلهم يشفعون له»: أي يدعون له، ويسألون الله تعالى له المغفرة والرحمة.

(١) رواه أحمد وغيره، صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

❦ الطريق لنيل شفاعته ﷺ:

نيل شفاعته النبي ﷺ يوم القيامة، فوز كبير، ورجح وفير.. وقد ذكر النبي ﷺ أسباباً وأعمالاً تجعل العبد قريباً من شفاعته النبي ﷺ له، وحرص المرء على هذه الأعمال دليل على إيمانه بالشفاعة، وتصديقه بها، ومن هذه الأعمال:

الذكر بعد الأذان:

الإكثار من ذكر الله تعالى له فضل كبير، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذكر إذا حافظنا عليه بعد الأذان، حلت لنا شفاعته ﷺ يوم القيامة، كما قال ﷺ:



«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(١).

كثرة الصلاة على النبي ﷺ:

نبينا محمد ﷺ أحب الخلق إلى قلوبنا، بل هو أحب إلينا من أرواحنا وأبنائنا، وكثرة ذكره، وتذكّر سيرته، والصلاة عليه، دليل على محبته، وسبيل لنيل شفاعته، كما قال ﷺ:

«من صلى عليّ حين يُصبح عشرا وحين يُمسي عشرا أدرّكته شفاعتي يوم القيامة»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني، وحسنه السيوطي، وضعفه عدد من أهل العلم.

كثرة صلاة النافلة:



الصلاة أحب الأعمال إلى الله،
كما قال ﷺ:

« واعلموا أن خير أعمالكم
الصلاة »^(١).

والصلاة الفريضة والنافلة طريق للخير ونيل الشفاعة، كما قال ربيعته
بن كعب رضي الله عنه وهو يخدم النبي ﷺ:

« ... حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة. فقال ﷺ: فَأَعِنِّي بكثرة السجود »^(٢).

قضاء حوائج المسلمين:



خلق الله تعالى الناس مراتب، فرفع بعضهم
فوق بعض درجات، منهم الغني والفقير،
والرئيس والمرؤوس، وجعل للجاه زكاة كما
أن للمال زكاة، وزكاة الجاه هي الشفاعة
للضعفاء والمساكين، والسعي في حاجاتهم.

كما قال ﷺ: « من قضى لأخيه حاجة،
كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت
له »^(٣).

(١) رواه أحمد في مسنده، ومالك في الموطأ، صحيح.

(٢) رواه أحمد، صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، صحيح.

التآخي في الله:



المؤمنون ربطهم الله تعالى برابطة
الأخوة، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالأخوة في الله قرينة الإيمان، فالمؤمنون روح واحدة حلت في أجسام
متعددة، ومن أحب أخاه في الله ولأجل الله، وآخاه، استحقا شفاعته النبي ﷺ،
كما قال ﷺ:

« أنا شفيع لكل رجلين تحابا في الله، من مبعثي إلى يوم القيامة »^(١).

فهذه قربات أخبر النبي ﷺ أنها سبيل لنيل شفاعته النبي ﷺ، وحرّي بالعبد
أن يحرص على الاشتغال بها، وتحصيلها.

❁ كثرة اللعن تمنع الشفاعة:

كما قال ﷺ:

« إن اللعّانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء، يوم القيامة »^(٢).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، صحيح.

(٢) رواه مسلم.

❁ أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

سأل أبو هريرة النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فقال ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه.».

وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة.

قيل: يا رسول الله: ما إخلاصها؟

قال: أن تحجزه عن محارم الله»^(١).

هتة..

ينبغي للمؤمن أن لا يكون راجيًا
أن تصيبه الشفاعة يوم القيامة..
بل يجتهد ليكون من الشافعين..

(١) أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول.

اليوم الآخر

كل أُمَّة تَتَّبِعُ إِلَهَهَا

في ختام هذا اليوم: يوم الحشر، يُصرف العباد إما إلى جنة وإما إلى نار، وهما المأوى الأخير الذي يصير إليه العباد جميعًا، فليس بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار.

وفي آخر ذلك اليوم العظيم تؤمر كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبد في الدنيا، وتظهر أنواع الآلهة التي كانت تُعبد في الدنيا، فيتبعها عابدها. فمن كان يعبد الشمس يتبع الشمس. والذي كان يعبد القمر يتبع القمر. والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم أمامهم ويتبعونها. والذي كانوا يعبدون فرعون يتبعونه فتسير بهم الآلهة الباطلة وهم يتبعونها كما تبعوها في الدنيا، حتى تقع في النار، ويتساقط عبادها وراءها، كما قال تعالى عن فرعون:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].



ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب.. وقد بين النبي ﷺ كل ذلك بقوله:

« إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لِيَتَّبِعْ كل أمة ما كانت تعبد. فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر، وغُبر أهل الكتاب ^(١) .



فيُدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عَزِيزَ ابن الله! فيُقال: كَذَبْتُمْ ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشْنَا يا ربنا، فاسقنا. فيُشار إليهم: ألا تَرِدُّون؟ فيُحْشَرُونَ إلى النار كأنها سَرَابٌ يَخْطُم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.



ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كَذَبْتُمْ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عَطِشْنَا، يا ربنا فاسقنا. فيُشار إليهم: ألا تَرِدُّون؟! فيُحْشَرُونَ إلى جهنم كأنها سَرَابٌ يَخْطُم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

(١) أي بقايا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى.



حتى إذا لم يَبْقَ إلا من يعبد الله تعالى من برٍّ وفاجرٍ، أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها.

قال: فماذا تنتظرون؟ تَتَّبِعْ كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم.

فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً.. نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً.. نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً.. حتى إن بعضهم ليكاد أن يَنْقَلِبَ^(١)، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكْشَفُ عن ساق، فلا يَبْقَى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يَبْقَى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه^(٢)، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تَحَوَّلَ في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضْرَبُ الجسر على جهنم، وتَجَلَّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ.

قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحْضٌ، مَزَلَّةٌ، فيه خطاطيف، وكَلالِب، وحَسَك تكون بنجد فيها شُوَيْكَة يقال لها: السَّفْدَان. فيمر المؤمنون كَطَرْفِ العين، وكالبرق، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، ومخدوش مُرْسَلٌ، ومكدوس في نار جهنم^(٣)»

(١) المعنى: أنه لشدة امتحان المؤمنين يوم القيامة، فإن بعضهم يكاد أن ينقلب أي يرجع عن الصواب، لولا تثبيت الله تعالى له.

(٢) المعنى: أن ظهره لا يصبح ليتا يستطيع أن يحنيه ويثنيه كما كان يفعل في الدنيا، وإنما يكون ظهره كأنه قطعة من صفيحة حديد لا ينثني معه، فإذا حاول أن يثنيه سقط على ظهره، وهذا جزاء له لأنه كان في الدنيا تاركاً للصلاة، أو كان يصلي رياءً وسمعة.

(٣) الحديث رواه مسلم، وأجاويد الخيل والركاب: هي السريعة النشيطة من الخيل، والركاب أي الإبل، والمكدوس: المدفوع من ورائه.

فهذا وصف عام لما يقع للأمم قبل الأمر بعبور الصراط، فلا يبقى في المحشر إلا من ينتسب إلى الإسلام بأصنافهم، فيهم البرّ والفاجر، والمتّبع والمبتدع، ويبقى أيضاً بقايا من أهل الكتاب.

- فماذا يقع بعد ذلك؟
- وكيف يعبرون الصراط؟
- وكيف يحشر الكافرون إلى النار؟
- هذا ما يتم تفصيله بإذن الله في الفصول التالية.

نجاة..

لا ينجو يوم القيامة إلا من كان
يعبد الله وحده لا شريك له..
أما بقية الآلهة فتسوق أصحابها
إلى النار..

كيفية حشر الكافرين إلى النار

أخبرنا ربنا الملك العظيم جل جلاله، بكيفية حشر المؤمنين إلى الجنة، في كرامة ومِنَّة، وسعادة واطمئنان، وريح بلا خسران، وأخبرنا سبحانه عن كيفية حشر الكافرين إلى النار، في خزي وصغار، وذل وانكسار، جاء ذلك في كتاب ربنا بأوضح البيان، ومن أصدق قِيلاً من الكريم المنان.

- فكيف يساق الكفار إلى النار؟
- وما حال آلهتهم؟
- وما موقف النار منهم إذا اقتربوا منها؟

الصورة الأولى..... ٣٢١

الصورة الثانية..... ٣٢١

الصورة الثالثة..... ٣٢٢

الصورة الرابعة..... ٣٢٢

الصورة الخامسة..... ٣٢٢

الصورة السادسة..... ٣٢٣

الصورة السابعة..... ٣٢٣

صورة رمزية



الناظر في كتاب الله تعالى
يجد لذلك عددا من الصور،
منها:

❖ الصورة الأولى:

أنهم يُحشرون كقطعان الماشية جماعات، يُصاح بهم من هنا وهناك.

كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَىٰ النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

فهم يُوزعون أي يُجمعون ويزدحمون ويدفع بعضهم بعضاً، كما يفعل
البشر بالبهاائم.

❖ الصورة الثانية:

أنهم يُحشرون إلى النار على وجوههم، لا كما كانوا يمشون في الدنيا
على أرجلهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُرًّا
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

وأقبل رجل إلى النبي ﷺ فسأله قال: يا رسول الله، كيف يُحشر الكافر
على وجهه يوم القيامة؟ فقال ﷺ: « أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا
قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ »^(١).

(١) متفق عليه.

ومع حشرهم على هذه الصورة المؤلمة المخزية على وجوههم فإنهم يُحشرون عُميةً لا يرون، وبكمًا لا يتكلمون، وصُمًا لا يسمعون.

قال ربنا الملك جل جلاله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَلَتْهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

❁ الصورة الثالثة:

أنهم يحشرون مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَنِيمِ ﴿[الصافات: ٢٢ - ٢٣].

والمقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أي أشباههم ونظراؤهم، والمرء يوم القيامة يُحشر مع من أحب، فمن أحب شيئاً حُشر معه.

❁ الصورة الرابعة:

أنهم في حشرهم هذا مغلوبون مقهورون أذلاء صاغرون، غير مُكْرَمِينَ وَلَا مُحْتَرَمِينَ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [ال عمران: ١٢].

❁ الصورة الخامسة:

أنهم تُصَكُّ مسامعهم أصوات النار وزفيرها، فتمتلئ قلوبهم رعباً وهلعاً، كما قال ربنا الملك: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

❖ الصورة السادسة:

عندما يقبلون على النار، ويعاينون أهوالها، يندمون ويتمنون العودة إلى الدنيا كي يؤمنوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَلَيْسْنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ولكنهم لا يجدون من النار مفرًا، قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾

[الكهف: ٥٣]

❖ الصورة السابعة:

وأخيرًا، يُدفع المجرمون بكل ذلٍّ إلى النار ويئس المصير، كما وصف الله تعالى حالهم فقال: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليئسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

تحذير..

فصل ربنا جل وعلا صور يوم
القيامة تحذيرًا لنا وبيانًا

اليوم الآخر

الصراط

من أبرز أحداث القيامة، المرور على الصراط، وهو عسير المرور، مُفزع المنظر، يثبّت الله عليه أقدام المؤمنين كما ثبت قلوبهم في الدنيا على الدين، وتزلّ فيه أقدام الخاسرين، كما زلّت قلوبهم في الدنيا عن التصديق واليقين. فهو تمّحيص كبير، واختبار عسير، من نجى منه فاز، وأعظم الجوائز حاز، ومن تردّى وخاب، فقد حق عليه العذاب.

- فما الصراط؟
- وما صفته؟
- وأين يكون موقعه؟
- وما حال الناس عليه؟

مدخل	٣٢٧
صفات الصراط	٣٢٧
موقع الصراط	٣٢٨
المشركون لا يمرون على الصراط!	٣٢٨
المنافقون والصراط!	٣٢٩
مقدار نور المؤمن	٣٣٠
دعاء المؤمنين عند الصراط	٣٣١
أصناف العابرين على الصراط	٣٣١
مقدار سرعة العابر على الصراط	٣٣٢
أول من يُجيز الصراط	٣٣٣
النبي ﷺ على الصراط يدعو لأمته	٣٣٤
الرَّحِم والأمانة على جانبي الصراط	٣٣٤

مدخل

ذكر النبي ﷺ أحوال القيامة، وعَرَصاتها، ومن ذلك المرور على الصراط، وبين أن الرسل يخافون ويرجون، وأن أمتة بشفاعته ينتفعون، وهذا الصراط له صفات، والمَارُونَ عليه لهم أحوال.

- والصراط في اللغة: هو الطريق الواضح.
- والصراط في الآخرة: جسر ممدود على مَتْنِ جهنم، يعبر عليه الأوَّلُونَ والآخِرُونَ.

صفات الصراط:

الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أَحَدٌ من السيف.. وأدَقُّ من الشعرة.. عليه حَسَكٌ^(١) كشوك السَّغْدَانِ، وكَلَالِيْبٌ^(٢) تخطف الناس، طوله شهر.. تغشاه الظُّلْمَةُ..



احد أشكال الكلاليب



نبات السعدان



شوك السعدان

(١) الحَسَك: هو الشوك الصغير.

(٢) الكلاليب هي جمع كَلَاب.. وهو: الخُطَاف، وهو عصا من حديد مَغْقُوف آخرها، تُجذب بها الأشياء وتُخطف.

قال ﷺ: «... ثم يُؤتى بالجسر فيُجمل بين ظهري جهنم. قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مَدْحَضَةٌ، مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ، وَكَلَالِيبٌ، وَخَسَكَةٌ مُفْلَاحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ»^(١).

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(٢).

❁ موقع الصراط:

المرور على الصراط يكون بعد تطاير الصحف، ووزن الأعمال، وحصول بعض أنواع الشفاعة، وورود الحوض، والحساب والفصل بين العباد.

❁ المشركون لا يمرون على الصراط!

وذلك أن الناس يوم القيامة أقسام: مؤمن مخلص يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، منافق، ومشرك يعبد مع الله غيره.

فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط. ويمر على الصراط كل من انتسب إلى الإسلام، ولم يقع في الشُّرك، فيمر المؤمنون والمنافقون.



(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

❖ المنافقون والصراط

يقف أتباع الرسل الموحدون وفيهم أهل الذنوب والمعاصي وفيهم أهل النفاق، وتلقى عليهم الظلمة قبل الجسر، ثم تُوزع عليهم الأنوار كل حسب ما معه من إيمان وعمل صالح.

كما قالت عائشة رضي الله عنها: سئل الرسول ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»^(١).

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويُفصل بينهم بسور عظيم يمنع المنافقين من الوصول إلى المؤمنين، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوا نَفْسٍ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣)

فالمؤمنون الذين اتبعوا نور القرآن والسنة، يُعطون في يوم القيامة نورًا يكشف لهم الظلمات يوم القيامة، ويثبت أقدامهم على مزلة الصراط.



أما المنافقون الذين أعرضوا عن نور الكتاب والسنة في الدنيا، فهم يوم القيامة يتخبّطون في الظلمات، كما حرموا أنفسهم في الدنيا من النور.

فيطلب المنافقون من أهل الإيمان أن ينتظروهم ليستضيئوا بنورهم فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا، فيتهقر المنافقون خائبين، ويتقدم المؤمنون، فإذا تمايز الفريقان ضرب الله بينهم بسور له باب، باطنه

(١) رواه مسلم.

فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، ويكون مصير المؤمنين والمؤمنات الجنة، ومصير المنافقين والمنافقات النار.

❁ مقدار نور المؤمن:

الذين يمرون على الصراط، قد أُعطي كل إنسان نوراً، من المؤمنين والمنافقين، كما قال ﷺ في رؤية الله ﷻ:

«... فيتجلى لهم يضحك. فينطلق بهم ويتبعونه. ويُعطى كل إنسان منهم، منافق، أو مؤمن، نوراً. ثم يتبعونه. وعلى جسر جهنم كالليب، وحسبك، تأخذ من شاء الله. ثم يُطفأ نور المنافقين. ثم ينجو المؤمنون. فتنجو أول زُمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يُحاسبون»^(١).



وَيُعْطَى كل مؤمن نوره على قدر عمله الصالح، ويسير المؤمن على الصراط ويُسرّع على قدر النور الذي بين يديه، فبمقدار قوة الإضاءة أمامه يستطيع أن يسرع في السير.

كما قال ﷺ: «فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه. ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك. ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه. ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه. حتى يكون آخر من يُعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفى أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا انطفأ قام. قال: فيمروا، ويمرون على الصراط»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، صحيح.

❁ دعاء المؤمنين عند الصراط:



أخبر الله تعالى أن دعاء المؤمنين عندما يسعى نورهم بين أيديهم هو:

﴿رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

❁ أصناف العابرين على الصراط:

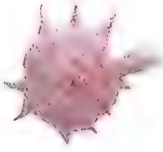
الناس يَرِدُونَ النارَ ثم يَصْدُرُونَ منها بأعمالهم، وهم ثلاثة أصناف:

- نَاجٍ مُسَلِّم.
- نَاجٍ مَخْدُوش.
- مَخْدُوسٌ فِي النار.

كما قال ﷺ: «يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ عَلَى حَسْبِكَ كَحَسْبِكَ السَّعْدَانُ ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ: فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ. وَمَخْدُوشٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ وَمَخْدُوسٌ فِيهَا»^(١).

(١) رواه أحمد وأبو ماجه والحاكم، صحيح، والمعنى أن العابرين على الصراط منهم: الناجي السالم من عذابها ونكالها، ومنهم الناجي من النار المجاوز للصراط: لكنه مخدوش أي مصاب في جسده بحروق منها، ومنهم من ينطفئ نوره، وتزل قدمه في النار، فينتكس فيها، عياداً بالله من الخسران، وحسب السعدان: هو شوكة صغير حاد يلتصق بالجلد والثياب عادة فيسبب أذى.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال عن الجسر:



شوك السعدان

«... عليه خطاطيف وكلايب وحسكة مُفلطحة لها شوكة عُقيفاء تكون بنجد يُقال لها السَّعدان. المؤمن عليها كالطَّرَف، وكالبِرْق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب. فجاج مُسلم. وناج مَخْدُوش. ومكدُوس في نار جهنم. حتى يَمُرَّ آخرهم يُسحب سَحْبًا»^(١).

وأخبر رضي الله عنه أن هذا الشوك الذي على الصراط كبير الحجم، كما قال رضي الله عنه: «... وفي جهنم كلايب مثل شوك السَّعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم، يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قَدْرُ عَظَمِها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بقي بعمله. أو الموثق بعمله. ومنهم المُخزَدَل أو المُجَارَى أو نحوه»^(٢).

❁ مقدار سرعة العابر على الصراط:

يتفاوت العابرون على الصراط في سرعة عبورهم، بحسب قوة الإضاءة التي يرونها أمامهم فيسيرون، وقد وصف النبي ﷺ أحوالهم في السير، فقال:

«... والصراط كحدِّ السيف، دَخُضٌ، مَزَلَّةٌ. ويقال لهم: امضوا على قَدْر نوركم. فمنهم من يَمُرُّ كأنقِضاض الكوكب. ومنهم من يَمُرُّ كالريح. ومنهم من يَمُرُّ كالطَّرَف. ومنهم من يَمُرُّ كشدِّ الرجل يَزْمُلُ رَمْلًا على قدر أعمالهم. حتى يَمُرَّ الذي نوره على إبهام قدمه، تَخِرُّ يَدٌ وتَغْلِقُ يَدٌ، وتخر

(١) متفق عليه. وذكر ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا «هو المرور على الصراط فوق النار، ثم أورد عن قتادة رحمه الله، في قوله «يُسحب سَحْبًا»: أي لا يستطيع المشي، ولا الزحف، فيُسحب سَحْبًا».

(٢) متفق عليه.

رَجُلٌ وَتَغْلَقُ رِجْلٌ، وَتَصِيبُ جِوَانِبَهُ النَّارُ. فَيَخْلُصُونَ، فَإِذَا خُلُصُوا، قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكَ، لَقَدْ آعَطَانَا مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا»^(١).

❁ أول من يُجيز الصراط:



بعد نصب الجسر، ووضع الصراط،
فإن أول من يجيز عليه ويمر مُكْرَمًا
محفوظًا من الزل، هو نبينا محمد ﷺ،
وأُمَّته تتبعه بعده، كما قال ﷺ:

« وَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ،
فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا
يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرِّسْلُ، وَدَعَا الرِّسْلُ
يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ »^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، والبيهقي في شعب الإيمان، ومعنى قوله « كحد السيف » أي دقيق حاد، وهو دُخْض: أي شديد الانزلاق، وهو مَزَلَّة: أي موضع تَزَلُّ وتنزلق فيه الأقدام.

وقوله: امضوا على قدر نوركم: أي تكون سرعة كل شخص بحسب قوة النور الذي بين يديه.

وقوله: يمر كأنقضاض الكوكب أي سرعة مروره كسرعة انقضاض الشهاب من السماء.

وقوله: يمر كالريح أي مثل سرعة الريح في هبوبها ومسيرها.

وقوله: يمر كالطرف أي مثل لمح العين في سرعته.

وقوله: يمر كشد الرجل أي كمشي الرجل السريع، الرَّمْل هو المشي السريع مع تقارب الخطى.

قوله: نوره على إبهام قدمه أي نوره ينبعث من أصبع الإبهام في قدمه، فلعلته نوره وحدة الصراط تنزلق إحدى رجليه ويتعلق بالأخرى، وتنزلق إحدى يديه ويتعلق بالأخرى، وتصيب جوانبه النار: أي مع انزلاقه من فوق الصراط تصيب النار جوانبه فتحرق بعض جسده.

قوله: فيخلصون فإذا خلصوا: أي يمرون من فوق الصراط ويتخلصون منه، فإذا خلصوا: أي إذا جاوزوا الصراط، حمدوا الله تعالى أن نجوا من النار وقالوا: الحمد لله الذي نجانا منك..

(٢) رواه الشيخان.

❁ النبي ﷺ على الصراط يدعو لأُمَّته:

أعمال الذين يمرون على الصراط تجري بهم، ومنهم من يمر مثل مَرِّ الطير، ومَرِّ الريح، والبرق، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول: رب: سَلِّمْ، سَلِّمْ. كما قال ﷺ: « فيمر أولكم كالبرق، ثم كَمَرَّ الريح، ثم كَمَرَّ الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم. ونبيلكم قائم على الصراط يقول: رب سَلِّمْ، سَلِّمْ. حتى تَعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً^(١) ».

❁ الرَّحْم والأمانة على جانبي الصراط:

بعض الأعمال الصالحات تحضر عند الصراط، ينتفع بها أصحابها، ومن ذلك أن الرَّحْم والأمانة تقومان جَنِبَتَي الصراط، يميناً وشمالاً، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

« ... وترسل الأمانة والرحم فتقومان جَنِبَتَي الصراط يميناً وشمالاً »^(٢).



(١) رواه مسلم، ومعنى الحديث مثل ما قبله وهو أن الناس يتفاوتون في قدرتهم على المرور على الصراط، وسرعتهم، ونجاتهم، بحسب أعمالهم، فمنهم السريع كالبرق، وكالريح، وكالطير، والرجل الراكض، حتى يكون آخرهم أقلهم عملاً صالحاً فهو يزحف زحفاً.

(٢) رواه مسلم، والمعنى أن الأمانة وهي ضد الخيانة، بمعنى عدم الغدر والخيانة في المال ولا الولد ولا الوظيفة، والرحم وهو صلة الرحم والإحسان إليهم، تحضران حول الصراط، لأجل أن تثبتا وتعيننا من كان حريصاً عليهما، قائماً بهما.

ختامًا:

في هذا الموقف الرهيب.. توهّم نفسك إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة. قد لَطَى سعيها، وعلا لهيبها. وأنت تمشي أحيانًا، وتزحف أخرى. والخلائق بين يديك يزّلون، ويغشّون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلايب وأنت تنظر إليهم، كيف يُنكّسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم! فيا له من منظر! ما أفضعه! ومرتقى ما أصعبه! ومجاز ما أضيّقه!

حقيقة..

لا يدخل الجنة إلا المؤمنون الموحدون..
أما غيرهم فيساقطون في النار

قصاص المؤمنين بعد الصراط

عبور المؤمنين الصراط، ونجاتهم من النار، يبقى بين بعضهم البعض، **بعد** حقوق ومظالم كانت بينهم في الدنيا، وربنا جل جلاله يريد أن يصفى نفوس بعضهم على بعض قبل أن يدخلوا الجنة، كما قال تعالى:

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٦ - ٤٧].

- فكيف يتم القصاص بينهم؟
- وهل هو حساب من جديد؟
- وهل يتعذبون بذلك أو يتألمون؟

مدخل ٣٣٩

كيفية القصاص بينهم ٣٣٩

إرضاء الخصمين ٣٤٠

مدخل:

الدليل في القصص بين المؤمنين قبل دخول الجنة، هو قوله ﷺ:



« إذا خَلَصَ المؤمنون من النار، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا. حتى إذا نُقُوا وَهَدَّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدخول الجنة. فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بِمسكنه في الجنة أدلّ بِمنزله كان في الدنيا »^(١).

فهم يقفون ويحاسبهم الله تعالى فيما بينهم، ويقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى لا يدخل الجنة أحد وهو يحقد على إخوته، بل طابت نفوسهم، وزالت الضغائن والبغضاء والشحناء التي بينهم.

كيفية القصص بينهم:

قنطرة القصص بين المؤمنين، تكون قبل دخول الجنة، وبالتالي لا تزال شدة المحشر، وتعبه يحيط بالناس، ومن ذلك القصص بين المؤمنين.

وفي ذلك اليوم لا مال ولا ولد، ولا دينار ولا درهم، ويكون القصص بينهم بالحسنات والسيئات. فمن كانت عليه مظالم للعباد، من أخذ لأموالهم في الدنيا، أو شتم، أو ضرب، فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم، حتى إذا لم تبق عنده حسنة، بأن ذهبت حسناته لمن ظلمهم، عندها يؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه. من رحمة الله تعالى بالناس.. أنه يصلح بين المتخاصمين.. ليعفو عن الظالم ويُرضي المظلوم..

(١) الحديث رواه البخاري، والمعنى: أن المؤمنين إذا جاوزوا الصراط، ونجوا من دخول النار، حُبِسُوا أي أوقفوا بِقَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار، والقنطرة هي جسر متقوّس يُبنى فوق النهر يعبر الناس عليه عادة، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا أي يأخذ الله تعالى حقوق بعضهم من بعض ليدخلوا الجنة صافية قلوبهم طيبة نفوسهم، فإذا دخلوا الجنة توجهوا إلى قصورهم ومسكنهم مباشرة، فرحين مستبشرين، يعرفون مواضعها، ويستدلّون على مكانها، أكثر مما يستدلّون على بيوتهم في الدنيا.

❦ إرضاء الخصمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي ﷻ فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء! فقال: يا رب، فليحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم. ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب! وقصورا من ذهب! مكللة بالؤلؤ! لأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه، قال: ومن يملك ثمن ذلك؟ قال: أنت، قال: بم إذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. ثم قال رسول الله ﷺ: فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»^(١).

وهذا إكمال للحساب الذي ابتدئ معهم قبل عبور الصراط، ومعلوم أن من اقتص منه، وأخذت منه حقوق الناس، لا شك أنه يتألم بذلك، ولكن كل ذلك يزول عنه، بمجرد دخوله على الجنة.

إصلاح..

اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاك بَيْنَكُمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) رواه أبو يعلى الموصلي، وفي سننه ضعف.

حال أهل الفترة

بين الناس يوم الحشر أقوام لم يعرفوا الإسلام، أو عاشوا في زمن قبل بعثة نبينا محمد ﷺ، لكنهم لم يُدرِكوا مَنْ قبله من الأنبياء، وهم ما يسميهم أهل العلم أهل الفترة^(١)، أو أقوام بلغهم الإسلام بصورة مشوّهة.

- فمن هم هؤلاء؟
- وما حُجَّتُهم؟
- وماذا يفعل الله تعالى بهم؟

(١) أهل العلم بينهم خلاف في مسألة وجود قوم يسمون أهل الفترة، فبعضهم يقول: إن الأديان لم تنقطع عن البشر، فإذا مات نبي بقي دينه الذي بعثه الله به، إلى أن يبعث الله النبي الآخر، وبعض أهل العلم قال: بل يوجد من البشر من لم يأتهم رسول، ولم يسمعوا عن دين أصلاً.

مدخل ٣٤٣

حال من لم تَبْلُغه الدعوة ٣٤٣

❖ مدخل

أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، ويحاسب الله تعالى العباد يوم القيامة بحسب موقفهم من هؤلاء الرسل وما دعوهم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

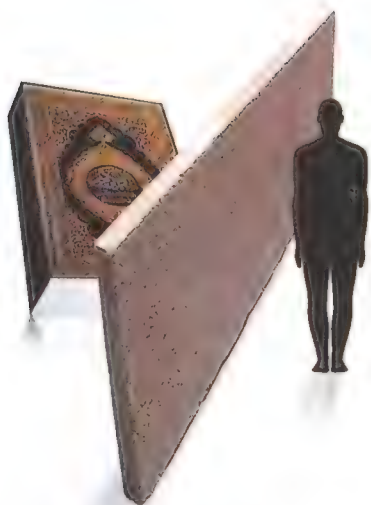
فلم يترك ربنا الخلق سُدىً، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ولا يهلك الله أمةً بعذابٍ إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار.

قال تعالى عن النار يوم القيامة: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ كُنُوزٌ ذِكْرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا﴾ [الملك: ٨ - ٩].

فَمَنْ بلغه الحق فاستقام عليه واتَّبَعَهُ، وَاتَّبَعَ النور الذي بُعِثَ بِهِ محمد ﷺ فإنه يكون قد اهتدى، وتكون عاقبة هُداة على نفسه. ومن ضلَّ عن الحق، وزاغ عن سبيل الرشاد، فإنما يجني على نفسه، وَيَعُودُ وَبَالَ سَغِيهِ عليه هو، ولا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه.

❖ حال من لم تبلغه الدعوة:

من لم تبلغه الدعوة ولم يسمع بالإسلام، كمن يعيش في أذغال أفريقيا، أو غابات بعيدة، أو جبال القطب الشمالي أو الجنوبي، أو سمع بالإسلام بصورة سيئة مُشوَّهة، كما يُنشر في بعض وسائل الغربية أو مواقع الإنترنت، ففهموا معنى الإسلام على غير حقيقته.



أو ربما وُلِدَ الشخص وهو أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شيئاً، أو أحمق سفيه لا يكاد يعقل ولا يفهم، ورجل هَرِمَ طاعن في السن خَرِفَ لَا يَعْقِلُ ما حوله، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَن نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التقصص: ٤٧].

فلا يُعَذِّبُ الله تعالى أحداً إلا بعد الإنذار والإعذار على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام. ومنهم من ذهب إلى أنهم يُمتحنون يوم القيامة في العَرَصات، فمن أظاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخراً، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة. وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها.. والله أعلم.

عدل..

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

النار

من عذر الله تعالى وحكمته، أنه بيّن الطريقين، وهدى الإنسان النّجدين إما شاكراً وإما كفوراً.. ووعد الطّائعين بالجنّان، والرحمة والغفران.. وتوعد العاصين بالنيران، والحسرة والحرمان.. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه.. ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها..

- فما النار؟
- وما صفاتها؟
- ومن أهلها؟
- ولماذا دخلوها؟

مدخل.....	٣٤٧
أسماء النار.....	٣٤٩
الأعمال المنجية من النار.....	٣٥٣
خَزَنَةُ النار.....	٣٦٧
أبواب النار.....	٣٧٠
وقود النار.....	٣٧٣
في شِدَّة حرها وزَمْهَرِيرها.....	٣٧٦
كِبَر النار وبُعْد قعرها.....	٣٨٠
تَفَاوُت أهل النار في العذاب.....	٣٨٣
شراب أهل النار.....	٣٨٦
في طعام أهل النار.....	٣٩٠
لباس أهل النار وفُرُشهم.....	٣٩٤
في أشكال أهل النار وقُبُحهم.....	٣٩٧
أصناف أخرى من العذاب.....	٣٩٩
النساء أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار!!.....	٤٠٩
تخاضع أهل النار.....	٤١٢
أول من تُسَعَّر بهم النار.....	٤١٤
ذنوب متوَعَّد أصحابها بالنار.....	٤١٧
آخر الناس نجاة من النار.....	٤٢٤
نداءات بين أهل الجنة وأهل النار.....	٤٢٧
مصير إبليس يوم القيامة.....	٤٣١

مدخل

فَرَّقَ اللهُ تعالى بين **حال** أهل الجنة، و**حال** أهل النار فقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقد خلق الله الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ووعد المؤمنين بالجنة، وتوعد المكذبين بالنار، وأرسل الرسل الكرام، مبشرين ومنذرين، كما قال ﷺ:



« إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفُرَاشَ وَهَذِهِ الدُّوَابُ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيُفْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا »^(١).

الاستعاذة من النار:

كان النبي ﷺ يستعiez بالله تعالى من النار، ويأمر أصحابه بالاستعاذة والهرب منها، فكان ﷺ يُعلمهم هذا الدعاء كما يُعلمهم السورة من القرآن يقول:

« قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ »^(٢).

(١) متفق عليه، قوله « بِحُجْرَتِكُمْ » جمع حُجْزَة وهى معقد الإزار والسراويل، قوله « تَقَحْمُونَ »: أي تقعون وتسقطون، والجنادب: جمع جُنْدَب وهو نوع من الجراد يقفز ويطيير.

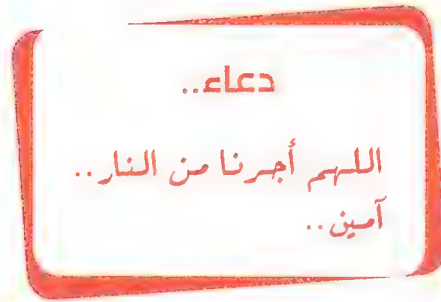
(٢) رواه مسلم، والمقصود بفتنة المحيا والممات: قال ابن دقيق العيد: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا، على هذا ما قبل ذلك ويجوز أن يراد بها فتنة القبر. انتهى، نقله السُّنْدِي في شرح جامع الترمذي.

الترهيب من النار:

كان رسول الله ﷺ يذكر صفة النار، مرهبًا من دخولها، ومرغبًا في النجاة منها، فكان يدعو الله أن ينجيه منها: فكان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(١).

وقد وصف الصحابة ذلك، فقال عدي بن حاتم: «ذكر النبي ﷺ النار، فتعوذ منها وأشاح بوجهه. ثم ذكر النار، فتعوذ منها، وأشاح بوجهه. ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»^(٢).

وعن النُّعْمَان بن بشير قال: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب فقال: أنذرتكم النار. أنذرتكم النار. أنذرتكم النار. فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا لسمعته أهل السوق، وحتى سقطت خميصته كانت عليه عند رجليه»^(٣).



(١) صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) رواه الدارمي في سننه، صحيح، والخميص: رداء من صوف ونحوه.

أسماء النار

كثرة الأسماء للشيء تدل على أهميته، وهذا أمر معروف مشهور في لغة العرب.

- فهل للنار أسماء؟
- وما دلالة هذه الأسماء؟

مدخل:

لِعِظَم شأن النار، وشدة عذابها، وحسرة أهلها، كثرت أسماؤها.. وقد ذكر الله تعالى في كتابه عدة أسماء للنار، تحذيراً وإنذاراً.. منها..

• جَهَنَّمَ:

وهو من أشهر أسمائها، عياداً بالله منها، وكلمة جهنم مشتق من الجَهْم وهو العَبُوس والغِلْظَة والظُلْمَة، كما يقال: وجهٌ متجَهَّم، أي عبُوس مظلم.



وقد ذكرها الله تعالى بهذا الاسم مراراً، كما في قوله تعالى عن المجرمين:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣].

فهم يُدْعُونَ إلى جهنم، أي يُدفعون إليها دفعاً عنيفاً..

• لظى:

لظى هي الشُعلة الحارقة من النار، فنار جهنم يخرج منها لظى يحرق الأبدان، ويشوي الجلود.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَىٰ﴾ (١٥) نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿ [المارج: ١٥ - ١٦].

• الحُطْمَةُ:

الحُطْمَةُ لفظ مشتق من التحطيم والتكسير والهضم، فنار جهنم من شدة حرارتها يُحطَّم بعضها بعضاً، وتحطم من فيها.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ﴿ [الجمرة: ٤ - ١٩].

• السَّعِيرُ:

السعير هو شدة الاشتعال والاحتراق، فكانت العرب تقول: سعرت النار، إذا أشعلها ووضع عليها حطباً صغاراً، لتكبر وتشتعل.



قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

• الهاوية:



صورة رمزية توضح معنى الهوي،
ولا يعني أنها المقصودة في الآية

الهاوية لفظ مشتق من الهوي وهو السقوط الشديد إلى المكان العميق، فأهل النار أمهم هاوية أي مستقرهم ومكانهم النار.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۚ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

• الجحيم:

والجحيم لفظ مشتق من الجحَم وهو شدة إشعال النار، حتى تصبح ناراً شديدة لها لهيب عظيم.

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣١].

أي يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرَّها.

• سَقَرُ:

كانت العرب تقول: يوم مسقر، إذا كان شديد حرارة الشمس، فالسَّقَر هو شدة الحرارة المؤدية إلى الانصهار.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (الزمر: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (٣٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٣٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٣٨﴾ الْوَاحَةُ لِلْبُشْرِ ﴿٣٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿المذثر: ٢٦ - ٣٠﴾.

فهذه أسماء النار عياداً بالله منها، أسماؤها دلت على أوصافها، بُعداً لذي الأسماء والأوصاف.

وضوح..

أسماء النار دالة
على أوصافها..

الأعمال المنجية من النار

خلق الله تعالى الجنة والنار، ووصف لنا كلتا الدارين، ثم لم يتركنا هملًا، بل دلّنا على طريق الجنة، وعرفنا بطريق النار، ولم يُكرهنا الله تعالى على أحد الطريقين، بل هدانا، ودلّنا، وعلمنا، ورغبنا، وحذّرنا.. لتلا يلوم الإنسان إلا نفسه..

• فما الأعمال التي تقي من النار؟

• وما أنواعها؟

مداخل:

لما كان الكفر هو السبب في الخلود في النار فإن النجاة من النار تكون بالإيمان والعمل والصالح، ولذا فإن المسلمين يتوسّلون إلى ربهم بإيمانهم كي يخلصهم من النار.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

وقد جاء في الكتاب والسنة الأعمال المنجية من النار، ومنها:

• الشهادتان بإخلاص:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هي علامة الإيمان، ومفتاح الجنان، هي حبل الله المتين، وصراطه المستقيم.



وهي شرط الإسلام، وبطاقة الدخول لدار السلام. وهي المنجية من النيران، الجالبة رحمة الرحمن.

قال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حَرَّمَ الله عليه النار»^(١).

• محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ:



المحبة عمل من أعمال القلوب، يتقرب العبد بها إلى علام الغيوب، فالعبد يصدق مع ربه في محبته، ليرى وجهه العظيم في جنته، ومن أحب الله وأحب رسوله ﷺ، دفعه ذلك إلى طاعة الله تعالى ذلاً له وحُباً، واتباع رسوله ﷺ طاعة له وحُباً.

«سأل رجل النبي ﷺ فقال: متى الساعة؟ فقال ﷺ: وماذا أعددت لها؟»

قال: لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله ﷺ. فقال ﷺ: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه. قال النووي رحمه الله: «فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين، وأهل الخير، الأحياء والأموات. ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، والتأدب بالأداب الشرعية. ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمل له لكان منهم ومثلهم» ا.هـ، شرح النووي على مسلم.

• الصدقة:



وهي من أفضل القربات، وأعظم الخيرات، تدل على طهارة النفس، وصفاء السَّريرة.

كما قال ﷺ: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشقِّ تمره فليفعل»^(١).

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تزجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمره»^(٢).

ففيه الحث على الصدقة وأنه لا يمتنع منها لقلَّتها، وأن قليلها سبب للنجاة من النار.

• صيام التطوع:

الصوم من العبادات العظيمة، التي يقي الله تعالى أصحابها من النيران. قال ﷺ: «الصيام جُنَّةٌ من النار كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ من القتال»^(٣).

وصوم النافلة له فضله، كما قال ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»^(٤).

قوله: «في سبيل الله» يعني يصوم مُخلصاً نيته لله، ويُحتمل أن المراد أنه صام أثناء الغزو في سبيل الله.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح.

(٤) متفق عليه.

• الحفاظ على صلاة الجماعة:

المحافظة على صلاة الجماعة من علامات الإيمان ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وإذا سئل أهل النار يوم القيامة ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣]، فالصلاة سبب للنجاة من النار.

وقال ﷺ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يُدرك التكبيرة الأولى كُتِبَ له براءةً: براءةً من النار. وبراءةً من النفاق»^(١).

وقال ﷺ عن الصلاة: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له برهان ولا نور ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف»^(٢).



(١) رواه الترمذي، حسن لغيره.

(٢) رواه ابن جبان، صحيح.

• صلاة الفجر والعصر في جماعة؛

جميع الصلوات لها أهميتها وقدرها، ويجب على الرجال صلاتها في جماعة، خاصة صلاتين يكثر تقاعس الناس عنهما، صلاة الفجر وصلاة العصر.

قال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»^(١).

• أذكار الصباح والمساء؛

الذكر والدعاء من أسباب النجاة من النار، قال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمَسِّي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

• الاستجارة من النار؛

الدعاء سيف لا يَنْبُو، وَمَعِين لا يَخْبُو،
وسلاح المؤمنين، وغيظ الكافرين.

وقد وصف الله المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِذْهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥ - ٦٦).

وقال ﷺ: «مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ. وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، إِلَّا قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبي داود، حسن.

(٣) رواه أحمد، صحيح.

يعني يقول العبد: اللهم إني أسألك الجنة، اللهم أجرني من النار، يقول ذلك ثلاث مرات.

اللهم أجرني من النار، سبع مرات:

وهذا من الدعاء الذي يُرجى أن يكون مستجاباً: قال ﷺ: «إذا صليت العُداة فقل قبل أن تُكَلِّم أحداً: اللهم أجرني من النار، سبع مرات، فإنك إن متّ من يومك كتب الله ﷻ لك جوازا من النار، سبع مرات، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تُكَلِّم أحداً: اللهم أجرني من النار، سبع مرات، فإنك إن متّ من ليلتك كتب الله لك جوازا من النار»^(١)

يعني كتب الله لك أن تُجاوز النار، وتَمَرَّ فوق الصراط ناجياً منها.

• صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:



الصلاة محبوبية إلى رب العالمين، ولا يزال العبد يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله، وأحب الأعمال إلى الله الصلاة المفروضة، ثم النوافل.

قال ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرّمه الله على النار»^(٢).

يعني صلاة أربع ركعات قبل الظهر ركعتين وركعتين، ويصلي مثلها بعد الظهر.

(١) رواه أحمد والطبراني، حسن.

(٢) رواه الترمذي، صحيح.



• اغْبَرَارِ الْقَدَمَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

الجهاد ذِوَةَ سَنَامٍ الْإِسْلَامُ،
وطريق إلى دار السلام، ومن
قاتل في سبيل الله ﷻ ولو بقدر
فَوَاقٍ نَاقَةً - وهو زمن حلب
النَّاقَةُ - وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ.

قال ﷺ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» ^(١).

وقال ﷺ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ» ^(٢).

• الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ:

رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَهِيَ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّانًا﴾ [الرحمن: ٤٦].



وقال ﷺ: «لَا يُلْجِ النَّارَ مَنْ بَكَى
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ
فِي الضَّرْعِ. وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي
مُنْحَرِي مُسْلِمٍ أَبَدًا» ^(٣).

وقال ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ
تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ^(٤).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه النسائي والترمذي، صحيح.

(٤) رواه الترمذي، حسن.

• عِتْق الرِّقَابِ:

إعتاق العبيد والمماليك من رقَّهم،
ومنحهم الحرية، عمل محبوب
إلى رب العالمين، وهو من أسباب
النجاة من النار.

قال ﷺ: « من أعتق رقبة مسلمة،
أعتق الله بكل عُضْو منه عُضْوًا من
النار، حتى فَرَّجَه بِفَرَّجِه »^(١).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي
مِنَ النَّارِ. قَالَ ﷺ: لَنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ: أَعْتَقَ
النَّسَمَةَ وَفَكَ الرِّقَبَةَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ لَيْسَا وَاحِدًا؟ قَالَ: لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ
تَفَرِّدَ بَعْتَقَهَا، وَفَكَ الرِّقَبَةَ أَنْ تُعَيِّنَ فِي ثَمَنِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوُكُوفُ^(٢)، وَالْفِيءُ عَلَى
ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ^(٣). فَإِنْ لَمْ تُطِيقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ^(٤).

• أداء أركان الإسلام:

كان رسول الله ﷺ في سفر، فعرض له أعرابي فأخذ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ، أَوْ
بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَا مُحَمَّدَ، أَخْبِرْنِي بِمَا يَقْرِبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يَبَاعِدُنِي
مِنَ النَّارِ؟

(١) متفق عليه.

(٢) الْمِنْحَةُ الْوُكُوفُ: هي الصدقة بالناقة الغزيرة اللبن.

(٣) الْفِيءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ: الْفِيءُ هُوَ الظِّلُّ، يَعْنِي الرَّجُوعُ عَلَى أَقْرِبَائِكَ الظَّالِمِينَ لَكَ بِالْإِحْسَانِ.

(٤) رواه الدارقطني، صحيح لغيره.

فكفَّ النبي ﷺ، ثم نظري في أصحابه، ثم قال: لقد وُفِّق -أو لقد هُدِيَ-، فقال ﷺ: كيف قلت؟

فأعاد الأعرابي كلامه، فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصل الرحم، ثم قال للأعرابي: دع الناقة»^(١).

• الذَّبَّ عن عرض المسلم:

من حق المسلم على المسلم أن يحفظ حقه في غيبته، ويدافع عنه وينصره، وأن لا يرضى أن يُهان أخوه المسلم أو يُنتقص منه، وهو قادر على نصرته. قال ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عن عرض أخيه بالمَغِيب كان حقاً على الله وَجَلُّ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

• مرض الحمى:



الأمراض من البلاء الذي يؤجر عليه العبد، ويُكفِّر الله به من خطايا، ومن ذلك الحمى، وهي ارتفاع حرارة الجسد.

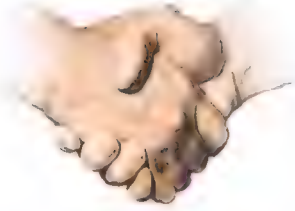
قال ﷺ: «الْحُمَّى كَبِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا كَانَ حَظَّهُ مِنْ جَهَنَّمَ»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حسن.

(٣) رواه أحمد، حسن لغيره.

• حُسْنُ الْخُلُقِ:



من أكثر ما يدخل الناس إلى الجنة حسن الخلق، وأقرب الناس مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً، ومن كان حسن الخلق هيئاً رفيقاً، أنجاه الله من النار.

قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب، هيِّن، لَيِّن، سهِّل»^(١).

• قول العدل، وإعطاء الفضل:

«أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني بعمل يُقربني من الجنة ويباعدني عن النار.

فقال النبي ﷺ: «أَوْ هُمَا أَعْمَلْتَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَقُولُ الْعَدْلَ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ الْعَدْلَ كُلَّ سَاعَةٍ، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَ الْفَضْلَ. قَالَ: فَتُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْشِي السَّلَامَ. قَالَ: هَذِهِ أَيْضًا شَدِيدَةٌ. قَالَ: فَهَلْ لَكَ إِبِلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَانْظُرْ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِكَ وَسِقَاءً، ثُمَّ ائْتِ أَهْلَ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غُبًّا فَاسْقِهِمْ؛ فَلَمَّا لَكَ يَهْلِكُ بَعِيرُكَ وَلَا يَتَخَرَّقُ سَقَاؤُكَ حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ.

فَانْطَلِقِ الْأَعْرَابِيَّ يُكَبِّرُ، فَمَا انْخَرَقَ سَقَاؤُهُ، وَلَا هَلَكَ بَعِيرُهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا»^(٢)

(١) رواه الترمذي، حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، صحيح.

• الصبر عند موت الولد:



المصائب مكفرات للخطايا، رافعات للدرجات، ومن أعظم المصائب فقدان الأولاد، وإنما أولادنا بيننا، أكبادنا تمشي على الأرض، وموت الولد هو جرح في الفؤاد لا يبرأ أبداً، لذا كان وقاية من النار.

قال ﷺ: « لا يموت لأحدٍ ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كنَّ له جُنَّةً من النار »^(١).

وقال ﷺ للنساء: « ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار. فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين. »^(٢).

• الصبر على تربية البنات:

تربية البنات كان العرب في الجاهلية يتهرَّبون منها ويكرهونها، لأنه يربي الولد لنفسه، فينفع أباه إذا كبر، ويحمل اسمه، بينما يربي البنت لتتزوج، وتذهب عنه، وتنشغل بزوجها وأولادها، غالباً، فجاء الإسلام، وقضى على هذه الجاهلية وجعل للبنت حقاً، كما أن للولد حقاً. بل فضَّل النبي ﷺ تربية البنات على تربية الأولاد، وجعل تربية البنات حجاباً من النار.

فقال ﷺ: « من كنَّ له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتين، أو أختين، اتقى الله فيهنَّ، وأحسن إليهنَّ، حتى يبنَّ، أو يمئنَّ، كنَّ له حجابا من النار. »^(٣).

(١) الأحاد والمثاني، صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد، صحيح، ومعنى حتى يبنَّ: أي يفارقه بزواج، أو يمئنَّ: أن تبقى من غير زوج، فأبوها أو أخوها يربيهما ويعتني بها ويخدمها، حتى ينتقضي عمرها ويتوفاها الله.

• أعمال متنوعة تنجي من النار:

العمل الصالح عمومًا هو طريق إلى الجنة ونجاة من النار، وقد كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ مسائل نافعة، يبحثون لها عن النجاة من النار.

قال أبو ذر رضي الله عنه: «قلت: يا رسول الله ماذا يُنَجِّي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله.

قلت: يا نبي الله، إن مع الإيمان عمل. قال: يُرَضِّخُ مما رزقه الله.

قلت: يا رسول الله أرايت إن كان فقيرًا، لا يجد ما يُرَضِّخُ به؟ قال: يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

قلت: يا رسول الله، أرايت إن كان عَيِيًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: يَصْنَعُ لِأَخْرَق.

قلت: أرايت إن كان أَخْرَق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: يعين مظلومًا.

قلت: أرايت إن كان ضعيفًا، لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ فقال: ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! تَمْسِكُ الأذى عن الناس.

فقلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: ما من مُسْلِمٍ يفعل خَصْلَةً من هؤلاء، إلا أخذت بيده حتى تَدْخُلَهُ الجنة. ^(١)

(١) المعجم الكبير للطبراني، صحيح لغيره.

• مجالس الذكر:



مجالس الذكر والخير،
سبيل للخير والعلم، والتعلم
والتعليم، وهي أيضًا طريق
للنجاة من النار، قال ﷺ:

« إن لله ملائكة يطوفون
في الطُّرُق، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ

الذكر. فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلُمُّوا إلى حاجتكم. فيحُفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبِّحونك، ويكبرونك، ويحمّدونك ويمجّدونك، فيقول: هل رَأَوْنِي؟ فيقولون: لا والله ما رَأَوْنَاكَ، فيقول: وكيف لو رَأَوْنِي؟ يقولون: لو رَأَوْنَاكَ كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، يقول: فما يسألوني؟ يقولون: يسألونك الجنة، يقول: وهل رَأَوْنَا؟ يقولون: لا والله يا رب ما رَأَوْنَا، يقول: فكيف لو أنهم رَأَوْنَا؟ يقولون: لو أنهم رَأَوْنَا كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبةً، قال: فمم يتعوّذون؟ يقولون: من النار، قال: وهل رَأَوْنَا؟ يقولون: لا والله ما رَأَوْنَا، يقول: فكيف لو رَأَوْنَا؟ يقولون: لو رَأَوْنَا كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشدَّ لها مخافةً، فيقول: فأشهدكم أني قد غضرت لهم. يقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»^(١).

(١) رواه البخاري.

• الباقيات الصالحات:

﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (نسريم: ٧٦) ..

هكذا قال ربنا جل وعلا، مُوجِّهًا لنا للحرص على الفضائل.

وقال رسول الله ﷺ: « خذوا جُنَّتَكُمْ. قلنا: يا رسول الله: من عدو قد حضر؟ قال: لا، جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ. قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة مُنْجِيَاتٍ وَمُقَدِّمَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ »^(١).

وبعد..

فهذه أمور مُنْجِيَةٌ مِنَ النَّارِ، جالبة لرضا الرحمن.. فحريٌّ بالحريص على نجاته أن يسلك سبيل الرسل الأنقياء.. والصالحين الأولياء..

وقفة..

المؤمن الصادق لا يكفي بالاستعادة
من النار.. بل يؤدي الأعمال
المنجية منها..

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، حسن.

خَزَنَةُ النَّارِ

يقوم على النار ملائكة شِدَادٍ.. خَلَقَهُمْ جَسِيمٍ، وبَأْسَهُمْ عَظِيمٍ.. فهُمْ خَزَنَتُهَا..

- فكم عددهم؟
- ومن كبيرهم؟

مدخل:

خَزَنَةُ النَّارِ ملائكة عِظَامٍ لَا يَعِصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

عدد خَزَنَةِ النَّارِ:

الملائكة الموكِّلون بالنار، الذين هم خَزَنَتُهَا، حجمهم، وقوتهم، وقدرتهم، أمور لا نملك تقديرها بعقولنا القاصرة.. عددهم تسعة عشر ملكًا، كما قال تعالى:

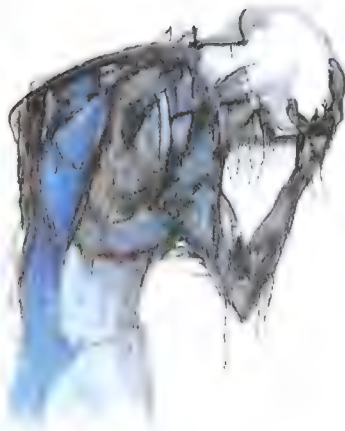
﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٣٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٣٧)
لَا يُبْقَى وَلَا نَذَرُ (٣٨) لَوْ اِذَا لِلنَّاسِ (٣٩) عَلَيْهَا تِسْعَةٌ
عَشَرَ (٤٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿

[المذشر: ٢٦- ٣١]



وهؤلاء الملائكة هم خزنة جهنم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩].

وظائف خزنة النار:



للملائكة العظام خزنة النار، ووظائف وأعمال يقومون بها، فهم يتولّون عذاب أهل النار، وتبكي أهلها، وزجرهم، وإشعال النار، وزيادة لهيبها. وهم غلاظ على أهل النار، شداد عليهم إذا استرحموهم، لأن الله عجل خلقهم وجعل من طبيعتهم الغلظة والشدة والغضب. فهم غلاظ القلوب، شداد الأبدان، ضخام الأجسام، أقوىاء. ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب.

قال المنهال بن عمرو: «إذا قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، ابتدّره سبعون ألف ملك، وإنّ الملك منهم ليقول هكذا - يعني: يفتح يديه - فيلقي سبعين ألفاً في النار.»^(١)

وقال تعالى واصفاً ما يفعله خزنة النار عند دخول أهلها إليها:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]

(١) أورده ابن كثير في تفسيره.

كبير خزنة النار:

كبير خزنة جهنم ورئيسهم هو مَلِكٌ عظيم اسمه: مَالِكُ، ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقد رأى النبي ﷺ رؤيا طويلة، ذكر فيها أنواعا من العذاب، ومن ذلك قال ﷺ:

«... فانطلقنا، فأتينَا على رجلٍ كَرِهَ الْمَرْأَةَ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأِي رَجُلًا مَرَّاهُ، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحْشُشُهَا وَيَسْمَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ... حَتَّى قَالَ ﷺ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهَ الْمَرْأَةَ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنُ جَهَنَّمَ»^(١).

وبعد:

فهذا وصف خزنة النار، ووظائفهم، بيّنها الله تعالى لنا تحذيراً وتخويفاً، نسأل الله تعالى النجاة منها برحمته وكرمه.. آمين..

نداء..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا
أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا..

(١) رواه البخاري.

أبواب النار

قد وصف الله تعالى النار، وأبوابها، وأغلالها..
تحذيراً وتخويفاً وإنذاراً..



- فكَم عدد أبواب النار؟
- وهل هي مفتوحة أم مُغلقة؟
- وهل هي على جوانبها؟ أم بعضها فوق بعض؟

مداخل:

كما أن للجنة أبواباً واسعة، يدخل من خلالها أهلها فرحين ومستبشرين، وجوههم كالقمر ليلة البدر، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض. كذلك فإن أهل النار يدخلونها من أبوابها.. لكن بوجوه كالْحِة.. وقلوب مظلمة.. يَكْفُر بعضهم ببعض.. يَلْعَن بعضهم بعضاً.. يُدْفَعُونَ إلى أبوابها.. يتضاغَطُونَ ويحترقون..

عدد أبواب النار:

للنار سبعة أبواب يدخل أهلها منها، وذلك لكثرة أهلها، ولكل باب قَدْر معلوم من المجرمين الطغاة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣ - ٤٤].

وعندما يرد الكفار النار تفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين فيها، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَوْىِٰلَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النمر: ٧١ - ٧٢]

أبوابها بعضها فوق بعض:

أبواب النار متطابقة بعضها فوق بعض، قال علي عليه السلام: «أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها»^(١).
قال ابن جرير: «لها سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية»^(٢).

أبوابها مغلقة:

أبواب النار مغلقة على المجرمين، تنكيلاً لهم وتعذيباً، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ١٩ - ٢٠].

فهؤلاء أصحاب الشمال الذين يُؤْتُونَ كتاب أعمالهم يوم القيامة بشمالهم، وهم الذين عَنَاهُمْ تعالى بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

نعم أبوابها يوم القيامة مُؤَصَّدَةٌ أي مغلقة، يدخلون النار فتُوصَد أبوابها عليهم، ويُطبَّق عليهم العذاب فلا يستطيعون منه فكاكاً.

(١) أوردته الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن.

(٢) أوردته الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند صحيح.

أما في الدنيا فأبوابها مُفَتَّحة، تغلق في رمضان، وقد قال ﷺ: «إذا جاء رمضان فَتَحَتْ أبواب الجنة وُعِلِّقَت أبواب النار وَصُفِّدَت الشياطين»^(١).

كل باب لأهل عمل؛

كما أن أبواب الجنة يدخل أهل كل عمل صالح من باب، فيدخل أهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الرِّيَّان..

كذلك قد ذكر بعض أهل العلم أن أبواب النار، يدخل كل أهل عمل فاسد من خلال باب، لذلك تغلق أبواب النار في رمضان تشجيعاً للعصاة وحثاً لهم على الاشتغال بالعمل الصالح.

حساب..

أبواب النار مغلقة على أهلها..
فهم في حر وعذب وعذاب..
اللهم عافنا..

(١) رواه مسلم، ومعنى صفت: ربطت وقيدت.

وقود النار



صورة لنار الدنيا ونار الآخرة هي سبعون ضعفا مثلها

النار دائمة الاشتعال، لا تضعف ولا تخبؤ، وقودها دائم، وعذاب أهلها مقيم.. يستغيثون ولا مُغيث، ولا مهرب لهم من الله إلا إليه، لكنهم قد كفروا به وكذبوا من قبل، فكيف يهربون اليوم إليه، أو ينتظرون رحمته! مأواهم النار هي مولاهم وبئس المصير..

- فما وقودها؟
- وما الحكمة من دخول الأصنام فيها؟

مدخل:

النار مع حرارتها واشتعالها الدائم، لا بد أن يكون فيها ما يبقى يحترق لتبقى مشتعلة، مع ما فيها من السواد والظلمة، والعقارب والحيات. إضافة لصراخ أهلها وعويلهم وبكائهم.

وقودها:

الأحجار والفجرة الكفار هم وقود النار، كما قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحریم: ٦)

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)

ولا يخفى ما في هذا من التهويل إذ أن هذه النار تُوقد وتشتعل بهؤلاء، فهم يتعذبون ويحترقون، وهي تبقى حية مشتعلة ما داموا يحترقون فيها. وهذه الحجارة هي حجارة من كبريت أسود في النار^(١)، وغيرها من أنواع الحجارة الحارة الحارقة.

ومما تُوقد به النار الآلهة التي كانت تُعبد من دون الله، قال تعالى:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاَءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠]

ومعنى الآية: أنكم أيها الكفار الذين عبدتم غير الله، تكونون يوم القيامة في النار تشتعل بكم، أنتم والآلهة التي عبدتموها من أصنام وحجارة وغيرها فأنتم حَصَبُ جَهَنَّمَ أي: وقودها وخطبها أنتم لها واردون مع أصنامكم.

لماذا تدخل الأصنام النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب؟

مسألة



الجواب: يُدخل الله تعالى الأصنام في النار، لا تعذيباً لها، وإنما بياناً لكذب من اتخذها آلهة، ليروا آلهتهم التي كانوا يعظمونها، ويرجون نفعها، فإذا هي معهم في النار، عندها يزداد عذابهم وحسرتهم.

(١) أورده الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن صحيح.

من ضمن ما يعبدده الكفار في الدنيا المسيح عيسى
بن مريم عليه السلام! وكذلك الملائكة عبدها بعض الكفار!
فهل يكونون في النار أيضًا!!!

إشكال



الجواب: نبي الله المسيح عيسى عليه السلام، ونبي الله عزير عليه السلام،
والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء والصالحين، لا
يُعذبون في النار، ولا يدخلونها، فإن الله تعالى بعد قوله:
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَرُدُّونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢].

فهذا وقود النار، عافانا الله منها، ووقانا شرها وحرها.. آمين.

براءة..

يَتَّبِعُوا الْمُتَّبِعُونَ الضَّالُّونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ..
فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ.. خَابَ وَخَسِرَ..

في شدة حرها وزمهريرها

أمر الله تعالى الخلق بطاعته، وحذرهم من مخالفته، ووعد الطائعين بالجنان، وتوعد العاصين بالنيران، ووصف الله تعالى شدة حرها، وبعد قعرها.

- فما صفة هذا السعير؟
- وما هو ظل النار؟
- وما نسبة نار الدنيا لنار الآخرة؟

مدخل:

جعل الله تعالى نار الدنيا تذكرة بنار الآخرة، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٢) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٣].

وقال ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله! قال: فإنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرّها» (١).

أصحاب الشمال:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢) ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمِيمٍ﴾ (٤٣) ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

(١) رواه مسلم.

يعني أن أصحاب الشمال أهل النار، الذين أعرضوا في الدنيا عن الحق، يعطون كتبهم بشمائلهم، ويقفون في المحشر ذات الشمال، فما يُدريك ما يكون عليه حالهم؟

فإنهم يكونون في حر شديد ينفذ إلى أجسادهم من مسام الجلد، ويشربون من ماء حميم شديد الحرارة، وفوقهم ظل من دخان أسود لا بارد، ولا كريم.

وذكر سبحانه هول النار في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ ۚ﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

نعم.. وما أدراك ما الهاوية؟ وحرّها وعذابها؟ إنها نار مُلتهبة شديدة الحر، يهوي فيها المجرم الظالم، جزاءً وفاقًا، فهو لما هوى في الدنيا واتبع الشيطان.. يهوي يوم القيامة في النار..

ظل النار:

ظل النار لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، إنه ظلّ من يَحْمُوم، وقد ذكر الله تعالى هذا الظل فقال: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۚ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ۚ﴾ [٣١] إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ۚ كَأَنَّهُ جِمَلٌ صَفَرٌ ۚ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣٣].

دائمة الاشتعال:

النار لا يخبو أو أوارها، ولا ينطفئ اشتعالها، مع تطاول الزمان، ومروور الأيام، قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ﴾ [النبا: ٣٠]. والنار تسعّر كل يوم..

قال عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمي: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالةٍ وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان. فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخبارًا. فقعدت على راحتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مُستخفياً

جُرءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمِهِ. فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكْتَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ. فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ. فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ عَمْرُو: أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: صَلِّ صَلَاةَ الصَّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكَفَّارُ. ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِيلَ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ. ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ. ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرِبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرِبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكَفَّارُ»^(١).

وَتُسَعَّرُ النَّارُ أَيْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَمَا تَسْتَقْبِلُ أَهْلَهَا، كَمَا قَالَ رَبُّنَا: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] أَي: أَوْقَدَتْ وَأُخْمِيتَ.

شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ:



شِدَّةُ مَا يَجِدُهُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْحَرِّ، هُوَ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ أَي مِنْ تَنْفُسِهَا! مَعَ أَنَّ الْحَرَّ الشَّدِيدَ فِي الدُّنْيَا، رُبَّمَا مَاتَ مِنْهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَمَرَضَ آخَرُونَ بِضَرْبَاتِ الشَّمْسِ، وَغَيْرِهَا.

قَالَ ﷺ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ. وَاشْتَدَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ:

(١) رواه مسلم.

نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»^(١).

والزمهرير هو شدة البرد، نسأل الله النجاة والرحمة.

أمان..

الصلاة أمان من النار..
فلا تمل وقت شعيرها..

(١) رواه ابن جبان، صحيح.

كِبَرُ النَّارِ وَبُعْدُ قَعْرِهَا

النار كبيرة في حجمها، لكنها ضيقة بأهلها، يتضاغظون في جنباتها، جسد الواحد منهم يضخم حتى يكون ضرسه في النار مثل جبل أحد، وما بين منكبَيْه مسيرة ثلاثة أيام.

- فما حجمها وكبرها؟
- وما بُعد قعرها؟
- وهل يخرج أحد منها بعد أن يدخلها؟

مدخل :

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [لق: ٣٠]، هكذا قال ربنا تعالى واصفًا حال النار وعذابها وشوقها إلى تعذيب من يدخلونها..

وهي كبيرة عظيمة.. قال ﷺ: «يُؤْتَى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زمامٍ مع كل زمام سبعون ألفَ ملكٍ يجرونها»^(١).



فلك أن تتخيل عظم هذا المخلوق الرهيب النار الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشداء الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى.

(١) رواه مسلم.

بُعْدُ قَعْرِهَا:

النار مظلمة عظيمة، عميقة بعيد قعرها، قال ﷺ: «لو أن حجراً يُقذف به في جهنم هوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها»^(١).

دَرَكَاتُ النَّارِ:

النار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥]

الدَّرَكُ هو كل ما انخفض ونزل للأسفل.

والدَّرَجُ هو كل ما تعالى وارتفع.

فيقال لطبقات الجنة درجات، ولطبقات النار دَرَكَات.

من «الْجَهَنَّمِيِّينَ»؟ وهل يخرجون من النار بعد دخولها؟

مسألة



الجواب: نعم، هم أقوام من الموحدين لله، غير المشركين به، لكن عندهم معاص دخلوا بسببها النار، فيُعذبون ما شاء الله، ثم يخرجون منها، قال ﷺ:

«يُخْرِجُ اللَّهُ أَنْاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ بِنَفْسِهِ مِنْهُمْ»^(٢)، قَالَ: لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَلَيْسَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ فَمَا لَكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ.

(١) رواه ابن جبان، صحيح.

(٢) يأخذ بنفسه: النِّقْمَةُ هي الغضب، أي يأخذ غضبه وعقوبته.

فَيَتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّى يُخْرِجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ. فَلَمَّا أُخْرِجُوا، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتَدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَتُخْرِجُكَ مِنَ النَّارِ. فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبُّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. فَيُسَمَّوْنَ فِي الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ مِنْ أَجْلِ سَوَادٍ فِي وُجُوهِهِمْ، فيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَذْهَبَ عَنَّا هَذَا الْأَسْمُ، فَيَأْمُرُهُمْ فَيُغْتَسِلُونَ فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فَيَذْهَبُ ذَلِكَ مِنْهُمْ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «... حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السَّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السَّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السَّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبِتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»^(٢).

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَسْمَهُمُ «الْجَهَنَّمِيُّونَ» فَقَالَ: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٣).

حسرة..

تزداد حسرة الكافرين في النار..
إذا رأوا أهل التوحيد يخرجون منها..

(١) رواه ابن حبان، حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه.

تفاوت أهل النار في العذاب



لما كانت النار دَرَكَات بعضها أشد عذاباً وهَوَلاً من بعض كان أهلها متفاوتين في العذاب، وهذا من عدل الله تعالى بين الناس.

- فما هو هذا التفاوت؟
- وهل يتفاوت الكفار في عذابهم؟
- وأيهم أخف عذاباً وأيهم أشد؟

مدخل:

﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] هكذا قال ربنا جل وعلا، يكافئ الخلائق يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا.

نعم.. إنما هي أعمالهم يحصيها عليهم ثم يوفيهم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه. والدليل على أن أهل النار يتفاوتون في عذابهم، قوله ﷺ:

« إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل مُتَنَلِّ بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه. ومنهم من في النار إلى ركبتيه، مع أجزاء العذاب. ومنهم من هو على أُرْدِيَّتِهِ، مع أجزاء العذاب. ومنهم من هو إلى تَرَقُوتِهِ، مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد اغْتُمِرَ فيها »^(١).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح.

عصاة المسلمين يتفاوتون؛

عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليست عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أهل الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم بحسنات أخرى له، أو بما شاء الله من الأسباب.

الكفار أنواع ومراتب؛

الكفار يتفاوتون في مقدار كفرهم، فعقوبة الكافر المسالم الذي كفر وأشرك بالله تعالى لكنه لم يقتل ولم يسرق، لكنه كفر بالله العظيم، وكذب الرسل الكرام، واتبع شهواته، وأطاع الشيطان، فهذا عقوبته أخف ممن كفر وطغى وتمرد وعصى، وتجبر وأذى، وقاتل الأنبياء، وفك بالمسلمين، وأفسد في الأرض وهتك أعراض الناس. لذا فإن أبا طالب هو أخف أهل النار عذاباً، فيوضع تحت قدميه جمرتين من نار يغلي منهما دماغه.

أهون أهل النار عذاباً؛

أخبر النبي ﷺ عن أدنى أهل النار عذاباً، ووصف حاله، وبين في أحاديث أنه مع خفة عذابه عن غيره، يرى أنه أشدهم عذاباً.

قال ﷺ: «إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»^(١).

وقال العباس بن عبد المطلب: «يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه قد كان يحوطك ويغضب لغضبك. قال ﷺ: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، ومعنى: «يحوطك» يصونك ويحفظك ويذب عنك أذى قريش، قوله «ضحضاح» هو في الأصل الماء الرقيق على وجه الأرض الذي يصل إلى نحو الكعبين، واستعير هنا في وصف ما يصيبه من النار، قوله «الدرك»: هي الطبقة من طبقات النار، والدرك الأسفل من النار هو قعر جهنم، وأقصى أسفلها.

أعمال الكفار الصالحة لا تقبل عند الله، فكيف تنفعهم وتخفف عنهم العذاب؟

إشكال



الجواب: شرط قبول العمل عند الله هو الإسلام، لذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]. فأعمال الكفار لا تنفعهم ولا تقبل منهم في الخروج من النار، لكنها قد تخفف عنهم العذاب، كما في حال أبي طالب عم النبي ﷺ، فإنه خُفِّفَ عنه بدفاعه عن النبي ﷺ، لكن لأنه كان عابداً للأصنام، مشركاً بالله، غير موحد لله، فإنه لا يدخل الجنة، ولا ينجو من النار، لكن عذابه أخف من غيره. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: 221].

ندم أهل النار:

الدنيا بالنسبة للآخرة مثل أن يضع أحدها أصبعه في البحر ثم أخرجته منه، فإذا رأى الذين كفروا العذاب، نسوا لذات الدنيا، وندموا وتحسروا على كفرهم وضلالهم. قال ﷺ: «يقول الله تعالى لأخون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكلت تنفدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وانت في صلب آدم، إن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي»^(١).

عدل..

مع وصف عموم الكافرين بالكفر..
إلا أنهم في القيامة يتفاوت جبروتهم
بتفاوت أعمالهم..

(١) رواه البخاري.

شراب أهل النار

ذكر الله تعالى طعام أهل النار وشرابهم، وهو من أنواع عذابهم، وفي القرآن ذكر أنواع من شراب أهل النار..



- فما هذه الأنواع؟
- وما الفائدة من ذكرها بأسمائها؟
- وهل يشربونها باختيارهم؟

مداخل:

معرفة العبد بتفاصيل الشيء تجعله أكثر إيماناً به وتصديقاً، وقد فصل الله تعالى لنا ديننا، ووصف جزاء المتقين، وعقوبة المعرضين المكذابين. ومن ذلك أن الله تعالى ذكر لنا أربعة أشربة لأهل النار، وهي:

الحميم:

الحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم.

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُ هُمْ﴾ [محمد: ١٥].

الغساق:

الغساق هو الشراب شديد البرودة الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده. قال تعالى: ﴿هَذَا قَلِيدُوقُهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧].

الصديد:

وهو ما يسيل من لحم الكافر، وجلده، قال تعالى: ﴿مِنْ رَأْيِهِ جَهَنَّمُ يُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧]

أي: يُسقى من ماءٍ صديد شديد الثناتة والكثافة فيتجرَّعه ولا يكاد يبتلعه من شدة ثناتته وكثافته، مخلوط بالقيح والدم.

ماء كالمُهْل:

سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن «المُهْل» فقال: غليظ كدُردي الزيت.

دُرديُّ الزيت: ما يبقى في أسفله، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان ^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

أنواع أخرى من الشراب:

جاء في القرآن ذكر أنواع أخرى، يتجرَّعها أهل النار، قال تعالى:

﴿ هَذَا وَابٍ لِلطَّغْيِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ۝٥٥ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيُسْرِ الْمُهَادُ ۝٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ۝٥٧ وَءَاخِرُ مَنْ شَكَلَهُ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٥ - ٥٨]

فهو يتجرَّع الحميم والغساق مُكرهاً مُزغماً، ويتجرع أنواعاً أخرى لم يذكرها الله تعالى لنا، لكنها أشكال أخرى وأنواع.

(١) انظر لسان العرب، مادة «درد».

يشربه مُكرهاً عليه :

هذه الأنواع من الشراب يشربه ساكن النار قَسْرًا وَقَهْرًا، جَزَعَةً بعد جَزَعَةٍ، ولا يكاد يبتلعه لسوء طعمه، وَنَتْن رائحته، وحرارته، فإذا شربه قَطَعَ أمعاءه.

ألا يموت إذا شرب هذه الأنواع المحرقة من الشراب؟

إشكال



الجواب: شرط قبول العمل عند الله هو الإسلام، لذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الجواب: يحيط به العذاب بأنواعه، ليس منها نوعٌ إلا يأتية الموت منه، ولكنه لا يموت بل يخلد في النار والعذاب، وله مع هذه الحالة عذاب آخر شديدٌ غليظٌ أذهى من الذي قبله وأمرّ.

شارب الخمر يشرب الصّديد :



قدم رجل من جيشان من اليمن فسأل النبي ﷺ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذرة يُقال له المزرة؟

فقال النبي ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟»

قال: نعم.

فقال ﷺ: **كُلْ مَسْكِرٌ حَرَامٌ. إِنْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَىٰ هَذَا مَنْ يَشْرِبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ.**

قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟

قال: **عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١).**

نسأل الله تعالى أن يسقينا من أنهار الجنة وعسلها ولبنها، في سعادة غامرة، وبيوت عامرة، وأن يعيدنا من النار، وجحيمها، وزُقُومها.. آمين.

خطر..

من شرب الخمر في الدنيا..
شرب من طينة الخبال..

(١) صحيح مسلم (٥٣٣٥).

في طعام أهل النار

كما أن أهل النار يشربون من حميم وغَسَّاق، كذلك فإنهم يتجرعون طعامًا من النار..

- فما هذا الطعام؟
- وكيف يأكلونه؟
- وما اسمه؟

مداخل:

يصرخ أهل النار ويتعذبون، ويكون ويستغيثون، يجوعون ويعطشون، فيُغاثون بما يزيد حسرتهم وعذابهم.

الضريع:



وهو نوعٌ من الشوك لا تأكله الدوابُّ لحُبْثه. قال تعالى:

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧].

فهم إذا طلبوا الطعام جيء لهم بالضريع، وهو نبات كالشوك مُرٌّ مُنْتِنٌ، لا يُشبع من جوع، ولا يُسمن، وعرف الله تعالى هذا الضريع بأنه لا خير فيه، ولا فائدة منه، فهو لا يسمن، ولا يغني، ولا يشبع من جوع.

غَسَّالِينَ :

وهو الدم والماء والصدید الذي یسیل من لحومهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَّالِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٧].

فالكافر لا يجد يوم القيامة قريباً ودوداً، ولا صديقاً حميماً، ينقذه من عذاب الله تعالى، فكل واحد منشغل في ذلك اليوم بنفسه. ولا يجد له طعاماً في النار إلا ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والصدید. والصدید شيء كريبه المذاق يتجرعه أهل النار، كما تجرّعوا الحرام في الدنيا، جزاءً وفاقاً..

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الزمل: ١٢ - ١٣].



صورة رمزية

والطعام ذو الغُصَّة: هو شوكة يجرح الأفواه، ويأخذ بالحلق، لا يدخل ولا يخرج. هذا مع أغلال ثقيلة تحيط بأجسادهم، في أرجلهم وأيديهم، إذلاًّ لهم.

الزَّقُومُ :

الزقوم ثمر شجرة خبيثة تخرج في أصل النار، ثمرها كريبه، يتجرعها أهل النار وهم كارهون. والزقوم إذا أكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، إنما هو عذاب يتعذبون به.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْيُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٥٠].

وقال تعالى مهديًا للمجرمين في الدنيا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُ الضَّالِّينَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٢].

يعني إنكم أيها الضالون عن الهدى، المكذبون بالبعث والحساب، ستأكلون من شجر الزقوم النابت في أصل الجحيم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالٌوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٤ - ٦٥].

فثمرها وطلعها، في قبح منظره، كأنه رؤوس الشياطين.

الناس لم يروا رؤوس الشياطين، فكيف يشبه ربنا ثمار شجرة الزقوم بها؟

إشكال



الجواب: أن الناس يعلمون أن الشياطين كريهة المنظر، قبيحة الرؤوس، بشعة الوجوه، فأراد الله تعالى تقبيح شجرة الزقوم، وتكريه السامعين بها، بتشبيهها برؤوس الشياطين.

بشاعة الزقوم:

صَوَّرَ الرَّسُولُ ﷺ شناعة الزقوم وفضاعته، فقد تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

فقال: «والذي نفسي بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الأرض

لفسدت».

وفي رواية: «... لَأَمَرْتُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامُهُ»^(١).

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الجنة، وثمارها، ونعيمها، وطيرها.. وأن يعيننا من النار، وزُقُومها، وغسلينها، وحميمها..

حال..

يأكل أهل النار ويشربون..
ولكن بئس الطعام وبئس الشراب..

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، صحيح.

لباس أهل النار وفرشهم



صورة للتوضيح،
ولا يعني أنها مثل نار الآخرة

أهل النار يلبسون، ويأكلون، ويشربون، ولهم
فُرُش وملاحيف.. لكن لبسهم وأكلهم وشربهم
وفرشهم نار، فهو عذاب ونكال وجحيم..

- فما نوع هذا اللباس؟
- وكيف يلبسونه؟
- وما فرشهم ولحافهم؟

مدخل:

أخبر الحق سبحانه وتعالى أن أهل النار يُصنع لهم حُلل من النار، وأن
من تحتهم نار، وفوقهم نار، فقال تعالى: ﴿قَالَيْنِ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ
نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الصحيح: ١١٩].

فالثياب فُصِّلَت على قدر أجسادهم، ويُصَبُّ الماء الشديد الحرارة فوق
رؤوسهم فيشوي وجوههم وأجسادهم، ويُذِيب أمعاءهم.

يتفاوتون في قدر الثياب:

قال ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه،
ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْرَتِهِ^(١)، ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْقُوتِهِ^(٢)»^(٣).

(١) الحُجْرَة: معقد الإزار والسر اويل، عند السرة في البطن.

(٢) التَرْقُوتَة: أسفل الرقبة من عند الكتفين.

(٣) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ وأحمد، وأصله في صحيح مسلم.

قال ﷺ: «إن في أمّتي أربعا من أمر الجاهلية ليسوا بتاركين: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، فإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تقوم يوم القيامة عليها سرايل من قَطْران، ثم يخلي عليهم دُرُوع من لَهَب النار»^(١).

فراش أهل النار، وغطاؤهم:

الفراش ما يكون تحت الشخص عند اضطرّاجه، واللحاف ما يكون فوقه، فأهل النار تحتهم نار وفوقهم نار.

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

المهاد: فراشٌ تحتهم.

الغَوَاش: أغطية من فوقهم تُغطيهم.

(١) رواه مسلم، والجاهلية: هي ما قبل الإسلام، لما كان الناس يعبدون الأصنام، والمعنى أن أموراً من أفعال أهل الجاهلية سيبقى بعض الناس من المسلمين يفعلها تشبهاً بالجاهلية أو جهلاً.

الأحساب: جمع حَسَب وهو تراث الآباء ونسبهم الرفيع؛ وهو أيضاً افتخار الإنسان وغروره على غيره بماله أو حسبه يعني أو كرم وشجاعة أجداده، وانتقاص غيره.

الأنساب جمع نَسَب؛ وهو انتساب الإنسان إلى أبيه وأسرته، فيأتي من يشكك في انتسابه لأبيه، أو يتهمه بأن أمه حملت به من زنا، وأنه منسوب لغير أبيه، كذلك ذم الأنساب وعيبها والوقوع فيها فمن طعن في نسب أحد من إخوانه المسلمين وذمه وعابه ففيه جاهلية.

الاستسقاء: هو طلب السقيا والتماس نزول المطر، واعتقاد أن نجوم السماء وكواكبها هي التي تؤثر في نزول المطر وسقيا الناس، فيطلبها من النجم معتقداً أنه الذي يسقينا ويرزقنا وهذا كفر، بل يطلب المطر من الله ﷻ، وشرع الله للمسلمين إذا أجذبت الأرض أن يستسقوا ويدعوا.

النياحة على الميت: هي رفع الصوت بالنَّدب على الميت وتعداد محاسنه على جهة النوح والصياح وهذا فيه تهيج للأحزان وإدامة لها وتسخط على الله وتعرض للآثام.

والدُرُوع: جمع درع، وهو لباس يغطي الجسد أو بعضه.

والسرايل: جمع سربال، وهي السراويل.

والقَطْران: مادة سوداء لزجة تستخرج منه الخشب والفحم، مُنتنة الرائحة، شديدة الاشتعال، وقد ذكره الله تعالى في عذاب أهل النار فقال: ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَنَشَّى وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

فهم يفتَرشون النار، ويلتَحِفون بألحِفَةٍ من النار. اللهم ارحمنا برحمتك..
يا رب.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (الزمر: ١٦).

فأهل النار من فوقهم طبقات متراكمة من النار بعضها فوق بعض،
وكأنها الظُّل، ومن تحتهم طبقات مثلها. فتغمرهم النار من كل جانب.

قصص حال الكفار يوم القيامة

شاهدة

ربنا جل وعلا يَقْصُّ على الناس حال الكفار يوم القيامة
ليُخَوِّفهم من أهوال ذلك اليوم، ليتَّعِظَ العقلاء عن الكفر
والمعاصي، ويعملوا بطاعة الله.

نسأل الله أن يلطف بحالنا، ويعيدنا من سخطه وعذابه.. آمين..

حقيقة..

أعمال العباد في الدنيا..
تؤثر في جزائهم في الآخرة..
فتلبس النائحة ثوبًا من نار..

في أشكال أهل النار وقببهم

أشكال أهل النار في غاية القبح، ومناظرهم في منتهى السواد والظلمة.
وجوه قاتمة.. وأنفس نادمة.. وجلود محترقة.. وأعمال ضائعة مُمزّقة..

- فما هي أشكالهم في النار؟
- وهل تتغير في حجمها؟
- وما الحكمة من ذلك؟

مداخل:

أهل النار لما كذبوا وأعرضوا، وحادّوا الله في الدنيا، وأشركوا في عبادته،
وكذبوا رسله، وكفروا بكتبه، استحقوا العقوبة على عملهم.

أشكالهم في النار:

يدخل أهل الجحيم النار على صورة هائلة لا يقدر قدرها إلا الذي خلقهم،
فتكبر أجسادهم جداً، ليزداد عذابهم، وتثخن جلودهم.



قال ﷺ: «ما بين منكبَي الكافر مسيرة
ثلاثة أيام للراكب المُسرِع»^(١).

والمنكب: هو طرف الكتف من الأعلى،
ولكل إنسان منكبان عن يمينه وشماله.

(١) متفق عليه.

وقال ﷺ: «ضُرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»^(١).

وقال ﷺ: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة»^(٢).

ألوانهم:

ألوانهم مع شدة العذاب والحريق، سوداء مظلمة، ويزيدهم الاحتراق بشاعة، قال ﷺ في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]: «تشويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سُرته»^(٣).

فإذا علم المؤمن شدة هذا العذاب، دعاه ذلك إلى طاعة الله تعالى وترك معصيته.. إن عذاب ربك لواقع.. ما له من دافع..

ندم..

تعظم حسرة أهل النار بقبح مناظرهم..
فيزدادون عذاباً بنظر بعضهم إلى بعض..

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، حسن.

أصناف أخرى من العذاب

من رحمة الله تعالى بالناس، وإقامته الحجة عليهم، وقطع الأعذار عن المعتذرين، أنه جل جلاله، فصلّ لهم أنواع العذاب، وأنواع النعيم، ورغبهم في الجنة، وحنّهم من النار.

ومع أن رحمة ربنا تسبق غضبه، وعفوه يغلب عقوبته، إلا أن بطشه شديد، وعذابه أليم، ومن ذلك تفصيل أنواع العذاب، تخويفاً وتحذيراً.

• فما هي أنواع العذاب في النار؟

• وما الحكمة من تفصيل أنواعه؟

• وما حال أهل النار معه؟

مداخل:

يوجد للمعذبين في النار أصناف متعددة من العذاب، إضافة لاحتراقهم بالنار، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه، ومن ذلك:

الضرب بمطارق حديد:



قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١١ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ﴾

[الحج: ١٩ - ٢١].

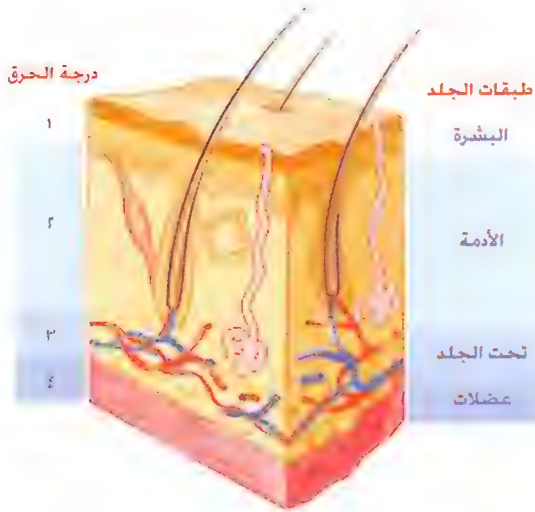
صورة للتوضيح، ولا يعني أنها مثل ما في الآخرة

فَيُضْرَبُ الْكَافِرُونَ بِالسَّيَاطِ وَالْمَطَارِقِ مِنَ الْحَدِيدِ الْمُحْمَى فَتَتَنَاشَرُ أَعْضَاؤُهُمْ، ثُمَّ يَعُودُونَ كَمَا كَانُوا فَيُضْرَبُونَ أُخْرَى.

كَلِمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَتْ لَفِيرَهَا:

تُحْرَقُ النَّارُ جُلُودَ أَهْلِ النَّارِ، وَالْجِلْدُ مَوْضِعُ الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ الْاِحْتِرَاقِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْدُلُ لَهُمْ جُلُودًا أُخْرَى غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي احْتَرَقَتْ، لِتَحْتَرِقَ مِنْ جَدِيدٍ..

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦).



تَعَدُّ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ أَثْبَتَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ أَنَّ الْجِلْدَ هُوَ الْعَضْوُ الْوَحِيدُ الْمُسْتَوِلُ عَنْ الشُّعُورِ بِالْأَلَمِ؛ لِمَا يَحْتَوِيهِ مِنْ نَهَائِيَّاتٍ عَصَبِيَّةٍ وَمُسْتَقْبِلَاتٍ حَسَبِيَّةٍ، وَإِذَا تَعَرَّضَ الْجِلْدُ لِحَرِّقٍ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ فَأَكْثَرُ، فَإِنَّ الْمُسْتَقْبِلَاتِ الْحَسَبِيَّةَ وَالْأَعْصَابَ تَتَلَفُ وَتَتَوَقَّفُ وَظِلْفَيْهَا كَنَاقِلٍ لِلْمُؤَثَّرَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَهُوَ مَا وَصَفَهُ الْقُرْآنُ بِنَضُوجِ الْجِلْدِ، وَبِالتَّالِي لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ جَدْوًى مِنَ الْاسْتِمْرَارِ فِي الْعَذَابِ، لِذَلِكَ لَزِمَ اسْتِبْدَالُ الْجِلْدِ النَّاضِجِ بِأَخْرَسٍ سَلِيمٍ حَتَّى يَسْتَمِرَّ الْإِحْسَاسُ بِالْأَلَمِ.

تَقْيِيدُهُمْ وَسَجْبُهُمْ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ (١٢) ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (المزمل: ١٢، ١١٣).

إِنَّ لَدَيْنَا لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ قِيُودًا ثَقِيلَةً تَوْضَعُ فِي أَرْجُلِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ إِذْ لَا لَاهُمْ، وَلَهُمْ نَارُ مُسْتَعْرَةٍ يَصْلَوْنَهَا.

وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢].

الأُنكال: القيود، سميت أنكالا لأن الله يعذبهم وينكل بهم بها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٨].

السحب في النار:

ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار على وجوههم في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٨].

ويزيد من آلامهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٦٩ - ٧٢].

الصهر بالماء الحار:

من ألوان العذاب صبّ الحميم فوق رؤوسهم، والحميم هو الماء الذي بلغ غاية الشدة في الحرارة، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم، قال تعالى:

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهِرُ بِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٠].

اللفح بحرارة النار؛



صورة رمزية

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه، ومن إهانة أهل النار أن النار تَلْفَح وجوههم وتحرقها بحرّها قبل أن يصل إليهم لهيبها.

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

نعم.. تَلْفَح النار وجوههم فتشويها، وتَقْلُص شفاههم، وتتغير ملامحهم. ويلقون في النار على وجوههم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [البراهيم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَبْقَى وَجْهُهُ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤].

وهم مع ذلك يحشرون يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمياً وَبُكماً وَصُماً مَا وَلَّيْنَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعيراً ﴾ [الاسراء: ٩٧].

يصعد لأعلى النار، ويهوي؛

يُكَلَّف صعود جبل من نار في جهنم، ثم يهوي من أعلاها لأسفل النار.

وهذا أيضاً من أنواع العذاب، قال تعالى: ﴿ سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧].

تَسْوِيدُ الْوُجُوهِ:

يُسَوِّدُ اللَّهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وُجُوهُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَسَوْدُوهُُ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وهو سواد شديد، كأنما حلت ظلمة الليل في وجوههم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

إحاطة النار بالكفار:

يعني أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المنكبات: ٥٥].

يغشاهم العذاب، ويحيط بهم من كل جانب: من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، وعن أيما نهم، وعن شمائلهم، ويقال لهم تقريعاً لهم وتوبيخاً: ذُوقُوا العذاب الذي أوصلكم إليه سوء عملكم.

وقال في موضع آخر: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ، يَعْبَادُونَ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [المنكبات: ٥٤].

سور من نار:

لنار سور يحيط بالكافرين، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

اطلاع النار على الأفئدة:

أهل النار يَصْحَمُ خلقهم في النار شيئاً عظيماً، ومع ذلك تدخل النار في أجسادهم حتى تصل إلى قلوبهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدَّنَ فِي الْحَطَمَةِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطَمَةُ ۚ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥].

قوله ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشأ خلقه.

وقال تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ۚ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

فقوله تعالى: ﴿لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ أي: تأكل العظم واللحم والمخ.

وقد أشار النبي ﷺ إلى شيء من ذلك، فقال: «من قتل نفسه بخيطة فحديديته في يده يتوجأ بها إلى بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحشى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»^(١).



حسرتهم وندمهم:

إذا رأى الكفار النار ندموا أشد الندم، ولأت ساعة مندم! قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۖ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۖ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ﴾ [يونس: ٥٤].

(١) رواه مسلم، ومعنى يَتَحَشَى: يشرب ويتجرع، ومعنى يتوجأ: يطعن.

وقال ﷺ: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكننت فتتدى به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سُئلت ما هو أيسر من ذلك»^(١)

أي طلب منك إيمان وتصديق بالله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا يسير عليك، لكنك كذبت وأعرضت، فاليوم لا يُقبل منك فدية.

جَرَّ الْأَمْعَاءَ فِي النَّارِ:

وهذا ورد في عقوبة المرائي فاسد النية الذي يأمر الناس بالمعروف رياءً وسُفْهَةً، وهو لا يفعل هذا المعروف، وينهاهم عن المنكر، ليظهر لهم صلاحه وتقواه، وهو يفعل هذا المنكر ولا يبالى.

قال ﷺ: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه. فيدور بها مكساً يدور الحمار بالرحى. فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان! مالنا لم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية»^(٢).

والأفتاب: جمع قَتَب وهو الأمعاء.

وقال ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُضْبَهُ في النار، كان أول من سَيَّب السَّوَائِبَ»^(٣)

والسَّوَائِب جمع سائبة، وهي أن تترك الدابة تذهب حيث شاءت فلا تُستعمل ولا يُحمل عليها، تقرباً إلى الأصنام بذلك، فعمرو بن لُحَيٍّ هو أول من ابتدع هذه البدعة الشركية وتبعها الناس عليها.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

القُضب: الأمعاء التي في البطن، والمعنى أن أمعاءه تخرج من شدة العذاب ويطوف بها في النار.

قَرْنُ المعبود بعابده:



كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها ويبذلون في سبيل ذلك النفس والمال، ويعتقدون أن هذه الآلهة تنفع وتضر، وفي يوم القيامة يقذف ربنا جميع آلهتهم في النار إهانة لعبديها وإذلالاً، فهي لم تُنج نفسها فكيف تنجيهم؟

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٩٩].

نعم يرى العابد معبوده في النار.. فإن الإنسان إذا قَرْن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرتة..

صُراخهم ودعائهم:

هناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم ويدعون ربهم آمليين أن يخرجهم من النار! قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

سبحان الله! أين كان هذا البكاء وأنتم للأصنام تعبدون! وللرسل تكذبون! أين كان هذا البكاء وأنتم تزنون! وللخمر تُعاقرون! أين كان هذا البكاء وأنتم للحرام تأكلون! وللوالدين تُعقون!

اعترف بهم:

وعند معاينة العذاب يعترفون بضلالهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (المُلْك: ١٠ - ١١).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٦) ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٧).

ولكن أنى يستجاب لهم! بل يقال لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٨).



صورة للتوضيح ، ولا يعني أنها مثل ما في الآخرة

استعطافهم لخزنة جهنم:

إذا يئس أهل النار من أن يستجيب الله لهم، توجهوا بالنداء لخزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم العذاب!

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (١٩) ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الزمر: ٤٩ - ٥٠).

يطلبون الموت:

إذا يئسوا من أن يخفف عنهم العذاب، طلبوا الموت ليرتاحوا! أعوذ بالله، كفى بك داءً أن ترى الموت شافيًا! وحسب المنيا أن يكن أمانيا! قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ (الزخرف: ٧٧).

يقال لهم: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الطور: ١٦).

يُلْقَى بِمَكَانٍ ضَيِّقٍ بِلا حَرَكَةٍ:

قال تعالى عن النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢ - ١٤].

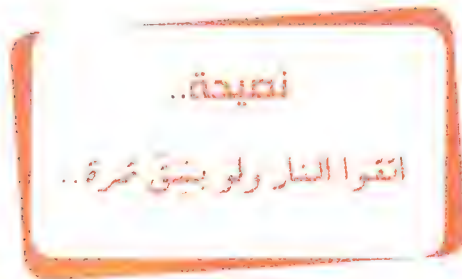
أي أنهم إذا أُلْقُوا فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنْهَا، وأيديهم مجموعة إلى أعناقهم بالقيود والأغلال، نادوا هنالك طالبين الثُّبُور - أي الهلاك - ليستريحوا من العذاب.

فيقال لهم توبيخًا وتقريعًا: لا تطلبوا اليوم هلاكًا واحدًا بل اطلبوه مرارًا، فلن تجدوا لكم خلاصًا مما أنتم فيه.

بكاؤهم وشهيقهم:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

قال ابن عباس: « زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ هو صوت شديد وصوت آخر ضعيف »^(١).



(١) ذكره الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند صحيح.

النساء أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار!!

دلت الأحاديث أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وهن أيضاً في النار أكثر من الرجال!

- فكيف يكون ذلك؟
- وما الدليل عليه؟
- وما الحكمة منه؟

مدخل:

ربنا جل وعلا ساوى بين الرجل والمرأة في كل شيء إلا في أشياء قليلة اقتضت فطرة الذكورة والأنوثة أن يفرق بينهما فيه.

ووجوه الاتفاق بين الرجل والمرأة أكثر من وجوه التفاوت والاختلاف؛ فكلاهما يجب عليه خمس صلوات. وصيام رمضان. والحج للبيت الحرام. وزكاة المال. وكلاهما يحرم عليه الزنا والكذب وشرب الخمر..

وقد وعد الله المؤمنين ووعد المؤمنات أيضاً بالجنات..



أيهما أكثر في الجنة: الرجال أم النساء؟

مسألة



تذاكر الصحابة ذلك في حضرة أبي هريرة رضي الله عنه.. فقال أبو هريرة:

أولم يقل أبو القاسم عليه السلام: « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء. لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم. وما في الجنة أغرب ^(١) ».

فالحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، فعدد النساء في الجنة ضعف عدد الرجال، بل أكثر. وسيأتي أن نعيم النساء الصالحات إذا دخلن الجنة أعظم من نعيم الحور العين.

كيف نجمع بين ما ذكر هنا أن النساء هن أكثر أهل الجنة، وبين حديث « يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار ^(٢) »؟

مسألة



الجواب: أن عدد النساء في الدنيا أصلاً أكثر من عدد الرجال، وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان في الدنيا يكون لكل خمسين امرأة قيّم واحد أي رجل واحد، وفي عصرنا اليوم بدأت نسب النساء والولادات من البنات تزداد بشكل ملحوظ، حتى صارت نسبة الذكور في بعض البلدان تصل إلى خمس نساء مقابل رجل واحد. وبذلك تكون النساء أكثر

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

من الرجال وجوداً في البشر، فإذا دخل نصف رجال الدنيا إلى الجنة، ونصف نساء الدنيا أيضاً، فإن عدد النساء سيكون أكثر، لأن النساء في الدنيا أكثر. وكذلك الحال في النار، فلو دخل النار ربع رجال الدنيا إلى النار، وربع نساء الدنيا أيضاً دخلن النار، فستكون النساء في النار عددهن أكثر، لأنهن أكثر في الدنيا.

وعلى ذلك، لا يفهم من حديث «إن النساء أكثر أهل النار»، ذمّ جنس النساء، أو التنقّص منهن، أو أن وقوع المرأة في المعصية أكثر من وقوع الرجل.

فَهْمٌ..

من نظر في النصوص الشرعية..
وجد أن النساء هنّ أكثر أهل الجنة..
قبل أن يكنّ أكثر أهل النار..

تخاصم أهل النار

عدد من أهل النار من الطغاة والعصاة، كانوا متصافين في الدنيا متآلفين، لكنهم كانوا متعاونين على الإثم والعدوان..



• فكيف حالهم يوم القيامة؟

• وأين صداقتهم؟

• وهل يتخاصمون؟

مداخل:

كل صداقة قامت على الفجور والطغيان، والتعاون على الإثم والعدوان، تنقلب يوم القيامة عداوة وحرمان، وحسرة وخسران. فبعدما كانوا في الدنيا في حب وصفاء، صاروا في القيامة أعداء.

تلاعن العصاة في الآخرة؛

قال الله تعالى واصفًا الحال والمآل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوٰىكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (المنكيات: ٢٥) ..

نعم يتلاعنون في الآخرة، فإذا رأى العاصي من كان معه في الدنيا في المراقص وبيوت الفجور! تذكر أنه كان يُشجَّعه على الإثم والعدوان، فيلغنه ويسبّه، فيردّ عليه صاحبه بمثل ذلك..

السادة والكبراء:

الناس يتفاوتون في قوة شخصياتهم، وتنوع قدراتهم، فمنهم من شخصيته قيادية مؤثرة على غيره، فهو متبوع، ومنهم ضعيف الشخصية الذي يؤثر فيه غيره، ويجرّه حيث شاء، فهو تابع، فيوم القيامة يلعن التابع المتبوع، ويلوم المقيود القائد! قال تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْزَعًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحْيٍ ﴿٢١﴾﴾ [ابراهيم: ٢١]، فبعداً لمن كان رأساً في الشر.. ومفتاحاً للضلال.. وقائداً إلى السوء.. تباً له وسحقاً..

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْغَنَمَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

وهذا هو طريق الضلال.. أطاعوا ساداتهم وكبراءهم.. أطاعوا أصحابهم.. ورؤساءهم.. فأفسدوا عليهم دينهم.. زينوا لهم الزنا.. فزنوا.. زينوا لهم ظلم الناس وأكل حقوقهم.. ففعلوا.. أشغلواهم عن برّ والديهم.. وتربية أبنائهم.. وصلاتهم.. وصيامهم.. فأطاعوهم.. وفي القيامة.. تنكشف الأسرار.. وتُهتك الأسرار.. ويسب التابعون المتبوعين.. ويدعوا الرؤوسون على الرؤساء.. ولكن أنى ينفع الندم والتلاؤم..

نهاية..

كل صداقة لغير وجه الله،
تقلب يوم القيامة عدوة

أول من تُسَعَّر بهم النار

لا تزال النار تشتعل وتتوقّد منذ خلقها ربنا تعالى، وهي تكاد تميّز من الغيظ على أهلها.. ويوم القيامة إذا حاسب الله تعالى الأولين والآخرين، جيء بأشخاص تُسَعَّر بهم النار، فيوضعون فيها قبل غيرهم..

• فمن هؤلاء الأشخاص؟

• وما جريمتهم؟

مدخل:

أصل قبول الأعمال الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الشريعة فيها، فيسلم العمل من الرياء والبدعة، فإذا سلم الإنسان منهما أفلح ونجح.

وعن شُفَيِّ الأَضْبَحِيِّ، قال: « دخلت مسجد المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس. فلما سكت وخلا، قلت له:

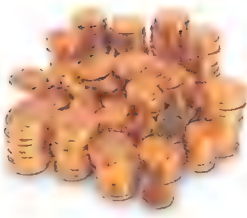
أنشدك بحقٍّ وحقّ، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلتُه وعلمته. فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثتك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ عقلتُه وعلمته، ثم نشخ أبو هريرة نشْغَةً، فمكث قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثتك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ، وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشخ أبو هريرة نشْغَةً أخرى. فمكث كذلك، ثم أفاق،

فمسح عن وجهه، فقال: أفعل، لأحدثك حديثاً حدثني رسول الله ﷺ، وأنا وهو في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نَشَغَ نَشَغَةً شديدة، ثم مال خائراً على وجهه، واشتد به طويلاً. ثم أفاق^(١)، فقال: حدثني رسول الله ﷺ:

أن الله تبارك وتعالى، إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعوه: رجل جمع القرآن. ورجل، يُقتل في سبيل الله. ورجل كثير المال.



فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ﷺ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار! فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان قارئ! فقد قيل ذاك. ثم أمر به فُسِحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.



ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق؟ فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة له: كذبت. ويقول الله: بل إنما أردت أن يقال: فلان جواد! فقد قيل ذاك. ثم أمر به فُسِحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.

(١) المعنى: أن شُفِيَ الأَصْحَى سأل أبا هريرة ؓ عن حديث سمعه أبو هريرة من رسول الله ﷺ مباشرة، من غير واسطة بينهما، فتذكر أبو هريرة ؓ حديثاً عظيماً سمعه من النبي ﷺ فيه الوعيد لغير المخلصين في أعمالهم، وأنهم أول من تُسْعَر بهم النار، وخشي أبو هريرة على نفسه ونبيه وإخلاصه، فيكي ثم نَشَغَ أي شهق شهيقاً شديداً، مراراً، ثم مال إلى جانبه كاد أن يغمى عليه، ثم أفاق، وقال لأحدثك حديثاً عن رسول الله ﷺ..



ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت! فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ رُكْبَتِي، فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة^(١).

وهذا الحديث يدل على عظمة النية، وأهمية الإخلاص لله تعالى، وأن العبد يجب عليه مراجعة نيته، ومحاسبة نفسه دائماً.

إضاءة..

المخلص هو من يكتم حسنه
كما يكتم سيئه.

(١) رواه الترمذي والحاكم، صحيح.

ذنوب متوَعَّد أصحابها بالنار

بعث الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين، والرسول لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وَحْيٌ يُوحَى. والذنوب أنواع وأقسام، منها ما يتعلق بحق الله تعالى، ومنها ما يتعلق بحقوق العباد، وكل شيء مسجل محفوظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. وهناك ذنوب نص النبي ﷺ على خطرها، وسوء حال أهلها.

- فما هذه الذنوب؟
- ومن هم أهلها؟
- ولماذا كانت أشد من غيرها؟

مداخل:

ربنا جل وعلا يعلم السر وأخفى، ولا أعذل في الحكم، وأعلم في الفصل بين الخصوم، من الله تعالى، فهو أسرع الحاسبين، وأحكم الحاكمين. ومن الذنوب المنتشر وقوعها بين الناس، مع شدة الوعيد عليها:

الجبائرون في الحكم:

أنزل الله الشريعة ليقوم الناس بالقسط، وأمر عباده بالعدل، فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].



ومن تولى أمور الفصل والحكم والقضاء، فظلم وجار، أو أخذ الرشاوي وأكل الحقوق، فقد استحق النار.

قال ﷺ: «القضاة ثلاثون: واحد في الجنة واثنان في النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار. ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»^(١).

الكذب على رسول الله ﷺ:

الكذب واختلاق الأحاديث ونسبتها إلى رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، ولو فُتح المجال لمن أراد أن يكذب ويخترع الأحاديث، لاضطربت أحكام الشريعة، والتبست أمور الدين. لذا.. توعد النبي ﷺ من كذب عليه واخترع الأحاديث، بالوعيد الشديد.

فقال ﷺ: «لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلق النار»^(٢).

المقاتل بغير حق:

القتل ذنب عظيم، وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].



(١) رواه أبو داود، صحيح.

(٢) متفق عليه.

وقال ﷺ: « لو أن الثقلين اجتمعوا على قتل مؤمن لأَكَبَّهُم الله تعالى على مناخرهم في النار، وإن الله تعالى حَرَّمَ الجنة على القاتل والامر به »^(١).

أَكَلَةُ الرِّبَا:



جاء الإسلام لضبط الحياة كلها، الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.. ومن ذلك تحريم الربا، قال تعالى:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٥].

قال ﷺ: « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشِّرْكُ بالله، والسَّحَر، وقتل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، وأكل الربا.. »^(٢).

أَكَلَةُ أموال الناس بالباطل:

من الظلم العظيم الذي يستحق به صاحبه النار أكل أموال الناس بالباطل، كما قال تعالى:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝١٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠]

(١) أخرجه الأصبهاني.

(٢) متفق عليه.

الرُّكُونُ إِلَى الظَّالِمِينَ :

الظلم مَزْنَعُهُ وَخَيْمٌ، وقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه، وجعله بين خلقه محرماً. فظلم الناس في أرزاقهم، أو أعراضهم، أو سُبُغَتِهِمْ، أو وظائفهم، حرام، ومساعدة الظالمين، والركون إليهم، هو تعاون على الإثم والعدوان.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].



أي لا تستعينوا بالظالمين، ولا تعتمدوا عليهم، ولا تغتروا بهم، ولا تستحسنوا طريقتهم، لأنكم إذا فعلتم ذلك، دلّ على أنكم رضيتُم بأعمالهم، فإن فعلتم ذلك أصابتكم النار، ولن تجدوا من ينصركم من عذاب الله.

تعذيب الحيوان :

قال ﷺ: «عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ. لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا. وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

فهذه المرأة حبست الهِرَّةَ، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشَاشِ الْأَرْضِ، أي من هَوَامِ الْأَرْضِ وحشراتِها.

(١) متفق عليه.

الكاسيات العاريات، والذين يضربون الناس؛

التَّبْرُج والسُّفُور، والتهتك في اللباس، وعدم الاستتار، يؤدي إلى انتشار الفساد والفحشاء، لذا أمر الله تعالى بالستر والعفاف.

وأخبر النبي ﷺ أن النساء المتبرجات المتعريّات، من أهل النار. وكذلك الظلمة الذين يؤذون الناس، ويضربونهم بالعصي والسيّاط. وقد ذكر النبي ﷺ هذين الصنفين، فقال ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قوم معهم سيّاط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مُمِيلَات مَائِلَات رُؤُوسَهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجِدَ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (١).



والبُخْت هي جمع بُخْتِيَّة، وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

وقوله « قوم معهم سيّاط كأذناب البقر يضربون بها الناس »:

الضرب المذموم هو الضرب الظالم بغير حق، أما الضرب بحق لعقوبة المخطئ وكذلك في الحدود والتأديب الشرعي، فلا بأس كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

الانتحار؛

قتل النفس بغير حق، من أكبر الكبائر، حتى لو قتل الإنسان نفسه، ومهما كانت الطريقة في القتل.

(١) رواه مسلم.

قال ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيه خالدًا مُخلدًا فيها أبداً. ومن تحسّى سماً فقتل نفسه، فسمه في يده، يتحسّاه في نار جهنم خالدًا مُخلدًا فيها أبداً. ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مُخلدًا فيها أبداً»^(١).

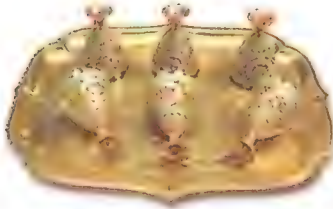
عدم الإخلاص في طلب العلم:

الإخلاص واتباع السنة، هما الأصلان في قبول الأعمال. وطلب العلم من أفضل وأعظم الأعمال الصالحة، فهو ميراث النبيين، وسبيل هداية المؤمنين، وهو يزيد بالإخلاص وصلاح النية. ومن كان مرئياً طالباً للظهور والشهرة، فقد باء بالخيبة والخسران.

قال ﷺ: «من تعلّم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٢).

وعُزف الجنة هو رائحتها.

الشرب بأنية الذهب والفضة:



أباح الله تعالى لنا الطيبات، وخلق لنا ما في الأرض جميعاً، فيجوز الشرب في كل الآنية الطاهرة، إلا آنية الذهب والفضة.

قال ﷺ: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجر جراً في جوفه نار جهنم»^(٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود، صحيح.

(٣) رواه ابن جبان، صحيح.

وقال ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجزجر في بطنه نار جهنم»^(١).

والمرادة بـ «يجزجر» أي ينزل وينحدر في بطنه.

الكِبَرُ:

الكبر هو البَطَر والغرور وغمط الناس واحتقارهم والاستهانة بهم.

وكم منع الكبر أشخاصاً متكبرين من الاعتراف بحقوق الآخرين، وأذى المؤمنين، وعدم الاعتذار منهم، ولا صلة أرحامهم، وقد يدفع الكبر المتكبر إلى ترك صلاة الجماعة في المسجد استعلاءً عن مزاحمة العامة والفقراء!!

قال ﷺ: «فِيمَا يَخْكِي عَنْ اللَّهِ جَل وَعَلَا: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ، وَمَنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبَ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ اقْتَرَبَ مِنِّي ذِرَاعًا، اقْتَرَبَ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ جَاءَنِي يَمْشِي، جِئْتُهُ أَهْرُولٌ، وَمَنْ جَاءَنِي يَهْرُولٌ، جِئْتُهُ أَسْمَى. وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ.»^(٢).

حقيقة..

من عمل صالحاً فلنفسه...
ومن أساء فعليها...

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن جبان، صحيح.

آخر الناس نجاة من النار

أخبر النبي ﷺ بمواعظ وأحداث عن يوم القيامة، والمؤمن إذا قرأ هذه الأحاديث دفعه ذلك لفعل الطاعات، وترك المنكرات. ومن ذلك خبره ﷺ عن آخر أهل النار نجاة من النار ودخولاً الجنة.



- فما خبره؟
- وكيف نجا من النار؟
- وما نعيمه في الجنة؟

مدخل :

نبينا ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه ويجيب، ومن ذلك أنهم سألوه عن رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال:

« قال أناسٌ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟^(١) قالوا: لا، يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك. يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّعْه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك. هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا آتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان. أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى، يا رسول

(١) لا تضارون: أي لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر.

الله. قال: فإنها مثل شوك السَّعدان، غير أنها لا يعلم قدر عَظَمها إلا الله^(١). فتخطف الناس بأعمالهم: منهم الموبق بعمله، ومنهم المخزذل، ثم ينجو^(٢). حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيخرجونهم بعلامته آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا^(٣). فيُصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة. فينبتون نبات الحبة في حميل السيل^(٤). ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبنى ريحها. وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار^(٥). فلا يزال يدعو الله. فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره. فيصرف وجهه عن النار. ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك ابن آدم ما أغدرتك! فلا يزال يدعو. فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره. فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها، سكت ما شاء الله أن يسكت. ثم يقول: رب أدخلني الجنة. ثم يقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرتك! فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك. فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها، قيل: تمّن من كذا. فيتمنى، ثم يقال له: تمّن من كذا. فيتمنى حتى تنقطع به الأمانى، فيقول له: هذا لك، ومثله معه. قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا^(٦).

(١) كلاليب: جمع كُلوب، وهو عصا مغقوفة الطرف، يعلق بها اللحم عادة، والسعدان: هو نوع من الشوك شديد الالتصاق بالملابس والجسد، فيوم القيامة يكون على الصراط مثل شوك السعدان، لكنه كبير الحجم جدًا.

(٢) يعني أن الناس يجوزون الصراط بحسب أعمالهم، فمنهم الموبق بعمله: أي الخاسر، ومنهم المخزذل: أي يسقط أو يكاد يسقط ثم ينجو، وقد تقدم تفصيل أحوال الناس على الصراط.

(٣) امتحشوا: احترقت جلودهم.

(٤) المعنى: أنهم مع احتراقهم بالنار، تأثرت أجسادهم وجلودهم وعظامهم، فإذا صب عليهم من ماء الحياة نبثوا كما ينبت النبات، كما تنبت الحبة في حميل السيل أي كما تنبت حبة الشعير أو القمح في طرف الوادي السائل الجاري بمياه المطر.

(٥) قد قشبنى: أي سمنى وأذاني وأهلكني ريح النار، وذكاؤها: أي لهيبها واشتعالها.

(٦) ما أغدرتك: لفظ مأخوذ من الغدر وهو نقض العهد والميثاق.

(٧) رواه البخاري.

أقوام يدخلون النار ثم يخرجون:

قال ﷺ: «أخرجوا من النار: من قال: لا إله إلا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن بُرّة. أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن شحيرة. أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة»^(١). نسأل الله تعالى أن يُعبدنا من النار، وأن لا يحرمنا شفاعته نبينا ﷺ.

المُخلّدون في النار:

أهل النار المخلّدون فيها الذين لا يخرجون ولا يبيدون هم الكفرة والمشركون، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

ثقة..

ثقة العبد في قدرة الله،
وعلمه بسعة مغفرته ورحمته،
تدفعه لكثرة الطلب والإلحاح.

(١) متفق عليه، المعنى: أن الله تعالى برحمته وكرمه يخرج الموحدين من النار، حتى لو كان الإيمان في قلوبهم قليلاً، فلو كان في قلبه ما وزنه بمقدار حبة بُرّ أو حبة شعير أو حبة ذرة، خرج من النار.

نداءات بين أهل الجنة وأهل النار

إذا دخل المؤمنون الجنة، واستقروا في نعيمها، وشربوا من مائها وعسلها، ونظروا إلى وجه الله تعالى فيها. ودخل أهل النار النار، واضطلوا بعذابها، وتجرعوا زقومها. عندها تكون نداءات وحوارات بين أهل الجنة وأهل النار.

• فما هذه النداءات؟

• وما حال كل فريق؟

• وكيف تنتهي؟

مداخل:

وعَد الله تعالى المؤمنين بأن لهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم، وتلذّ عيونهم، ويخطر على قلوبهم، ومن زيادة نعيمهم، شفاء صدورهم من أقوام كانوا يستهزئون بهم في الدنيا، وينسبونهم إلى السفه والغباء، وربما آذوهم في الدنيا بأنواع الأذى. ففي الآخرة يرى أهل الجنة عذاب أهل النار، ويتحاورون معهم تنكيّاتاً لهم وإذلالاً.

• **النداء الأول:**

وهو من أهل الجنة لأهل النار، بعدما يذوق أهل الجنة النعيم، ويجدون ما وعدهم الله تعالى حقاً، فالجنة حق، والنار حق، والنعيم والعذاب حق.. فيتساءلون في أنفسهم عن حال أشخاص كانوا في الدنيا يكذبون بالجنة والنار، ويعيشون لحظتهم، وحياتهم، دون ارتداع عن منكر ولا رغبة بمعروف.

فينادي أهل الجنة أهل النار: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٥].

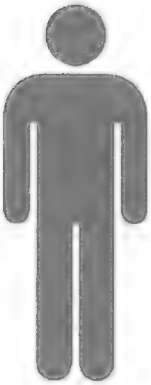
جعل أهل النار يصيحون بلعنة أنفسهم، ولكن أنى ينفعهم التلاعن واللجاج!!

• النداء الثاني:



وهو من أهل الأعراف لأهل الجنة، وأهل الأعراف هم أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فصاروا بين الجنة والنار، لم يدخلوا الجنة ولا النار.

وأهل الأعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم أي بصفاتهم من البياض والنضرة والحسن، ويعرفون أهل النار أيضاً بسيماهم وصفاتهم السوداء القاتمة المظلمة. فينادي أهل الأعراف أهل الجنة داعين لهم مسلمين عليهم.



قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي لم يدخل أهل الأعراف الجنة، لكنهم يطمعون ويرغبون في دخولها.

• النداء الثالث:

وهو نداء من أهل الأعراف لأهل النار، فبعدما ينظر أهل الأعراف لأهل النار، فيرون عذابهم، وحسرتهم، وقد سالت دماؤهم، وذابت جلودهم، وعلا صراخهم، وارتفع نحيبهم، عندها يدعو أهل الأعراف ربهم بأن لا يجعلهم مع هؤلاء الظالمين.

ثم يلوم أهل الأعراف أهل النار، فيقولون: ما أغنى عنكم ولا نفعكم اجتماعكم على الشر، ولا استكباركم بأموالكم ومناصبكم، فها أنتم في العذاب مجتمعون.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[الأعراف: ٤٧ - ٤٩]

• النداء الرابع:

وهو نداء الحسرة والخيبة والخسران، حيث ينادي أهل النار وهم في عذابهم، يُسْقون من ماء حميم يغلي، ويتجرعون الرُّقُوم، ويبكون ويستغيثون، فينادون أهل الجنة طلباً للماء أو الرزق الحسن، فيرد عليهم أهل الجنة أن اخسئوا في النار، فأنتم الذين فرطتم وضيّعتم واتخذتم اللهو واللعب ديناً وطريقة لحياتكم، وكذبتكم بالآخرة، ونسيتم الاستعداد للقاء الله، فاليوم أنتم الخاسرون.



﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِلِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥٠ - ٥١]

وقيل إن هذه النداءات تكون بعد اجتياز أهل الجنة الصراط، ونجاتهم من النار، فيلتفتون إلى أهل النار، ويتحاورون معهم.

نسأل الله تعالى أن يقينا الضلال والفتن، وأن يغفر لنا ويرحمنا.. آمين

رجاء..

﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

اللهم رحماك بنا..

مصير إبليس يوم القيامة

إبليس هورأس الضلال، ومخيّب الآمال، وعدو الصالحين، ونصير المجرمين، من أطاعه تردّى وهلك، ومن عصاه فاز وملك.

• فمن هو الشيطان؟

• وما قصته؟

• وما خطبة الشيطان يوم القيامة؟

• وماذا يقول لأتباعه؟

مداخل:

تكرر اسم الشيطان في القرآن ٨٨ مرة^(١)، إظهاراً لخطره، وبياناً لعداوته، وتحذيراً من طاعته، وفضحاً لخطّطه، وإفشالاً لخطواته.

والشيطان يوم القيامة يلقي أسوأ مصير، وقد أخبرنا الله بكَيْده وأمرنا بعبادته فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].



بل حتى الأنبياء أوصوا أولادهم بذلك فقال يعقوب لولده يوسف عليهما السلام: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ﴾ [يوسف: ٥].

(١) تكرر ذكر الشيطان في القرآن ٨٨ مرة، منها ٦٨ مرة بلفظ: الشيطان، ومرتان بلفظ: شيطاناً، و١٧ مرة بلفظ الشياطين، ومرة بلفظ شياطينهم.

بداية قصة الشيطان:

الشيطان من الجنّ، والجن كانوا في الأرض قبل الإنس. وكانوا يُفسدون ويُسفكون الدماء. فبعث الله عليهم جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فأَسْرَتِ الملائكة إبليس، فأظهر الصلاح وصار يتعبد مع الملائكة.

فلما أمر الله الملائكة وإبليس بينهم بالسجود لآدم سجد الملائكة إلا إبليس استكبر وعصى وقال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].



فلعنّه الله تعالى وطرده من رحمته، فلم ينكسر إبليس ولم يتب ويستغفر عن خطئه، ويسأل ربه المغفرة والسماح، كلا وإنما حقد إبليس على آدم وذريته وبدأ يهدّد ويتوعد بإفساد الناس، وصرفهم عن عبادة الله، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعُدَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَنبَغِي لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٨].



فكاد إبليس لأدم حتى تسبب في إخراج
وزوجه حواء من الجنة، وبالتالي إخراج
ذرية آدم من الجنة، ولا يزال يفسد ويضل
من استطاع.

عداوتنا للشيطان؛

ولهذا أوجب الله تعالى علينا معاداته، ومخالفته، وحذرنا من طاعته واتباع
خطواته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الحكمة من خلق الشيطان؛

الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى، وقد بين الله تعالى الطريقين
للناس، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۖ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۖ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۖ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وقد توعد إبليس الناس وجعل همه إضلالهم، فقال إبليس لربه: ﴿قَالَ
أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾
[الإسراء: ٦٢].

فكان الشيطان قال: إن هذا الإنسان الذي أكرمته وأمرتنا بالسجود له، سوف
يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، اتركني يا رب أوسوس له وسأثبت ذلك.

وكان من الممكن أن لا يقبل الله طلبه، بل يلقيه في النار فوراً، لكن حكمة الله اقتضت أن يتركه امتحاناً واختباراً لإيمان الناس، فأعطى إبليس فرصة المحاولة وأمهله، كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

رحمة الله بالعباد:

من كرم الله أن رحمته واسعة، وهو غفور رحيم، يحب التوابين والأوابين، فلو وسوس الشيطان للمرء مائة مرة، فحسنته واحدة تمحو كل ما فعل، ولا يعذب الله أحداً إلا بعد الإنذار إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأنعام: ١٥].



خطوات الشيطان:

الشيطان يتدرج مع عباد الله لإضلالهم، فيجرهم من معصية إلى أكبر منها، حتى ربما أوصل بعضهم للشرك، وهي خطوات نهايتها النار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وأي بيان أوضح من كلام ربنا، ومع ذلك لا يزال أقوام يركضون خلف الشيطان ويطيعونه..!!

عَرَّشَ إبليس !!

أخبرنا النبي ﷺ أن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه من أصحابه الشياطين لإضلال الناس وإحداث المشاكل بينهم، فهو يدير أعوانه ويكون له مقر قيادة. فأدناهم منه منزلاً أعظمهم فتنة، ويكافئ أصحاب الإنجازات!!

يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً.
ثم يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً.
ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. فيُدنيه منه ويقول: نعم أنت^(١).

فيعلم المرء أن كل خصومة وخلاف وغضب، أصله من الشيطان، فيستعين بالله من شره، ويحذر من كيده.



(١) رواه مسلم.

حزب الشيطان:

أتباع الشيطان وحزبه مصيرهم إلى النار، وقد قال تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦). وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩).

إبليس مخلوق من نار فكيف يتعذب في النار؟

إشكال



أصل خلق الشيطان من النار، لكنه الآن ليس ناراً، كما أن الإنسان أصل خلقه من الطين لكنه الآن ليس طيناً، ويُمكن أن يعذب الإنسان في الطين، فلو غرق الإنسان في طين لاختنق ومات، ولو ضرب الإنسان بالطين لتألم، وربما ضرب بطين يابس فمات^(١).

كذلك الشيطان أصل خلقه من النار، ويُعذب يوم القيامة في النار، لأنه الآن ليس ناراً، بل له جسم، وفي فمه عُقاب. فقد كان النبي ﷺ يُصلي فأتاه الشيطان ليؤذيه فقال ﷺ: أعوذ بالله منك ثم قال: أَلَعُنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ ثَلَاثًا. وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة، قال الصحابة: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك! ورأيناك بسطت يدك! فقال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليَجعله في وجهي! فقلت: أعوذ بالله منك.. أعوذ بالله منك.. أعوذ بالله منك.. ثم قلت: أَلَعُنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَةِ.. أَلَعُنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَةِ.. فلم يستأخر. فأخذه النبي ﷺ بيده فَخَنَقَهُ قَالَ ﷺ: حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولو لا

(١) كما أن الزجاج مثلاً مصنوع من تراب، لكنه بعدما يصنع ويكتمل لا يكون تراباً، بل يتحول شيئاً آخر تماماً، بل لو ضربت الزجاج بالتراب أو خلطته بالتراب لتضرر مع أنه مصنوع من التراب أصلاً.

دعوة أخي سليمان عليه السلام: «لأصبح مُوثَقاً حتى يراه الناس»^(١).
 فتبين من هذا أن الجن والشياطين الآن ليسوا نارا؛ ولو كانوا
 نارا لما وجد النبي ﷺ برد لسان الشيطان على يده، وكذلك لو
 كان نارا فكيف يربطه النبي ﷺ في سارية المسجد ليراه الناس!
 وقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»^(٢).
 ولو كان الشيطان الآن نارا لاحترق الإنسان؛ لأن الشيطان داخله.

خطبة الشيطان:

إذا قُضي الأمر، وانتهت الدنيا، ونُصب الميزان، وتناثرت الصحف، وتناول
 أصحاب اليمين صحائفهم، وتناول أصحاب الشمال صحائفهم، وجاء ربنا
 لفصل القضاء، وجُوزي كل امرئ بما كان في صحيفته وصارت كل نفس
 بما كسبت رهينة، وصُرف أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، هنا
 يقوم الشيطان ويخطب خطبة ما بعدها خطبة لأهل النار، فماذا يقول؟

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
 وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا
 تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

نعم.. يقول لأتباعه: ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ !!
 عجباً!! إذن مَنْ يُلومون؟



من الذي دعاهم إلى الفحشاء، وأغراهم
 بسفك الدماء. من الذي زين لهم الحرام، ورغبهم
 في الآثام؟ يجيء الجواب: ﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

(١) رواه مسلم، والنسائي في «السنن الكبرى» وابن جبان. وقد سُقت هنا الحديث مجموعاً من عدة روايات.

(٢) متفق عليه.

ثم يأتي المشهد الأخير في هذه الخطبة الخاسرة.. المشهد الذي يزيد أهل النار حسرة وأماً.. المشهد الذي تظهر فيه حقيقة الشيطان.. مشهد التبرؤ من أتباعه..

يقول الشيطان لهم: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي: كفرت بطاعتكم لي.. ولن ينفعكم اليوم إلا أعمالكم الصالحة..

ثم يخبرهم بالنتيجة قائلاً: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهكذا تنتهي الخطبة.. فهذا حال رأس الكافرين، وقائد المجرمين..

خيانة..

ليس للإبليس وفاء لأتباعه..

فهو يلعنهم ويتبرأ منهم..

الجنة

الأمنية الغالية التي يسعى إليها الساعون.. ويتسابق إليها المؤمنون.. هي عشيقة قلوب العاشقين، وتسهر ليل المتعبدين، استعذبوا من أجلها العذاب، وتحملوا جليل المصاب.. هي دار المتقين والشهداء والصالحين. هي نور يتلأأ.. وريحانة تهتز.. وفاكهة وخضرة.. فيها العباد المنعمون.. الذين يأكلون ولا يتغوطون، ويشربون ولا يبولون، ويتطيئون ولا يمتخطون. يضحكون ولا يبكون، ويقىمون ولا يرتحلون، ويحيون ولا يموتون. فيها الوجوه مسفرة، ضاحكة مُستبشرة.

- فما الجنة؟
- وما وصفها؟
- ومن أهلها؟
- وما السبيل إليها؟

٤٤١	أَسْمَاءُ الْجَنَّةِ
٤٤٣	النَّشْوِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ
٤٤٦	مَنْ طُرِقَ الْجَنَّةُ
٤٤٩	أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
٤٥٤	آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
٤٥٧	سَادَةُ رِجَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٤٦٠	سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٤٦٤	صِفَةُ دُخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ
٤٦٩	فِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ
٤٧٢	حَزَنَةُ الْجَنَّةِ
٤٧٤	بِنَاءُ الْجَنَّةِ وَتَرَابِهَا
٤٧٦	عُرْفُ الْجَنَّةِ وَخِيَامُهَا
٤٨١	رَائِحَةُ الْجَنَّةِ
٤٨٦	فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ وَثَمَارِهَا
٤٨٨	أَكَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ
٤٩٣	شَرَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٤٩٧	أَنْهَارُ الْجَنَّةِ
٥٠٦	آنِيَةُ الْجَنَّةِ
٥٠٩	لِبَاسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَحُلِيِّهِمْ
٥١٢	أَطْفَالُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ
٥١٥	أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٥١٨	كَمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّةٍ الْإِسْلَامَ؟
٥٢١	خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٥٢٣	النِّسَاءُ فِي الْجَنَّةِ
٥٢٩	زَوْجَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!
٥٣٢	سُوقُ الْجَنَّةِ
٥٣٥	إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ!
٥٣٧	رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ جَلَّ وَعَلَا
٥٤١	أَمَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ
٥٤٣	ذَبْحُ الْمَوْتِ!!

أَسْمَاءُ الْجَنَّةِ



هي دار السلام.. سلّمت من كل بليّة وآفة.
وهي دار الخُلد.. لا يموتون فيها ولا يَشِخُون..
وهي دار المُقامّة.. لا ينتقلون منها ولا يملُّون.
وهي جنة المأوى.. أوى إليها المؤمنون بعد
دار النكد والبلاء.

وهي جنات عَدْن.. وهي دار الحَيَوان.. وهي الفِرْدَوْس.. وهي جنات النعيم..
والمقام الأمين.. ومقعد صدق عند مليك مقتدر..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِيْ مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكَ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقال ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومِصْدَاقُ ذَلِكَ فِيْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١).

- فما أسماء الجنة؟
- ومن أول من يدخل الجنة؟ وصفاتهم؟
- ومن آخر من يدخل الجنة؟
- ومن أدنى أهل الجنة منزلة؟ وأعلاهم؟
- وما سوق الجنة؟
- وزيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى.. وخلود أهل الجنة فيها..

(١) متفق عليه.

مدخل :

من دخل الجنة نسي الدنيا بما فيها.. قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يشاققون إلى الجنة، ويفكرون في حالهم فيها إذا دخلوها.. فلقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هل في الجنة من خَيْل؟ قال ﷺ: إِنْ اللَّهُ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ، مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءٍ، يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ، إِلَّا فَعَلْتُ. وَسَأَلَهُ ﷺ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِصَاحِبِهِ، بَلْ قَالَ ﷺ: إِنْ يُدْخِلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»^(٢).

وفي يوم آخر: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: «يا رسول الله، إني أُحِبُّ الْخَيْلَ، أَيْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ أَدْخَلْتَ الْجَنَّةَ أَتَيْتَ بِفَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ لَهُ جَنَاحَانِ فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَارَ بِكَ حَيْثُ شِئْتَ»^(٣).

دعاء..

اللهم إنا نسألك الجنة...
ونعزذ بك من النار...

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، حسن.

(٣) رواه الترمذي، حسن لغيره.

التشويق إلى الجنة

كلما اشتاقت النفس إلى شيء حرصت على الاجتهاد لتحصيله، ولقد وصف الله تعالى الجنة، وزينها لعباده، ودعاهم إليها، وحثهم عليها.



قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا هل مُشَمَّرٌ للجنة، فإن الجنة لا خطر لها هي، ورب الكعبة نور يتلأأ، وزينحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مُطَرَّد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحُلل كثيرة في مقام أبدا في حَبْرَة ونَضْرَة في دار عالية سليمة بهيئة.

قالوا: نحن المُشَمَّرُونَ لها يا رسول الله. قال: قولوا: إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحَضَّ عليه»^(١).

وبين النبي ﷺ أن ربنا جل وعلا أعد الجنة وزينها لعباده الصالحين، فقال ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»^(٢).

(١) رواه ابن جبان، حسن، ومعنى مشمر للجنة: ساع لها غاية السعي، طالب لها عن صدق ورغبة.

نهر مُطَرَّد: جارٍ يتبع بعضه بعضاً.

(٢) متفق عليه.

تَجَافَى جُنُوبَهُمْ:



بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَمِلُوا لَهَا
وَاجْتَهَدُوا لِتَحْصِيلِهَا، كَمَا قَالَ سَهْلُ بْنُ
سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

« شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُجْلِسًا
وَصَفَّ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى. ثُمَّ قَالَ ﷺ
فِي آخِرِ حَدِيثِهِ:

فِيهَا مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ
الْآيَةَ: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
(١) ﴿ ١٦ 〉 فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ^(١).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَقْلَ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ يَسَاوِي أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،
فَقَالَ ﷺ:

« لَوْ أَنَّ مَا يُقَلَّ ظُفْرٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَرَخَّرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ^(٢). وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَ، فَبَدَأَ أَسَاوِرَهُ، لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ
الشَّمْسَ كَمَا تَطْمَسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ ^(٣). »

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ:

وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ يُهَيِّئُهَا اللهُ تَعَالَى وَيُزَيِّنُهَا لِعِبَادِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، حسن صحيح، ومعنى: مَا يُقَلَّ ظُفْرٌ: أي ما يستطيع أن يحمله ظفر، أو مقدار ظفر، لو
ظهر هذا المقدار من الجنة لأهل الدنيا لتزينت به ما بين السماء والأرض.

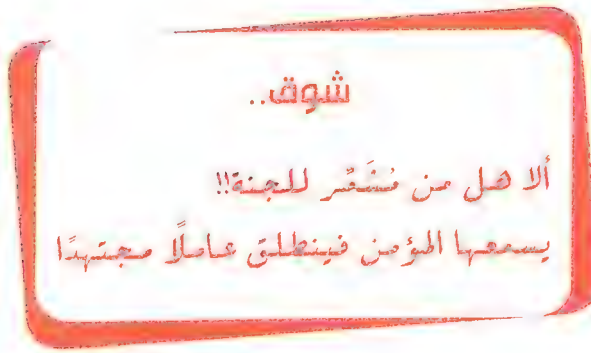
(٣) رواه أحمد والترمذي، أي لو أن رجلاً من أهل الجنة، بدت أساوره التي تزين يديه، لظهر من ضوء
وبريق هذه الأساور، ما ينطمس به ضوء الشمس وضوء النجوم.

« خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشقّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها. فقال: قد أفلح المؤمنون، قال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل »^(١).

وقال ﷺ: « قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولقّاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها »^(٢).

وعن ابن عباس، قال: « ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء »^(٣).

وهذا من نعيم الجنة ففيها من الطعام والفواكه مثل ما في الدنيا بأسمائها، ففيها مثلاً تين وعنب.. لكنها في الجنة أجمل مظهرًا، وأنعم ملمسًا، وألذ طعمًا، وأسهل تناولًا، وأحسن أكلاً.



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حسن.

(٢) رواه أحمد، صحيح لغيره، ومعنى قوله ﷺ « قيد سوط » أي قدر الموضع الذي يوضع فيه سوطه خير من الدنيا وما فيها، والسوط عصا من جلد تضرب بها الدواب عادة أثناء قيادتها، والقاب: هو من مقبض القوس إلى طرفه، ونصيف المرأة: هو ما تضعه على رأسها حجابًا به أو تزيّنًا.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، حسن.

من طُرُق الجنة

المتقون هم أهل الجنة، وهم الذين يحرصون على اتقاء المحرمات، وفعل الطاعات، والعبادة فيها نوع تكليف على العباد، فإذا كان الإيمان قويًا، غلب العبد شهوة نفسه، وعظم أوامر ربه، والتزم بالطاعات، واتقى المحرمات. وللجنة طرق وردت بها نصوص الكتاب والسنة..

- فما هذه الطرق؟
- وما أفضلها؟
- وكيف ندعو الناس إليها؟

مدخل:

قال ﷺ: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات»^(١)، والمؤمن يغالب هوى نفسه، ويُقدِّم مراد ربه على مراد قلبه، وقد ذكر النبي ﷺ طرقًا كثيرة للوصول إلى الجنة، نقف هنا على بعضها، فمن ذلك:

١ - الجهاد في سبيل الله:



الجهاد ذروة سنام الإسلام، وسُنَّةُ الرسل الكرام، ومن مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق، وقد قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) رواه مسلم.

ووعده الله المجاهدين بالجنة، فقال ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي. وإيماناً بي، وتصديقاً برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أُرْجعه إلى مَنْسَكِهِ الذي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. والذي نفس محمد بيده ما من كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشْقُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. والذي نفس محمد بيده لَوُدِدْتُ أَنِّي أَغْزَوُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأَقْتُلَ»^(١).

٢- الصبر على المصائب، والرضا بقضاء الله:



وهذا من رحمة الله تعالى بالخلق، أنه إذا ابتلاهم جعل هذا البلاء طريقاً لهم إلى الجنة، كما قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن في جسده وماله، حتى يلقي الله تعالى، وما عليه خَطِيئَةٌ»^(٢).

فمن صبر على مصيبة المرض، والفقر، وموت الأولاد، والسجن، وغيرها من مصائب الدنيا.. فهي تكفر السيئات وتضاعف الحسنات..

(١) رواه مسلم، ومعنى كَلِمٍ يُكَلِّمُ: الكلام؛ الجرح، والمعنى أنه يلقي الله يوم القيامة، وجرحه يسيل دمًا، فلو أنه لَوْنُ الدَّمِ، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ الطَّيِّبِ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي عبادة شاقّة على النفس، وربما وقع للقائم بها أذى، لذا قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

٤- وغير ذلك من تكاليف الإسلام:

المتأمل يجد أن عددًا من التكاليف الشرعية، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، يجد في بعضها مشقّة على العبد وتكليف، لكنه مأجور عليه، وكلما زاد الإيمان خفت وطأة التكاليف الشرعية على العبد.

فالصلاة أثقل شيء على النفوس الضعيفة كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

والزكاة ثقيلة على البخلاء.. والحج ثقيل على المتكاسلين.. فكلما كان العبد مُتَحَمِّلًا للعبادة، سباقًا إليها، مُحَرِّصًا لغيره عليها، كان أسرع إلى الجنان ورضا الرحمن، وكلما كان أكثر تكاسلاً وتفريطاً، وتقاعساً وقعوداً، كان أبعد عن الرضوان، وأقرب للعقوبة والخسران.

وعموم الأعمال الصالحة هي طريق إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٧٢].

رحمة..

نوع ربنا عز وجل طرق الجنة
ليسهل العمل لها ..

أول من يدخلون الجنة

أهل الجنة أهل شرف وكرامة، ومن دخل الجنة ونال رضا الرحمن جل وعلا، فقد أفلح ونجح، وكلما سبق العبد إلى الجنة كان أعز له وأفضل.

- فمن أول الناس دخولاً الجنة؟
- ومن أول الأمم دخولاً إليها؟
- وأيهم أسبق إليها الفقراء أم الأغنياء؟

مدخل:

السِّبَاق إلى الجنة هو سبيل المؤمنين، وغاية الموحِّدين، وهم أولى الخلق بها، والمقدِّمون عليها.



أول البشر دخولاً الجنة رسولنا محمد ﷺ.. ولا شك أن سبق نبينا محمد ﷺ غيره في دخول الجنة يدل على كرامة وتشريفٍ من الله تعالى له، فهو أول من يُفتح له باب الجنة، كما قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يَفْرَع باب الجنة»^(١).

وقال ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أول الأمم دخول الجنة أمتنا ..

وذلك أن أمتنا هي خاتمة الأمم، وهي أكثر أهل الجنة، وهي الشاهدة على الأمم يوم القيامة، بل أمتنا هي التي تشهد للأنبياء يوم القيامة أنهم بلغوا دين الله لأقوامهم. قال ﷺ: « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة »^(١).



أول داخلي الجنة من أمتنا أبو بكر رضي الله عنه :

وذلك لشرف أبي بكر رضي الله عنه، وإمامته، ونصرته للدين، وبذله روحه وماله وحياته لله، ومحبة النبي ﷺ له، وكثرة ثنائه عليه، وهو صاحبه إذ هما في الغار، ومجاوره في حياته وبعد مماته.

(١) رواه مسلم، والمعنى: نحن آخر الأمم وجودًا في الأرض، وآخر الأمم في التاريخ، ونحن الأولون السابقون يوم القيامة.

قال ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبوبكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه. فقال رسول الله ﷺ: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»^(١).

وفقراء المهاجرين أسبق الناس للجنة:

فأمة الإسلام هي أسبق الأمم خروجاً من الأرض بالبعث.. وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف.. وأسبقهم إلى ظل العرش.. وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم.. وأسبقهم إلى جواز الصراط.. وأسبقهم إلى دخول الجنة.. وأفضل هذه الأمة هم أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضلهم المهاجرون الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم وفارقوا أهلهم وبلادهم لأجل نضرة الدين، وعبادة رب العالمين.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٥١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿التوبة: ٢٠ - ٢٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (٥٨) لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا رِضْوَانَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ [الحج: ٥٨ - ٥٩].

وقال ﷺ: هل تدرون من أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين يُسَدُّ بهم الثغور، وتُنَقَّى بهم المكار، ويموت أحدهم، وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله لمن يشاء من ملائكته: ايتوهم، فحيوهم. فيقول الملائكة: ربنا نحن سكّان سماواتك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء، فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئاً، وتُسَدُّ بهم الثغور، وتُنَقَّى بهم المكار، ويموت أحدهم، وحاجته في صدره لا

(١) رواه أبو داود، حسن.

يستطيع لها قضاء. فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤) ^(١). فهؤلاء أوائل من يدخل الجنة..

صفات أول داخلي الجنة:

أخبرنا النبي ﷺ بصفة أول جماعة تدخل الجنة، لنفرح ونشتاق، ونطمئن عند الفراق، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

قال ﷺ: «أول زُمْرَةٍ تَلِجُ الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر. لا يَبْصُقُونَ فيها ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ. أنيتهم فيها الذهب. أمشاطهم من الذهب والفضة. ومجاميرهم الأَلُوءَةُ. ورَشْحهم الْمِسْك. ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مَخ سَوْقَهُمَا من وراء اللحم ^(٢)، من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا» ^(٣).

أهل الجنة يأكلون ويشربون، فكيف لا يتغوّطون؟

إشكال



الجواب: أن أغذية أهل الجنة في غاية النفع واللذة والاعتدال ليس فيها أذى ولا فضلات تُستقذر أو تحتاج إلى إخراج من الجسم كما في طعام الدنيا، بل يتولد عن طعام الجنة عرق يفيض من جلودهم بأطيب الريح وأحسنه.

(١) رواه ابن حبان، صحيح.

(٢) جاء في روايات أخرى أن هاتين الزوجتين من نساء الدنيا، وأنهما يكونان بأبهى صورة وجمال، حتى إنهما من شدة صفاء جلودهما ورقتهما يرى عظمهما من وراء جلدها.

(٣) متفق عليه، ومعنى قوله أول زُمْرَةٍ: أي أول جماعة، تَلِجُ الجنة: أي تدخل الجنة، قد وصفهم بأنهم سليمون من الآفات: فلا يبصقون أي لا يتفلون الريق من أفواههم، ولا يَمْتَخِطُونَ: أي لا يسيل من أنوفهم المخاط، ولا يتغوّطون: أي لا يحتاجون بعد الأكل والشرب أن يخرجوا الغائط - البراز - ومعنى الأَلُوءَةُ: العود الذي يتبخر به، المجامر: جمع مَجْمَر وهو الذي يوضع فيه النار للبخور، ورشحهم المسك: عرقهم مسك في طيب رائحته.

جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم،
ترعّم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال ﷺ: نعم، إن
أحدهم ليُعطَى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع.
قال: الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة
أذى؟ فقال ﷺ: تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من
جلودهم كرشح المسك^(١).

أول ثلاثة يدخلون الجنة:

أكرم الله تعالى أقواماً عملوا الصالحات فسبقوا أيضاً إلى الجنة، وهم
الشهيد في سبيل الله الذي بذل روحه لله تعالى، والعبد المملوك الذي عبد
ربه وقام بحق سيده على الوجه الأكمل، والرجل الفقير المتعفف عن سؤال
الناس، وله عيال ينفق عليهم مجتهداً محتسباً.

قال ﷺ: «عُرِضَ علي أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد. وعبد مملوك
أحسن عبادة ربه ونصح لسيده. وعفيف متعفف ذو عيال»^(٢).

إكرام..

لما كان نبينا ﷺ خير الأنبياء..
وخاتم الأصفياء.. استحق أن
يكون أول الداخلين إلى الجنة.

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه ابن جبان، حسن.

آخر من يدخل الجنة

أهل الجنة في دخولهم إليها يتفاوتون، فمنهم السابقون ومنهم اللاحقون.. وقد تقدم أن أول أهل الجنة دخولاً عليها هو نبينا محمد ﷺ..

- فمن آخرهم دخولاً إليها؟
- وما قصته؟

مدخل:

الجنة دار الحُبُور والسرور ينسى فيها المريض مرضه، والمصاب مصابه، والفقير فقره، والمقهور قهره، والسجين سجنه، والقبيح قبحه، والمظلوم ظلمه. ليس فيها همّ مال يُجمع، ولا منصب يُرفع، ولا مرض يزول، ولا سجن يطول، ولا بيت يُبنى، ولا عدو يُخشى. نعم ليس فيها حزن وكربات، بل فرحة ومسرّات. وإذا سمعت خبر أدنى أهل الجنة منزلة علمت أن ما خفي عنا كان أعظم.

قصة آخرهم دخولاً الجنة:

قال ﷺ: « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي أنجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. فُترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها فأشرب من مائها. فيقول له الله: يا ابن آدم، فلعلّي إذا أعطيتها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها. وربه ﷻ يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب هذه، فلا شرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه وَعَلَّ يصدره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها.

ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب! أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها، وأشرب من مائها. لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. قال: بلى أي رب هذه لا أسألك غيرها. فيقول: لعلني إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه. فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب ادخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يضريني منك^(١)! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب! أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟

ضحك ابن مسعود - راوي الحديث - فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ فقالوا: مما تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك ربي حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت. رب! فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله. فقال في الخامسة: رضيت. رب! فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله. ولك: ما اشتئت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت، رب!«^(٢).

(١) قوله: «ما يضريني منك» وفي رواية: «ما يضر بك مني» أي ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي وفي اللغة يقال ضريت الشيء إذا قطعتَه. وضريت الماء وضريته إذا جمعته وحبسته، والمصرة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُضري اللبن في ضرعها: أي يُجمع ويحبس.

(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: أن الله تعالى يقول له بعد ذلك: يا عبدي سل. فيقول: يا ربي أحققني بالناس، فيقول له الله تعالى: الحق بالناس. فينطلق يزمل في الجنة، حتى إذا دنى من الناس رفع له قصر من دُرّة فيخّر ساجداً!! فيقال له: ارفع رأسك! مالك؟! فيقول: رأيت ربي! أو تراءى لي ربي. فيقال له: ارفع رأسك إنما هو منزل من منازلك. ثم يلقي رجلاً فيتهياً للسجود له! فيقال له: مالك؟! فيقول: ارتأيت أنك ملك من الملائكة! فيقول له: إنما أنا خازن من خزائنك، وعبد من عبيدك. فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر فإذا هو دُرّة مُجوّفة، سقائفها، وأبوابها، وأغلالها، ومفاتيحها منها. هذا أدنى أهل الجنة منزلة»^(١).

أعلاهم منزلة:

أكمل النبي ﷺ حديثه حول أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة، فقال ﷺ: «أما أعلاهم منزلة فهم الذين غرس الله كرامتهم بيده، وختم عليها. فلم تر عين. ولم تسمع أذن. ولم يخطر على قلب بشر»^(٢).

وقال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه، وسُرّره، ألف سنة يرى أقصاد كما يرى أدناه، وأرفعهم ينظر إلى ربه بالعداة والعشي»^(٣).

رحمة..

رحمة ربنا تسبق عقوبته.. وملكه يغلب غضبه..
وباب التوبة مفتوح.. فلا عذر للعصاة والمذنبين..

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الحديث: رواه الترمذي والطبراني، قوله: سُرّره: جمع سرير، وهو ما يجلس أو يضطجع عليه، أرفعهم: أي أعلاهم منزلة، وأفضلهم مقاماً، هو الذي ينظر إلى وجه الله تعالى في الغداة والعشي، أي في أول اليوم وآخره.

سادة رجال أهل الجنة

مع تفاوت أهل الجنة في منازلهم، ومراتب جناتهم، ومقدار نعيمهم، إلا أنهم يتفاوتون أيضاً في قدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى..

- فما أعلاهم منزلة؟
- ومن سادة كُهل أهل الجنة؟
- ومن سادة الشباب؟

مدخل :

أعلى أهل الجنة منزلة هم الأنبياء والمرسلون، فهم صفوة الخلق، والناطقون بالحق، والمبلغون بالصدق، وهم السادة الأتقياء، والصالحون الأولياء، أما:

سيد كُهل أهل الجنة:



هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، صاحبا رسول الله ﷺ في حياته، ومجاوراه في قبره بعد وفاته.

قال ﷺ: « أبو بكر وعمر سيدا كُهل أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين »^(١).

(١) رواه ابن جبان، صحيح لغيره.

كيف يكون أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة، والجنة يدخلها الناس شباباً أبناء ثلاث وثلاثين؟

إشكال



الجواب: أن معنى قوله ﷺ «كُهُول» هي جمع كَهْل، والكهل من الرجال يُطلق على من سنه بين الثلاثين والأربعين، أبو بكر وعمر سيّدا من مات كهلاً من المسلمين فدخل الجنة، أما من مات وهو شاب، فإن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - هما سيّدا شباب أهل الجنة.

ورأى النبي ﷺ قصر عمر رضي الله عنه في الجنة، وما أحسن أن يُبنى القصر، وحوله الأنهار، والأشجار، ينتظر ساكنه، وعمر رضي الله عنهما لأن ينال هذه البشارة وهو في الدنيا، لصدقه وجهاده، وعبادته وزهده. قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا فقالوا لرجل من قريش. فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من غيرتك. فقال عمر رضي الله عنه: وعليك أغار يا رسول الله؟»^(١).

سيّدا شباب أهل الجنة:

الحسن والحسين، ابنا علي وفاطمة، رضي الله عنهما، هما سيّدا شباب أهل الجنة، فهما سيّدا من مات شاباً من المسلمين، ممن يدخلون الجنة، وهما - رضي الله عنهما - أهل لهذا الشرف، فلهما من الكرامة في الإسلام، والبذل والجهاد، ما يستحق أن ينالا به هذا المرتبة العالية، كما قال ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

(١) رواه البخاري، والمعنى أن عمر رضي الله عنه كان من خلقه المشهور عنه أنه يغار ويغضب إذا رأى رجل إحدى نسائه، من زوجة أو بنت أو أخت، فيقول له ﷺ: هنا ملاطفاً: إني كدت أن أدخل قصرَك لأراه، فذكرت غيرتك يا عمر، فخشيت أن أرى زوجاتك في القصر فتغضب، فذهبت دون أن أدخل، فقال عمر رضي الله عنه: عليك أغار يا رسول الله!! يعني أنا لا أشك في عفتك وصيانتك وعَصْكَ بصرك يا رسول الله، فكيف أغار عليك؟

(٢) رواه الترمذي، صحيح.

العشرة المبشرون بالجنة:

نص الرسول ﷺ نصًا صريحًا على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة، لما لهم من سبق في الإسلام، وجهاد وتضحية، ولا يعني أن هؤلاء فقط من الصحابة في الجنة، كلا، بل جموع الصحابة الكرام لهم فضلهم، فقد قال ﷺ في أهل بدر وهم أكثر من ثلاثمائة صحابي: «ما يدريك لعل الله قد اصطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

وشهد النبي ﷺ أيضًا لألف وأربعمائة صحابي بايعوا في الحُدَيْبِيَّة تحت شجرة الرُّضْوَان على الجهاد في سبيل الله، فقال ﷺ: «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»^(٢).

لكن النبي ﷺ خص هؤلاء العشرة بالشهادة لهم، ليظهر فضلهم وشرفهم، فقال ﷺ: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير في الجنة، وطلحة في الجنة، وابن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عُبَيْدة بن الجراح في الجنة»^(٣).

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، ولهم القدر الأعلى، والقدر المُعْلَى.

شهادة..

لا يُشهد لأحد بالجنة إلا من
ثبت في الكتاب أو السنة أنه
من أهلها.

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ في مُصَنَّفِهِ، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البَزَّاز والترمذي، وفي سنده مقال.

(٣) صحيح ابن حِبَّان، صحيح.

سيدات نساء أهل الجنة:

جعل الله تعالى الجنة ثواباً للمؤمنين والمؤمنات، وكما أن في الرجال صوّامين في النهار.. بكّائين في الأسحار.. ففي النساء كذلك..



• فهل شهد النبي ﷺ لأحد من

النساء بالجنة؟

• ومن هن؟

مدخل:

كم من امرأة سابقت الرجال، في صالح الأقوال والأعمال، فسبقتهم في عبادتها لربها، ونُصرتها لدينها، وإنفاقها وعلمها، بل إنك إذا قلبت صفحات التاريخ، رأيت أن أعظم الفضائل إنما سبقت إليها النساء.

فأول من سكن الحرم، وشرب من ماء زمزم، وسعى بين الصفا والمروة، هي امرأة، هاجر أم إسماعيل، وأول من دخل في الإسلام، وناصر النبي عليه الصلاة والسلام، هي امرأة، خديجة أم المؤمنين ﷺ، وأول من عُذّب في مولاه، حتى قُتل في سبيل الله، هي امرأة، سُميَّة أم عمار بن ياسر.

وقد شهد النبي ﷺ لعدد من النساء بالجنة، ومن هؤلاء:

• **أم المؤمنين خديجة:**

وهي أم المؤمنين والمؤمنات، وقائدة الصالحات، وقدوة التّقيّات، كانت رأساً في العقل والحكمة والتّضحية.

قال ﷺ عنها: «بَشَرُوا خَدِيجَةَ ببيت في الجنة من قَصَبٍ^(١) لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ^(٢)»^(٣).

وقال أبو هريرة: «أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة أتتْكِ ببناء فيه طعام أو شراب، فإذا هي أتتْكِ فاقرأ عليها من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»^(٤).

• أم المؤمنين عائشة:

وهي الصديقة بنت الصديق ﷺ ورضي عنها، حبيبة زوجها رسول الله ﷺ، ورفيقة دُزبه، التي ذكر الله تعالى براءتها في القرآن، في عشر آيات من سورة النور.

قال ﷺ: «كَمُلُ من الرجال كثير، ولم يكْمُل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وَفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٥)، وقد كان طعام الثريد أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ لعائشة: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قلت: بلى والله. قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»^(٦).

• فاطمة:

ابنة رسول الله ﷺ، وحبيبة قلبه، وفلذة كبده، وثمرة فؤاده، زوجة ابن عم رسول الله ﷺ علي ﷺ، ووالدة الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة..

(١) القَصَبُ: لؤلؤ مُجَوَّف واسع كالقصر الواسع المُنِيف.

(٢) الصَخَبُ: هو الصَّيَاخ والجلبة وشدة الصوت واختلاطه، والنَّصَبُ: التعب والإغْياء.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه ابن حبان، صحيح.

قال ﷺ: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشّرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(١).

• مريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم:

وهما نساء صالحات من الأمم السابقة، أكرمهما الله تعالى بالإيمان، وطاعة الرحمن، والصبر على البلاء، وكثرة التعبد والدعاء.

أما مريم، فهي أم نبي الله عيسى ﷺ، ذكر الله في القرآن شأنها، وخلّد خبرها.

وآسية بنت مزاحم، زوجة فرعون، فصبرت على إيمانها، بالرغم من شدة عذابها، واختارت الجار قبل الدار، قالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ إِيمَرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ.

مع ما قصّ الله علينا من خبرها في القرآن، قالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى عن آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران عليهما السلام: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمِينَ﴾ [التحریم: ١١ - ١٢].

(١) سنن الترمذي، حسن.

(٢) المستدرک للحاکم، صحیح.

وهذا درس في ثبات المؤمنة على الحق، فهي وإن اضطرت لمخالطة الكافرين، أو كانت تحت سلطتهم، إلا أن إيمانها، وتقواها، تحميها من التأثير بهم، أو التنازل عن دينها إرضاء لهم.

فآسية امرأة فرعون كانت مؤمنة مخلصه لله، وكان فرعون طاغية جباراً، فما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلم الناس أن الله حكيم عادل، لا يؤاخذ أحداً بذنوب غيره. وقد سألت امرأة فرعون ربها أن يجعلها قريبة من رحمته، وأن يبيّن لها عنده بيتاً في الجنة، وأن ينقذها من فرعون وأعماله الخبيثة، وأن ينجيها من قومه الظالمين، فاستجاب الله تعالى دعائها، ولبّى نداءها.

وضرب الله مثلاً آخر للذين آمنوا:

ومريم ابنة عمران، التي أخصنت فرجها، وآتقت ربها، فأكرمها الله تعالى وأكرم ابنها عيسى عليه السلام.

فحريّ اليوم بأخواتنا وبناتنا وجميع نساءنا أن يقتدين بأمثال هؤلاء النساء.

نساء خالداً..

الجنة للرجال والنساء.
وكم من مؤمنة سبقت
الرجال فسبقهم.

صفة دخول أهل الجنة الجنة

الجنة هي المثوى الأخير، والمستقر الكبير، وهي السعادة التي ليس بعدها شقاء، والراحة التي لا يتبعها عناء، يدخلها أهلها فرحين مستبشرين، قد ألقوا خلفهم الهموم، ونسوا المشاكل والغموم.



- فكيف يُساقون إليها؟
- وما قدر جمالهم؟ وأطوالهم؟
- وما حجم أبوابها؟
- وهل يتزاحمون؟

مداخل:

وصف الله تعالى دخول أهل الجنة إلى الجنة، فقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [النزمر: ٧٣].

فهم يقبلون عليها زُمَرًا أي جماعات، تملأ البهجة نفوسهم، وتعلوا الفرحة وجوههم

اتساع أبوابها:

كثرة الداخلين إلى الجنة، وفرحتهم بالدخول إليها، تقتضي أن تكون الأبواب واسعة كبيرة، حتى يدخلوا كلهم بلا تَزاحم.

وقد بين النبي ﷺ اتساع أبواب الجنة، فقال: ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة سبعين سنة، وإن في الجنة بحر الماء، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر العسل، ثم تشقق منه بعد الأنهار»^(١).



وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن ما بين المضراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى»^(٢).

فبين أن ما بين طريقي الباب من أبواب الجنة، مسافة كبيرة كما المسافة بين مكة وهجر، أو ما بين مكة وبُصرى.^(٣)

واتساع أبواب الجنة يدل على كثرة الداخلين فيها.

صفة دخولهم من الباب:

أهل الجنة على قلب رجل واحد، وعقيدة واحدة، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، فيدخلون الجنة مُتماسكي الأيدي، مُتقاربي الأجساد.

كما قال ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمئة ألف - شك في أحدهما - متماسكين، أخذ بعضهم ببعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم

(١) الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم، صحيح، قوله «مصراعين» جمع مضراع، وهو الباب، وسعة ما بين البابين كبيرة جداً، بحيث لو مشى رجل من أحد البابين متوجّهاً إلى الآخر لمرّت عليه سبعون سنة قبل أن يبلغ الباب الآخر.

(٢) صحيح ابن جبان، صحيح، ورواه البخاري ومسلم مطوّلاً.

(٣) مكة: هي قبلة المسلمين، معروفة، هجر: تسمى اليوم الإخساء، وهي مدينة في شرق المملكة العربية السعودية، تبعد عن مكة ١٢٠ كم براً بالسيارة، بُصرى: مدينة في الشام.

الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر»^(١). فهم يدخلون صفًا واحدًا، أي يدخل الجميع دفعة واحدة.

أبواب الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْحَاحَةٌ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ﴾ (نص: ٥٠). نعم هي جنة مُفْتَحَةٌ أبوابها إكراما لهم ليدخلوها آمنين.

للجنة ثمانية أبواب:

أبواب الجنة مع اتساعها، وجمالها، وسهولة العبور من خلالها، هي أيضًا أبواب متعددة.

قال ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الرِّيَّان لا يدخله إلا الصائمون»^(٢).

وقال ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله»^(٣) نُودِيَ من أبواب الجنة يا عبد الله، هذا خير^(٤)، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة. ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد. ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرِّيَّان^(٥). ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة. فقال أبو بكر:

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) في سبيل الله: أي أنفق في جميع وجوه الخير، وقوله: زوجين وعن الحسن، قال: قال صُغَصَّةُ بن معاوية عَمَ الْأَخْضَفِ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّيْذَةِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا مَالُكَ؟ قَالَ: مَالِي عَمَلِي، فَقُلْتُ: حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتَدَرَتْهُ حَزْنَةُ الْجَنَّةِ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَوْجَانِ؟ قَالَ: فَرَسَانِ مِنْ خَيْلِهِ، بُعِيرَانِ مِنْ إِبِلِهِ، عَبْدَانِ مِنْ رَقِيقِهِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: الْعَرَبُ فِي لُغَتِهَا تَسْمِي الْفَرْدَيْنِ الْمُتَلَازِمَيْنِ زَوْجَيْنِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [النار: ٤٩]. رواه ابن حبان.

(٤) المعنى: أقبل من هذا الباب خير لك، في الثواب.

(٥) باب الرِّيَّان مُسْتَقٌّ مِنَ الرَّيِّ وَالْإِرْتَوَاءِ، لِأَنَّ الصَّائِمَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ يَعْطَشُ، فَيُبَشِّرُهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ بَابِ الْإِرْتَوَاءِ.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة^(١)،
فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم. وأرجو أن تكون منهم^(٢).

من كان جمع بين عدة عبادات صلاة وصوم وصدقة
وجهاد.. فمن أي الأبواب يدعى؟

إشكال



الجواب: إذا غلب عليه عمل معين، وأكثر منه، سواء كان
صلاة أو صومًا أو غيرها، دُعي من بابه.

سَنَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمْ:

يدخل أهل الجنة إلى الجنة وهم في أحسن وأنسب الأعمار، أبناء ثلاث
وثلاثين، في قوة الشباب، وتمام الاستمتاع. قال ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ
جُرُزًا، مُرْدًا، مُكْحَلِينَ. أَبْنَاءُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(٣).

سبحان من زينهم!!

فأهل الجنة جُرُز: وهو جمع أَجْرَد وهو صالٍ في البشرة الذي نُزِعَ عنه الشعر.
وهم مُرْد: وهو جمع أَمْرَد، والمَرْد نقاء الخدَّين من الشعر، وجمال الخدين
وصفاؤهما.

ويدخلون الجنة مكحَلين: والكُحْل معروف، وهو لون أسود يوضع في
أسفل العين لتزيينها.

(١) ضرورة: أي لا ضرر أن يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، لاتساعها، وعدم خوف التزاحم، فهل يمكن أن

يعمل الإنسان جميع الأعمال الصالحة ليدعى من تلك الأبواب كلها؟

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي، حسن.

شباب لا يهرمون:

أهل الجنة شباب لا يهرمون. قال ﷺ: «أهل الجنة جُرد مُرد كُحل لا يَفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم»^(١).

فلا يخافون هرمًا أو شيخوخة تلحق بهم، في أشكالهم، ولا أجسادهم، ولا حُسنهم وجمالهم، وهم أيضًا لا تبلى ثيابهم، بل تبقى نضرة حسنة جميلة، لا تَقْدَم ولا تتغير.

طولهم:

أجسام أهل الجنة مكتملة طولًا وعرضًا، في غاية الجمال: قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا، مُردًا، بيضًا، جعادًا، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خَلْق آدم، طولُه ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع»^(٢).

فعيونهم مكحلة، وأبشارهم صافية، وألوانهم بيض، وشعورهم جعاد: وهو جمع جَعَد وهو الشعر ما بين الخشن والناعم، فهو جَعَد في نعومة.

وأعمارهم ثلاث وثلاثون سنة، وطول أحدهم ستون ذراعًا، وعرضه سبعة أذرع، وقد جعلهم الله تعالى في صورة أكبر مما كانوا عليه في الدنيا، لتكتمل مُتَعَمُّهم أكثر، ويكون تلذذهم أكبر.

جمال..

ما يزيد نعيم أهل الجنة:
من ضررهم.. وجمال أجسادهم..

(١) رواه الترمذي، حسن.

(٢) رواه ابن أبي شيبة، حسن، والذراع قياس يستعمل قديمًا، وهو من مرفق اليد إلى نهاية الأصابع، ويقدر في متوسطه بخمسة وأربعين سنتيمتر.

في درجات الجنة

الجنة درجات متفاوتة، ينزلها الناس بحسب تفاوت أعمالهم، فكما أن المؤمنين في الدنيا يتفاوتون في حرصهم على الطاعات، وإقبالهم إلى الخيرات.

كذلك هم في الآخرة درجات بحسب أعمالهم

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥].

وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَأَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].



- فما هي درجات الجنة؟
- وما المسافة بينها؟
- وكيف يرتفع المرء في الدرجات؟

مدخل :

فالجنة درجات متفاضلة، ومراتب متفاوتة في العلو والرفعة، والنعيم والمتعة، والمؤمنون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

كما قال ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُرِّيَّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب^(١)، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(٢).

(١) الغابر: أي النجم العالي الذاهب السائر بعيداً في السماء، في جهة المشرق أو المغرب، والمعنى أن درجات الجنة تتفاوت تفاوتاً كبيراً في علو بعضها على بعض.

(٢) رواه البخاري.

في الجنة مائة درجة:

أخبر النبي ﷺ أن درجات الجنة مائة درجة، بينها تفاوت عظيم. قال ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها. فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشّر الناس؟ فقال: إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة»^(١).

كيف يكون الفردوس هو أوسط الجنة وهو أعلاها أيضاً؟

إشكال



الجواب: الفردوس «أوسط الجنة» أي: في وسط الجنان، فالجنة تحيط به، وهو أعلى الجنة لأنه مرتفع على ما حوله، وارتفاعه عظيم لأن سقفه عرش الرحمن جل جلاله.

هل الدرجات العالية خاصة للمجاهدين؟

مسألة



الجواب: ليس علو الدرجات وارتفاعها خاصاً بالمجاهدين فقط، بل لكل من أفلح وأنجح من المؤمنين، كما قال ﷺ: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي، حسن صحيح.

في الجنة جنان كثيرة؛

حارثة بن سُرَاقَة غلام من الأنصار.. له في ذلك حادثة عَجَب.. خرج مع المسلمين إلى معركة أُحُد، وقبل أن تبدأ المعركة، مضى ليشرب من البئر، فَرَمِي عليه سهم فأصابه في حَلْقِهِ، فمات.

فلما رجع النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، أقبلت إليه أم حارثة.. تَجَرَّ خُطاها.. قد كبر سِنها.. ورقَّ عظمها.. وعَظُم همُّها.. وكاد أن ينفطر من الحزن قلبها..

فقالت: «يا رسول الله، أخبرني عن حارثة، فإن كان في الجنة صَبَرْتُ، وإلا فليَرَيَنَّ الله ما أصنع.. تعني أنها سوف تنوح وتبكي عليه وتندبه حزناً على فراقه.. وكانت النِّياحة على الميت لم تُحَرِّم بعد.. فقال لها ﷺ: وَيَخْ! أَهْبَلَتْ!؟ إنها جنان ثمان.. وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»^(١).

عدل..

المؤمنون يتفاوتون في
درجات الجنة بحسب أعمالهم..

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، والبيهقي في الشعب، صحيح.

خَزَنَةُ الْجَنَّةِ

الجنة مع عظمتها وحسنها، وكثرة أهلها، خلق الله تعالى لها خَزَنَةً، وخدم، والخَزَنَةُ: جمع خازن، كحَفَظَةٍ: جمع حافظ.



- فَمَنْ هَؤُلَاءِ الْخَزَنَةِ؟
- وهل هم ملائكة؟
- وكم عددهم؟
- وما وظائفهم؟

مدخل:

جعل الله تعالى خَزَنَةَ الْجَنَّةِ ملائكة كراماً، يستقبلون أهل الجنة عند دخولها، ويرحبون بهم، كما قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]

وقال ﷺ: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فاقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا افتح لأحد قبلك»^(١).

وهذا الحديث يثبت وجود خَزَنَةِ الْجَنَّةِ، ويثبت أيضاً فضل النبي ﷺ وكرامته عند الله تعالى، وأنه سيّد ولد آدم يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم.

أعدادهم:

أعداد الملائكة كبيرة جداً، ولا يحصيهم إلا الله تعالى، لكننا نؤمن أن للجنة خزنة، يقومون بوظائفهم في الجنة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وظائفهم:

لخزنة الجنة وظائف متعددة، فمنهم من يستقبلون المؤمنين عند دخولهم، ومنهم من يفتح الباب لأول داخل إلى الجنة وهو رسول الله ﷺ، ومنهم من يدخلون على أهل الجنة من كل باب.

إكرام..

الملائكة العظام..
تخدم المؤمنين الكرام..
إكراماً لهم..
ورفعة لمقدريهم..

بناء الجنة وترابها

أهل الجنة في نَعَم متنوعة.. بين أنهار جاريت.. وثمار يانعة.. وخيام من لؤلؤ.. وحجارة من فضة وذهب.. فطابت بيوتًا وطاب ساكنوها..

- فما هو بناء الجنة؟
- وما حجارتها المبنية بها؟

مداخل:

كان الصحابة الكرام يسألون النبي ﷺ عن الجنة فيجيبهم.. قال أبو هريرة: «قلنا: يا رسول الله، إنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبنا الدنيا، وشَمَمْنَا النساء والأولاد. فقال: لو تكونون على كل حال على الحال الذي أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة بِأَكْفَكُم، ولو أنكم في بيوتكم. ولو لم تُذنبُوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم»^(١). ثم سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن بناء الجنة:

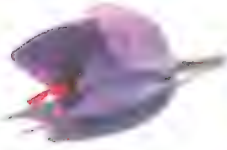
بناء الجنة:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: بُنِيَتْ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فَضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَخَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ أَوْ الْيَاقُوتُ، وَتَرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مِنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ، فَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ...»^(٢).

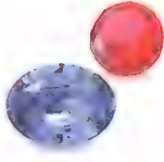
(١) صحيح ابن حبان (ج ١٦) ص (٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره.

(٢) صحيح ابن حبان (ج ١٦) ص (٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره.

زعفران



ياقوت



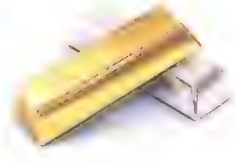
لؤلؤ



مسك



ذهب وفضة



هذه صورة لما نراه في الدنيا، والافى الجنة أعظم وأكمل ..

فحجارة الجنة المبنية بها القصور من ذهب وفضة، وملاطها وهو الطين الذي يُطلى به الحائط، هو المسك: أي طينها المسك، وترابها من الزعفران فإذا عُجن بالماء الطيب صار مسكاً.^(١)

وحضباؤها: أي الحصى الذي فوق أرضها اللؤلؤ.

وقال ﷺ: « إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة »^(٢).

اللبنة: واحدة اللبن وهي التي يُبنى بها الجدار، واليوم يستعمل الناس الحجارة بدل اللبن الذي هو من طين.

نعيم ..

بناء الجنة من الذهب والفضة
واللؤلؤ والياقوت والمرجان ..
زيادة في نعيم أبصارهم ..

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم: ص ١٢٨

(٢) البعث والنشور للبيهقي (٢٤٦) صحيح.

غُرَفُ الْجَنَّةِ وَخِيَامُهَا

في الجنة غُرَفٌ وقصور عظيمة.. كما قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر: ٢٠).

• فما أشكال هذه الغرف؟

• ومن سُكَّانها؟

• وأين تُنصب الخيام؟

مدخل:

المتقون لا يضيع الله تعالى عملهم، فلهم دُورٌ عاليةٌ وغُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيةٌ ببناء يليق بالجنة.. تجري الأنهار من تحتها. قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (سبا: ٣٧).



نعم.. ليس المال ولا الولد هو الذي يقرب العبد إلى ربه، إلا إذا تحول هذا المال والولد إلى عمل صالح، فبنى بالمال مسجداً، وورث مصحفاً، وكفل يتيماً.. والولد أنشأه على حفظ القرآن، وصيره نافعا للأمة. عندها يكون المال والولد مقرباً إلى الله تعالى.



بل يضاعف الثواب لأمثال هؤلاء. فيجزى أحدهم بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، ويدخله الجنة، ويجعل مسكنه في غرفاتها العالية، وهو آمن من كل خوف.

صفات سكان غرف الجنة:

غرف الجنة العالية، لها سكان، وصف النبي ﷺ أعمالهم، فقال ﷺ:

« إن في الجنة عُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن: أطعم الطعام. وأفشى السلام. وصلى بالليل والناس نيام.»^(١)

فالله تعالى أعدّ في الجنة عُرفًا شفافًا لا تحجب ما خلفها وهيأها لمن حسن خلقه وتلطّف في كلامه مع الناس وألأن لهم الكلام، ومن لين الكلام مع الآخرين: التّرفّق بالناس، والتغافل عن زلّاتهم، ودفع السيئة بالحسنة.

وكذلك من أطعم الطعام، بالكرم التام للخاص والعام، للفقراء والأضياف.

وزاد على ذلك أن كان عابدًا قانتًا في الليل يناجي ربه والناس نيام، وهذا دليل إخلاصهم في عباداتهم لله تعالى وصدق محبتهم له.

(١) صحيح ابن جِبّان (ج ٢) (ص ٢٦٢) (٥٠٩) صحيح.

كيف يعرف أهل الجنة منازلهم؟

مسألة



الجواب: أهل الجنة يعرفون عُرفهم ومساكنهم حين دخولهم الجنة وإن لم يروها قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٤) سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿[محمد: ٤-٦]﴾. أي أن الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُبطل الله ثوابهم أو يضيع أعمالهم، بل سوف يوفقهم في حياتهم الدنيا إلى طاعته ومَرْضاته، ويُصلح حالهم في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة، عَرَفَهُمْ بها ووصفها لهم، ثم عَرَفَهُمْ منازلهم في الجنة إذا دخلوها. (١)

وقال ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. مِثْلَ ظِلِّهِمْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هَدَّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحَدَهُمْ آهَدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» (٢).

خيام الجنة:

إذا تنوعت المساكن، كان أنعم للساكن.. فمن بيوت من ذهب.. وقصور من فضة.. إلى خيام منصوبة في كل مكان.. فإن شئت نزلت بها على نهر العسل.. أو نصبتها عند نهر الخمر.. معك أهلك وأحبائك..

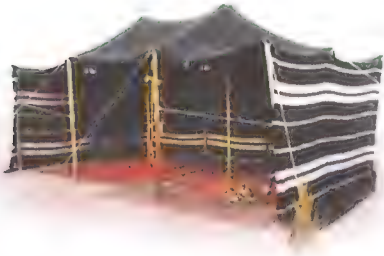
(١) قال الإمام المفسر مُجاهد، في قوله ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا. ذكره الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن.

وقال القرطبي: «قال أكثر أهل التفسير: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم». التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

(٢) رواه البخاري، وقد تقدم بيان معنى هذا الحديث، عند كلامنا عن الشفاعة وأنواعها.

وهذه الخيام غير العُرف.. قال ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بَعْضُهُمْ بَعْضاً»^(١).

وقال ﷺ: «إن الخيمة دُرَّة، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن، لا يراهم غيرهم»^(٢).



والخيمة هي بيت مربع من بيوت الأعراب، يُبنى عادة في الدنيا من القماش ونحوه، وقد ذكر الله تعالى الخيام فقال: ﴿حُرِّمَ مَقْصُورَاتُ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢).

لكن خيام الجنة تختلف، فلكل مؤمن خيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفَةٌ أي مثقوبة ومُفَرَّغَةٌ من الداخل، حتى أصبحت مثل الخيمة يدخل تحتها الناس، وهي لؤلؤة عظيمة الحجم، شاهقة الارتفاع، فطولها ستون ميلاً في السماء فيها زوايا يطوف المؤمن على أهل له في كل زاوية لا يرى أهل بعضهم بعضاً، فالزوجات لا يرى بعضهن بعضاً لسعة الأماكن في الخيمة، والله على كل شيء قدير.

وفي هذه الغرف والخيام، لا بد أن يوجد أثاث وسُرُر وأرائك، فما هو وصفها؟

سُرُر الجنة وأرائكها:

الجنة في جمال أثاثها، وتكامل متاعها، واسعة الأركان، مُرضية للنفس والجنان، وصف ربنا أثاثها فأحسن وصفها، ومدحها فأبلغ في مدحها، وأثنى أجمل الثناء عليها، وشوّق النفوس إليها.

(١) صحيح مسلم (٧٣٣٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣) (ص ١٠٥) (٣٥١١٧) صحيح.

قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزُرَّابِيٌّ مَبْنُوثٌ ۖ﴾

[الغاشية: ١٣ - ١٦]،

والنَّمارِقُ: هي الوسائد، وهي مُلقاة في كل موضع يجلس عليها المؤمن ويضطجع، والزَّرابيُّ: هي البُسُط التي تُفرش على الأرض، فتزيد المكان بهجةً وجمالاً.

وتأمل كيف وصف الله تعالى السُّرر والفرش بأنها مرفوعة، والزَّرابيُّ بأنها مَبْنُوثَة، والنَّمارِق بأنها مصفوفة.

فرفع الفرش دالٌّ على سُمكها ولينها ونظر المضطجع عليها إلى ما حوله. وبتُّ الزَّرابيِّ: دالٌّ على كثرتها وانتشارها في كل موضع، فيجلس على البُسُط في كل موضع.

وصَفُ النَّمارِق والوسائد: دالٌّ على أنها مهيأة للاستناد إليها والجلوس عليها في كل وقت، دائماً، وأنها ليست مُخبأة تُصَفُّ في وقتٍ دون وقت. ^(١)

إكرام..

لما كانت مستهيات الناس وأذواتهم
تختلف .. نوع الله تعالى مساكن
الجنة .. غرف .. وغياص ..

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص: ١٩٨

رائحة الجنة

الجنة لها رائحة عبقّة زكيّة تملأ جنّاتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات طويلة، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، ويبيّن أن بعض الذنوب تحرّم صاحبها من رائحة الجنة.

- فما الذي يُمنع من شمّ ريح الجنة؟
- وهل هذا يعني أنه محروم من دخولها؟
- وهل يعني خلوده في النار؟

مداخل:

ذكر النبي ﷺ أعمالاً سيئة توعدّ فاعلها أن لا يشمّ ريح الجنة كمدمن الخمر، والمثان، وغيرهما، ولا يعني أن فاعلها كافر، لكن هو وعيد وتخويف، وقد يدخل الجنة إن عفا الله عنه، لكن لا يشمّ ريحها الطيب كما يشمها غيره. وأسوق هنا عدداً من الذين ورد فيهم الوعيد بحرمانهم من رائحة الجنة..

أقوام لا يشمّون رائحة الجنة:

١ - مدمن الخمر..



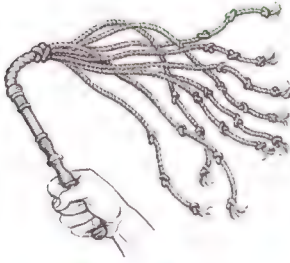
الخمر هي أم الخبائث.. ورأس الفواحش.. ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.. ومن شرب الخمر في الدنيا كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال..

« قيل: يا رسول الله وما طينة الخَبَال؟ قال: عَصَاة أَهْلِ النَّارِ »^(١)..

ومن شربها، لم يشم رائحة الجنة يوم القيامة، إلا أن يتوب قبل موته..
ويعامله ربنا بعفوه..

٢- الذين يضربون الناس، الكاسيات العريات..

كما قال ﷺ: « صنفان من أمتي لم أرهما: قوم معهم سياطٌ مثل الذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات. مائلات مميلات. رؤوسهن مثل البُخْتِ المائلة. لا يدخلون الجنة. ولا يجدون ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا »^(٢).



فحذر النبي ﷺ هنا من ظلم الناس وضربهم.

وحذر كذلك النساء من التَّبْرُج،
والسُّفور، وعدم العناية بالحجاب
والستر.



و «البُخْت»: هي نوع من الإبل، وهي
جمع مفردة بُخْتِيَّة وهي الناقة
طويلة العنق ذات السنامين.

(١) رواه أحمد، صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٥٧٠٤) وصحيح ابن جَبَّان (ج ١٦ ص ٥٠٠) (٧٤٦١)

ذكر العلماء في معنى (كاسيات عاريات) أوجه: منها أن تستر بعض بدنهن وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ومنها: أن يلبسن ثياباً رفاقاً تصف ما تحتها. و(مميلات مائلات) أي: مميلات للرجال بزینتهن، مائلات إليهم وقيل: مائلات مُتَبَخِّرَات في مشيتهن مميلات أكتافهن، و(البخت) هي نوع من الإبل. والحديث من نبوءات النبي ﷺ.

٣- الظالم للمعاهد..



المعاهد: هو الكتابي سواء كان يهودياً أو نصرانياً، إذا أقام بين المسلمين، وقد عاهدوه على السلم وعدم الحرب، فهذا لا يجوز ظلمه، ولا بخس حقه.

قال ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً وانتقصه، وكلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حَجيجه يوم القيامة».

ثم أشار رسول الله ﷺ بإصبعه إلى صدره وقال: «ألا ومن قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله حرم الله عليه ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً»^(١).

فالذِّمَّة والذِّمَّام: هو العهد، والأمان، والضَّمان، والحُرْمَة، وذِمَّة الله: عهده وأمانه في الدنيا والآخرة، فلا يجوز نقض العهد أو التساهل فيه، ومن فعل ذلك فلن يجد ريح الجنة، وريحها يوجد من مسافة سبعين خريفاً.

والخريف هو في الأصل فصل من فصول السنة ويطلق هنا على العام كله.

٤- العاق..

عقوق الوالدين ذنب عظيم، وتنكّر للجميل، وقد جعل الله تعالى حق الوالدين تابعاً لحقه، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣)،

(١) السنن الكبرى للبيهقي (ج ٩) (ص ٢٥) (١٩٢٠١) صحيح.

وقرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى
الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وبر الوالدين طريق لسعادة الدارين، كما قال ﷺ: «من سرّه أن يُبسّط
له في رزقه، وأن يُنسأ له في آثره، فليصل رحمه» ^(١)،

٥- البخل المنان.



البخل هو الذي يجد المال ويوسع
الله عليه فيه، فيقبض يده عن
النفقة على نفسه وولده، ولا
يكرم به ضيفاً، ولا يصل به رحماً،
والبخل داء وبيل.

أما المنان: فهو الذي يعطي الناس الشيء ثم يمتنّ عليهم به ويذكر
إحسانه إليهم على سبيل الإذلال لهم.

فإذا اجتمع بخل مع منّة، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

قال ﷺ: «ثلاثة لا يجدون ربح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة
خمسائة عام: العاق لوالديه، ومُذْمِن الخمر، والبخل المنان» ^(٢)

وهذا تحذير من عقوق الوالدين، أو الإساءة إليهما. وأمر بالإحسان
إليهما، وتحذير من أم الخبائث الخمر، وتحذير من البخل والمنّة.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) تهذيب الآثار للطبري (١٥٦٦) صحيح مُرسَل.

وردت أحاديث أن ريح الجنة يوجد من مسيرة سبعين سنة،
وفي بعضها يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة سنة،
فكيف نجمع بينهما؟

إشكال



الجواب: الجمع أن شم ريح الجنة يختلف باختلاف إيمان
الأشخاص وتفاوت أعمالهم، فمن أدركه من المسافة
البعيدة أفضل وأصلح ممن أدركه من المسافة القريبة،
فريح الجنة لا يُدرك بطبيعة الشخص ولا قُدرات جسده
ولا عادته، وإنما يدرك بما يمكّن الله العبد من إدراكه،
فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارة من
مسيرة خمسمائة^(١).

نسأل الله أن يرزقنا الجنة، ويعيذنا من النار.. آمين

دعاء..

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْجَنَّةَ ..
وَيُعِيذَنَا مِنَ النَّارِ .. آمِينَ ..

(١) للاستزادة انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٦٩/١٩).

في شجر الجنة وثمارها

من اكتمال الجمال، كثرة الخُضرة والظلال، لَتَلْتَذَّ عين الناظر، ويُسرَّ
الفؤاد وال خاطر، وتفرح الأبواب، وتجتمع للسعادة الأسباب.

فأشجار الجنة وظلالها، وخضرتها وبهاؤها، متعة وسعادة، وقد وصفها
الله تعالى أجمل الوصف وأحسنه، فقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
(٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ [النواحي: ٢٧ - ٣٠].

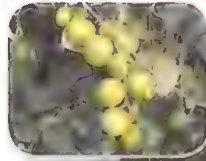
والسِدر: هو شجر التَّبَق.

وهو سِدر مَخْضُود: أي لا شوك فيه.

والطَّلح: هو شجر الموز.



الطَّلح (الموز)



شجرة السِدر (التَّبَق)

هذه صورة لما نراه في الدنيا، وإلا ففى الجنة أعظم وأكمل ..

وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٠] أي: أغصان.

وقال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

وأشجار الجنة وأرفة الظلال، تُسقى بالماء الزلال، فطاب منظرها، وطاب
طعمها، فهي ظلّ ممدود.. كما قال ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرعوا إن شئتم» (وَلَيْ تَمْدُودُ) (الواقعة: ١٣٠)»^(١).

وقرأ البراء بن عازب قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا لَذِيلًا﴾
(الإنسان: ١٤)، فقال: «إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا، وقعودًا،
ومضطجعين، على أي حال شاءوا»^(٢).

لذة..

الطعام في الدنيا دفع جوع..
أما في الآخرة فهو لذة وممتعة ونعيم..

(١) صحيح البخاري (٤٨٨١).

(٢) البعث والنشور للبيهقي (٢٧٣) حسن.

أكل أهل الجنة

أهل الجنة لهم فيها فاكهة مما يَتَخَيَّرُونَ، ولحم طير مما يشتهون.. يطوف بهذه الفواكه عليهم خدمٌ حَسَنُ الوجوه، فيختارون من هذه الفواكه ما يشتهون، ومن لحوم الطير ما ينتقون.



- فما طبيعة هذا الطعام؟
- وما أنواعه؟
- وكيف يكون تصريفه من الجسم؟

مدخل:

الطعام اللذيذ، يزيد الحياة لذةً وجمالاً، ولا أطيب ولا أَلَدُّ من طعام الجنة وفاكهتها وطيرها.. فإذا اجتمع المنظر الجميل، مع الطعام اللذيذ، والمجلس المريح، والوجه الحسن، اكتملت اللذة، وعند ربنا مزيد.

فاكهة الجنة:

فاكهة الجنة تَلْتَدُّ بها أفواههم، وتَنَعَّم بها نفوسهم، كما قال تعالى:

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الباقعة: ٣٢ - ٣٣]

ولهذه الفاكهة لذة في منظرها، وكبر في حجمها، وقد رأى النبي ﷺ ذلك لما كان في صلاة الكُسُوف، فلما انتهى من صلاته، قال:

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادْكُرُوا الله. قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كَفَكْتَ. قال: إني رأيت الجنة، فتناولت عُقُوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»^(١).

وثمار الجنة وفواكهها دانية قريبة ممن يتناولها.. قال تعالى:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]

يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ:

أهل الجنة يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ والتحميد، ويأكلون ويشربون ولا يتغَوِّطُونَ..

قال ﷺ: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغَوِّطُونَ، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جِثَاء كَرِشِ الْمَسْكِ، يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ والحمد كما يُلْهِمُونَ النَّفْسَ»^(٢).

وهذا من إكرام الله لأهل الجنة، والجِثَاء: هواء يخرج من المعدة عن طريق الفم، يكون تصريفاً للطعام.

وأهل الجنة يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ: أي كما أنهم يتنفسون تنفُّساً متواصلاً من غير اختيار بل جُبِلَتْ الأجساد على ذلك، كذلك التسبيح والتهليل عند أهل الجنة، تُجِبِلُ عليه نفوسهم وتجري به ألسنتهم، شكرًا لله تعالى وتعظيمًا له، وهذا التسبيح لا يشغلهم عن مُتَعِهِمْ ولذائذهم، بل هو مثل النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا.

(١) متفق عليه، ومعنى كَفَكْتَ: أي أخجفت وتأخرت إلى وراء.

(٢) صحيح مسلم (٧٣٣٣)

أول طعام أهل الجنة:

هذا النعيم العظيم، والطعام اللذيذ، ما أول ما يأكل المؤمنون منه؟

قال عبد الله بن سلام: «لما أردت أن أسلم، أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني سأئلك. فقال: **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**. قلت: ما أول ما يأكل أهل الجنة؟ فذكر الحديث.. وفيه قال ﷺ: **زيادة كبد الحوت**»^(١)، وزيادة كبد الحوت: هي قطعة منفردة متعلقة بكبد الحوت، وهي أطيبها وألذها.

وعن ثوبان قال: «كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء خبرٌ من أحبار اليهود فقال: **السلام عليك يا محمد**. فدفعته دَفْعَةً كَادَ يُضْرَعُ منها، فقال: **لَمْ تَدْفَعْنِي؟** فقلت: ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي: **إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله**. فقال رسول الله ﷺ: **إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**. فقال اليهودي: **جئت أسألك**. فقال ﷺ: **أينفكت شيعاً إن حدثتكَ**. قال: **أسمع بأذني**. فنَكَت رسول الله ﷺ بَعُودَ مَعِهِ، فقال: **سَلْ**. فقال اليهودي: **أين يكون الناس يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات؟** فقال ﷺ: **هم في الظلمة دون الجسر**. قال: **فمن أول الناس إجازة؟** قال: **فقراء المهاجرين**. قال اليهودي: **فما تُخَفَّتُهُمْ حين يدخلون الجنة؟** قال: **زيادة كبد النون**. قال: **فما غداؤهم على إثرها؟** قال: **ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**. قال: **فما شربهم عليه؟** قال: **من عين فيها تسمى سلسيلاً**. قال: **صدقت..**»^(٢).



نعم صدق رسول الله ﷺ، فأول الناس إجازة أي مروراً على الصراط، هم فقراء المهاجرين الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم وحياتهم لله تعالى، والنون: الحوت^(٣).

(١) مسند أحمد (١٢٣٨٥) صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٧٤٢).

(٣) السمك عمومًا طعام نافع، وزيادة كبد الحوت لها من منافع كثيرة جداً للجسم اكتشفها العلم الحديث بعد بحوث ودراسات، فهو يساعد القلب على القيام بوظائفه الطبيعية على أحسن وجه، يخفف ويعالج ألم المفاصل المزمن، يقلل من مشاكل التهابات الجلد، يقوي وينشط من عمل الدماغ.

أين يذهب الطعام والشراب ما داموا لا يتفقون؟

إشكال



الجواب: أن من إكرام الله تعالى لأهل الجنة أنهم مطهرون من دنس البول والغائط، ويكون تصريف الطعام من بطونهم بعرق يخرج بأطيب الرائحة، وجُشاء برائحة حسنة.

قال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ: حاجة أحدكم عرق يفيض من جلده، فإذا بطنه قد ضمير»^(١).

الطعام مُذَلَّل لهم:

لا تَكَلَّف عليهم في الحصول على طعامهم وشرابهم، فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك»^(٢).

الاسم واحد والطعم متنوع:

من لذة طعام الجنة أن المؤمن أو المؤمنة يأكل الطعام اليوم ويجد له ألد الطعم، ثم إذا أراد أكله ثانية وجد الشكل نفسه لكنه بطعم جديد ألد من الأول.

وكذلك الفاكهة والطير، يجد الشكل واحدا لكنها في كل مرة لها طعم جديد فلا يزال في ترقب وتشوق إلى المفاجأة الجديدة في كل مرة، وقد وصف الله تعالى هذا الحال أجمل الوصف فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُودُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥).

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ في مصنفه، صحيح.

(٢) رواه البزار في مسنده، بسند فيه مقال.



هذه صورة لما نراه في الدنيا، ولا ففي الجنة أعظم وأكمل..

فهم أوتوا به متشابهاً في الشكل، لكنه مختلف في الطعم.

طعامهم دائم:

طعام أهل الجنة يجذونه على الدوام بلا نقصان.. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا نَارٌ عَنْقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَنْقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالٌ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل هذه المتع.. ومن العاملين في الدنيا لها..

علم..

عَلِمَ رَبُّنَا تَعَالَى أَنَّ مَسْهُوَاتِ
عِبَادِهِ مَخْتَلِفَةٌ. فَتَرَعِبَهَا لَهُمْ
فِي الْجَنَّةِ..

شراب أهل الجنة

من تمام نعيم أهل الجنة لذة الشراب، لتستمتع الأفواه والبطون، فمن أكل احتاج إلى شراب لذيذ، يزيد مُتَعَتَه بطعامه، ويرطّب ريقه بأطيب الشراب، فوصف الله تعالى شراب أهل الجنة، ورغبهم فيه.



• فما هو شرابهم؟

• وماذا يخلط معه؟

• وما هي أنيتهم؟

مدخل:

من رحمة ربنا بنا، وصف الله تعالى في كتابه، كيف يشربون؟ وماذا يشربون. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ وَعَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾ [الإنسان: ٥ - ٦].



هذه صورة لما نراه في الدنيا.
والأففى الجنة أعظم وأكمل..

يعني: إن الكرام البررة الذين أطاعوا الله، يشربون من خمر كان ما يُفَزَج بها ماء الكافور^(١)، وهذا المزاج من عين يشرب بها عباد الله المتقون، وهم في الجنات يتمتعون، يشربون حيثما شاءوا، ومتى ما شاءوا، في قصورهم، ومجالسهم، وأنهارهم.

(١) الكافور: عبارة عن مادة صلبة توجد على هيئة صفائح بيضاء بلورية أو على هيئة كتل مربعة متلاصقة بيضاء وسهل التبخر أو التطاير حتى عند درجة حرارة الغرفة العادية، يذوب في الماء بصعوبة، يُتَحَصَّل على الكافور من شجرة الكافور.

يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا؛

أي يشقُّونها شقًّا كما يُفَجِّرُ الرجل النهر من هنا وهناك إلى حيث يريد،
بل لو شاءوا لقادوا الماء معهم حيث أرادوا. قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنْجَبِيلًا ۖ (١٧) عَيْنَانِهَا تَسْمَى سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨].



الزنجبيل

هذه صورة لما نراه في الدنيا،
ولا ففى الجنة أعظم وأكمل..

أي يُسقى هؤلاء الأبرار في الجنة
كأسًا من خمر الجنة مُزِجَت
بالزَّنجَبِيل^(١)، فيُمزَجُ الشراب لهم
مرة بالكافور، ومرة بالزنجبيل،
فالكافور بارد والزنجبيل حار..

أي أن أهل الجنة يُسْقَوْنَ كأسًا من خمر الجنة ممزوجة بالزنجبيل
وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يُمزج بالزَّنجَبِيل لطيب رائحته.
وكلمة سَلْسَبِيل مأخوذة من السَّلَاسَةِ، والسلسبيل: هو الشراب اللذيذ.

مزيج شراب الجنة؛

شراب أهل الجنة يُمزج بشيئين: الكافور والزنجبيل، فيمزج بالكافور لأنه
يمتاز بالبرد وطيب الرائحة، ثم بالزنجبيل لأنه يمتاز بالحرارة وطيب
الرائحة.

شرايهم طاهر؛

قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ١٧].

(١) الزنجبيل: نبات طيب الرائحة، حار الطعم، ملين للمعدة، مطيب لرائحة الفم، يطبخ مع الطعام، وقد
يخلط مع الماء فيطبخه.

نعم، يسقيهم ربهم شراباً طهوراً يطهر باطن شاربه من الحسد، والحقد، والغل، ورديء الأخلاق، فوصف الشراب بأنه طهور وليس بنجس كخمر الدنيا بالرائحة، مما يحدث بذلك أكمل اللذة وأطيبها ^(١).

وقال عبد الله: «إن الرجل من أهل الجنة ليؤتى بالكأس وهو جالس مع زوجته، فيشربها، ثم يلتفت إلى زوجته فيقول: قد ازدبت في عيني سبعين ضعفاً حسناً» ^(٢).

وقال أبو أمامة: «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجىء الإبريق فيقع في يده فيشرب ثم يعود إلى مكانه» ^(٣).

وهذا الشراب ينبع من عيون الجنة.. فما هي عيون الجنة؟ وما لذتها؟

عيون الجنة:

من تمام الجمال في الجنة، أن الله تعالى جعل فيها أنهاراً وعيوناً، تتفجر في أنحائها بأنواع الشراب، وألذ السقاء.

وقد أخبر الله تعالى بعيون الجنة فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾ ^(٤) **الحجر: ٤٥**، يعني بساتين تجري الأنهار من تحتها، وتتفجر الأرض بعيون ما لذ وطاب من الشراب الحلو الطيب..

وقد ذكر الله تعالى هذه العيون، في مواضع كثيرة من كتابه ترغيباً لعباده، وتشويقاً لهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ﴾ ^(٥) **الحجر: ٤٥**، **النار: ١٥**، **النار: ١٦**، **النار: ١٧**، **النار: ١٨**، **النار: ١٩**، **النار: ٢٠**، **النار: ٢١**، **النار: ٢٢**، **النار: ٢٣**، **النار: ٢٤**، **النار: ٢٥**، **النار: ٢٦**، **النار: ٢٧**، **النار: ٢٨**، **النار: ٢٩**، **النار: ٣٠**، **النار: ٣١**، **النار: ٣٢**، **النار: ٣٣**، **النار: ٣٤**، **النار: ٣٥**، **النار: ٣٦**، **النار: ٣٧**، **النار: ٣٨**، **النار: ٣٩**، **النار: ٤٠**، **النار: ٤١**، **النار: ٤٢**، **النار: ٤٣**، **النار: ٤٤**، **النار: ٤٥**، **النار: ٤٦**، **النار: ٤٧**، **النار: ٤٨**، **النار: ٤٩**، **النار: ٥٠**، **النار: ٥١**، **النار: ٥٢**، **النار: ٥٣**، **النار: ٥٤**، **النار: ٥٥**، **النار: ٥٦**، **النار: ٥٧**، **النار: ٥٨**، **النار: ٥٩**، **النار: ٦٠**، **النار: ٦١**، **النار: ٦٢**، **النار: ٦٣**، **النار: ٦٤**، **النار: ٦٥**، **النار: ٦٦**، **النار: ٦٧**، **النار: ٦٨**، **النار: ٦٩**، **النار: ٧٠**، **النار: ٧١**، **النار: ٧٢**، **النار: ٧٣**، **النار: ٧٤**، **النار: ٧٥**، **النار: ٧٦**، **النار: ٧٧**، **النار: ٧٨**، **النار: ٧٩**، **النار: ٨٠**، **النار: ٨١**، **النار: ٨٢**، **النار: ٨٣**، **النار: ٨٤**، **النار: ٨٥**، **النار: ٨٦**، **النار: ٨٧**، **النار: ٨٨**، **النار: ٨٩**، **النار: ٩٠**، **النار: ٩١**، **النار: ٩٢**، **النار: ٩٣**، **النار: ٩٤**، **النار: ٩٥**، **النار: ٩٦**، **النار: ٩٧**، **النار: ٩٨**، **النار: ٩٩**، **النار: ١٠٠**.

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص ١٧٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، صحيح.

(٣) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، حسن.

عين السلسبيل:

أخبرنا الله تعالى بأسماء بعض هذه العيون، فقال: ﴿عَيْنَاهَا تَسْمَى سَلْسَبِيلًا﴾ **[[الإنسان: ١٧]]**، والسلسبيل لفظ مأخوذ من السلاسة والسهولة في الجريان.

وقال: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ **[[الإنسان: ١٦]]**. وهذه العيون تجري بأنهار، بعذب الشراب..

- فما هي أنهار الجنة؟
 - وما أنواعها؟
 - وما كيفية الشرب منها؟
- سيأتي بيان ذلك فيما يأتي..

نعيم..

صا يطيب شراب الجنة
سهولة الوصول عليه
وتنوع ألوانه وطعمه.

أنهار الجنة

في الجنة أنهار كثيرة ذات أنواع متعددة، وقد وصف الله تعالى أنهارها، وشوق إليها، وهذه الأنهار تستمتع العين برؤيتها.. ويسعد الضم بشربها.. ويسعد القلب بقربها..



• فما أنواع هذه الأنهار؟

• وما ألوانها؟

• وما أسماؤها؟

مدخل:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران: ١٥.

فهي أنهار حقيقة، تجري تحت قصورهم، وتمر بين غرفهم، وتملأ بساتينهم.

ماء مسكوب:

قال تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ الواقعة: ٣١، أي: أنهار تجري في غير أخذود، ولا حوض يضمها عن يمينها وشمالها، بل تجري على الأرض سلسة سهلة.

أنواع الأنهار:

أنهار الجنة أنواع وأصناف، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (المحمد: ١٥).



هذه صورة لما نراه في الدنيا، وإلا ففي الجنة أعظم وأكمل

وقد ذكر الله تعالى هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها آفاته التي تعرض له في الدنيا فتفسده.

- آفة لبن الدنيا: أن يتغير طعمه إلى الحموضة، فيفسد على الشاربين، فأخبر الله تعالى أن لبن الجنة لم يتغير طعمه.
- وآفة ماء الدنيا: أن يأسن من طول مُكثه، فتتغير رائحته، أو مذاقه، وهذا لا يحصل لماء الجنة.
- وآفة خمر الدنيا: كراهة مذاقها، وخُبث رائحتها، وما تُحدثه من سكر وذهاب للعقل، وهذا بعيد عن خمر الآخرة.
- وآفة عسل الدنيا: عدم تصفيته من الشوائب، وهذا غير عسل الجنة، فهو في الجنة مُصَفًّى.

وهذا من آيات الله أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بجريانها.

والأعجب من ذلك أن هذه الأنهار تجري في غير أخدود ولا حوض يضمها عن جانبيها، إضافة إلى تطهيرها من جميع الآفات التي تمنع كمال اللذة.

كما نفي عن خمر الجنة جميع الآفات التي في خمر الدنيا من الصّداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة.

أما خمر الدنيا فرجس من عمل الشيطان، تُوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا والفجور، وتذهب الغيرة، وهي أم الخبائث ومنها يولد كل خبيث وقبيح، فنزّه الله ﷻ خمر الجنة عن كل هذا.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم.

من أين تتفجر الأنهار:

هذه الأنهار تتفجر من أعلى الجنة إلى أدناها.

قال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراد فوقه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة»^(١).

(١) رواه البخاري.

في الدنيا أربعة أنهار من الجنة:

بيّن النبي ﷺ أن أنهاراً في الدنيا، هي من أنهار الجنة، فقال ﷺ:

« سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ وَالْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ »^(١).

وقال ﷺ: «يُخْرَجُ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ: النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ وَسِيحَانٌ وَجِيحَانٌ»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) الحديث رواه مسلم، ونهر سِيحَان: ينبع من جبال أزمينية الصغرى، ويجري نحو الجنوب ماراً بمدينة أذنة) ويصب في البحر المتوسط قريباً من مدينة مرسين.

جِيحَان: نهر ينبع من نبع فياض قريب من مدينة (ألبستان)، ويجري في سهول كليكية بجوار مدينة المصيصة)، ويصب في خليج إسكندرون عند مدينة أياس (انظر كتاب: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير).

وجاء في شرح مسلم للإمام النووي:

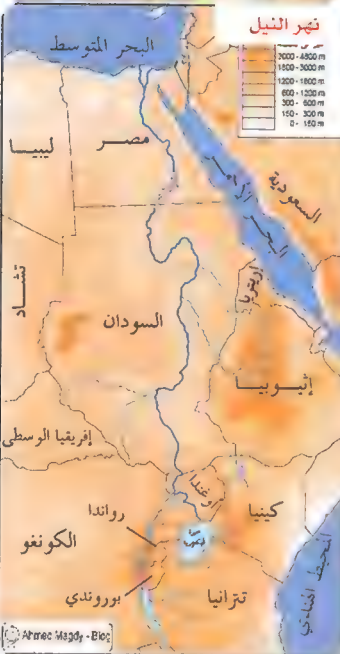
اعلم أن: سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ غَيْرُ سِيحُونٍ وَجِيحُونٍ.

فأما (سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ) هما من أنهار الجنة: في بلاد الأرمن، فجِيحَان: نهر المصيصة، وسِيحَان: نهر إذنة، وهما نهران عظيمان جداً أكبرهما جِيحَان.

وأما قول الجوهري: جِيحَان نهر بالشام فغلط، قال الحازمي: سِيحَان نهر عند المصيصة، وقال صاحب (نهاية الغريب): سِيحَان وجِيحَان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا كلهم: أن جِيحُون غير جِيحَان، وكذلك سِيحُون غير سِيحَان "أه.

نهر النيل: أطول نهر في العالم طوله ٦٧٠٠ كيلومتر ما بين أبعد منابع له عند نهر كاغيرا في دولة بوروندي ودولة رواندا، وحتى دلتا النيل في مصر علي ساحل البحر المتوسط، ويضم حوض النيل تسع دول أفريقية، الكونغو - بورندي - رواندا - تنزانيا - كينيا - أوغندا - السودان - اثيوبيا - وأخيراً مصر، ويتجه نهر النيل من الجنوب إلى الشمال. الجنوب حيث جبال وسط شرق أفريقيا العالية ومن هضبة الحبشة المرتفعة، والشمال حيث دلتا النيل في مصر ويصب في البحر المتوسط.

نهر الفرات: نهر ينبع من تركيا ويمر في سوريا والعراق ليلتقي مع نهر دجلة فيشكّلان شط العرب الذي يصب في الخليج العربي. يبلغ طول الفرات ٢٧٠٠ كم، وهو يروي منطقة تبلغ مساحتها ٤٤٤.٠٠٠ كم مربع.



كيف تكون هذه الأنهار من الجنة، وهي تجري في الدنيا؟

إشكال



الجواب: أي أن هذه الأنهار أصلها من الجنة، كما أن أصل معظم الماء في الأنهار والبحيرات من ماء المطر، وماء المطر أصلاً يأتي من السماء، مع أنه يجري في الأنهار ويغذي البحيرات، فذلك هذه الأنهار، تُسقى من أنهار في الجنة.

وأعظم أنهار الجنة الكوثر:

الكوثر وصف يدل على المبالغة في الكثرة، وهو النهر الذي يغذي الحوض بالماء.

- فما وصف ماء نهر الكوثر؟
- وما صور النعيم والسرور فيه؟

وردت أحاديث تصف نهر الكوثر وصفاً يشبه الوصف الذي ورد في الحوض؛ مما جعل بعض أهل العلم يرى أن الكوثر الوارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ^(الكوثر: ١)، أن المقصود به الحوض.

والذي يظهر أن الحوض يكون في أرض المحشر يوم القيامة، أما الكوثر فنهر في الجنة، لكن العلاقة ما بين الحوض والنهر هي أن نهر الكوثر يصب في الحوض ويغذي به بالماء، فصار الحوض كأنه فرع وامتداد لنهر الكوثر، فتداخلت أوصافهما.

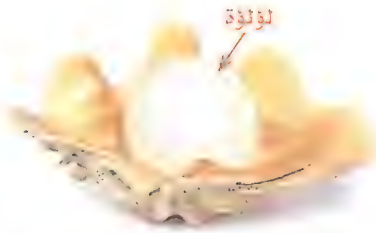
وصف نهر الكوثر:

نهر الكوثر أحد أنهار الجنة، وأنهار الجنة فيها من اللذة والحسن والجمال ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب.

قال أنس رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغضى إغضاءً ثم رفع رأسه مُتَبَسِّمًا^(١). فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي أنفاً سورة. فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢) فَصَلَّ لِربِّكَ وَأَمَرَ^(٣) إِنَّكَ شَأْنُكَ هَذَا الْبَرُّ^(٤)﴾ (الكوثر: ١-٣) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدني به ربي ﷻ. عليه خير كثير. هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة. أنيته عدد النجوم. فيخرج العبد منهم فاقول: رب إنه من أمي. فيقول: ما تدري ما أخذت بعدت^(٥)».

حافاته قباب اللؤلؤ المجوف:

حافتا النهر هما جانباه عن يمينه ويساره، وهما من لؤلؤ مجوف، وهذا يدل على حسن هذا النهر، وبهائه، فهو محاط بالقباب من لؤلؤ،



حافتا النهر هما
والأفنى الجنة أعظم وأكمل..

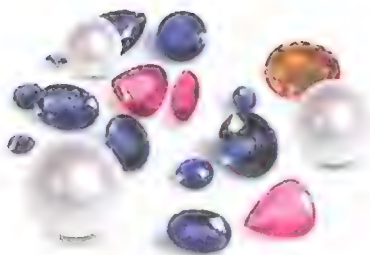
والقباب جمع قُبَّة، وهو البناء المرتفع المقوَّس، واللؤلؤ جوهر لامع كالألماس، وهو لؤلؤ مجوف أي له جوف داخلي، كأنها قبة كاملة عبارة عن قطعة لؤلؤ مجوفة، كما قال ﷺ:

«بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر. حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف. قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله - إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ - ثم ضرب بيده إلى طينته، فاستخرج مسكاً - أي ضرب الملك بيده في أصل النهر فاستخرج من ترابه فأراه للنبي ﷺ فإذا هو مسك، وهو من أطيب الطيب»^(٦).

(١) المعنى: نام نومة يسيرة خفيفة ثم رفع رأسه وتبسم، كأنه رأى في منامه ما يسره.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.



هذه صورة لما نراه في الدنيا،
والأف في الجنة أعظم وأكمل..

يجري على الدّر والياقوت:

فهو من حُسْنِه وبَهَائِه، أن طينه من المسك، وحجارتُه المُلَقاة فوق هذا المسك من جواهر الدّر والياقوت، فيزيده لمعانها وبريقها حسنًا وبهاءً.

كما قال ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، مجراه على الياقوت والدّر. تربته أطيب من المسك. وماؤه أحلى من العسل. وأشدّ بياضًا من الثلج»^(١).

في الكوثر طيور أعناقها كأعناق الجُرّ:

تحوم حول نهر الكوثر، طيور، تزيّن منظره، وتسليّ من حوله، وهي طيور جميلة المنظر، كبيرة المظهر، عنق الواحد منها كعنق الجُرّور وهو البعير، كما قال أنس رضي الله عنه:

«سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: ذاك نهر أعطانيه الله. أشدّ بياضًا من اللبن. وأحلى من العسل. فيه طير أعناقها كأعناق الجُرّور. قال عمر: إن هذه لناعمة! فقال رسول الله ﷺ: أكلتها انعم منها»^(٢).

فما أجمل الوصف هنا، فهي طير عظام كأعناق الإبل، سمان لذينة الطعم، فلما قال عمر رضي الله عنه: إنها ناعمة أي متنعّم من يأكلها، فأخبره ﷺ أن أكلتها -وهم جمع أكل أي الذين يأكلونها- أكثر تنعمًا منها، فأهل الجنة الذين يأكلونها متنعّمون حول النهر في خيام اللؤلؤ.

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، صحيح.

(٢) الجُرّور: جمع جُرّور، وهو البعير الحيوان المعروف، ويسمى أيضًا: الجمل.

(٣) رواه الترمذي، صحيح.

ونهر الكوثر كما أن حوله قباب اللؤلؤ المجوّف، كذلك حوله خيام اللؤلؤ،
زيادة في النعيم.

كما قال ﷺ: « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حاشته خيام اللؤلؤ. فضربت
بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذقر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا
الكوثر الذي أعطاكه الله »^(١).

وهذا الكوثر يشرب منه النبي ﷺ ويتنعم، وتتعمم معه أمته، نسأل الله
تعالى أن نلتقي جميعاً على ضفافه.. آمين..

إضاءة..

جعل الله في الدنيا أنهاراً
أربعة من أنهار الجنة..
تذكرة.. وتذكيراً..

(١) رواه البخاري.

آنية الجنة

الأكل والشرب، تزداد لذته وحلاوته، ويعظم الشوق إليه، بنضارة وجمال الآنية التي يوضع فيها، فإذا لذ الطعام ولذت الآنية، اكتملت الحلاوة والاستمتاع.

• فما هذه الآنية؟

• وما أنواعها؟

• وما مادة خلقها؟

مدخل:

أسماء الآنية في الدنيا والآخرة متشابهة، ففي الدنيا كؤوس وفي الآخرة كؤوس، وفي الدنيا أباريق، وفي الآخرة كذلك، وفي الجنة أطباق للطعام، وفي الجنة كذلك، لكن حقيقة ما في الجنة في مادته، وجودته، ومُتَعته، يختلف عن الدنيا.

آنية الجنة تطوف عليهم:

لا يحتاج المؤمن أن يقوم إلى آنيته، بل هي تأتي إليهم، ويُطاف بها عليهم، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

فبعد أن يستقروا في الجنة يطاف عليهم بأوانٍ من ذهب عليها أنواع الطعام، ويطاف عليهم بأكواب للشراب من ذهب، وفي هذه الأواني والأكواب ما تشتهيه الأنفس، وتلذ به الأعين، فيأكلون ويشربون وينعمون ويتلذذون،

ويقال لهم إكمالا لسرورهم: «أنتم باقون في هذا النعيم لا ينقص عنكم ولا يغيب، وأنتم في الجنة خالدون أبداً».

فهذه الآنية مع حسناتها وجمالها، يُطاف بها عليهم، وهم على أسرّتهم مكرّمين، وفي بيوتهم آمنين، قال ربنا ﷻ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا وَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦].

فأهل الجنة يطوف عليهم خدام الجنة بأواني الطعام وأكواب الشراب، من فضة وزجاج.

أنواع آنية الشراب:

جاءت الآيات بأن أهل الجنة يشربون تارة في أكواب، وتارة في أباريق.



هذه صورة لما نراه في الدنيا، وإلا ففي الجنة أعظم وأكمل..

والأكواب: هي الكؤوس التي يشرب فيها الماء ونحوه..

والأباريق: جمع إبريق، وهو الكأس لكن له خرطوم يُصب من خلاله ما فيه من ماء ونحوه.

نوع الآنية:

آنية الجنة من الذهب والفضة، لذا حرم الله تعالى استعمال آنية الذهب والفضة في الدنيا.. كما قال ﷻ: «لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة».^(١)

(١) متفق عليه، ومعنى لهم في الدنيا: أي للمشركين العصاة يستعملونها في أكلهم وشربهم في الدنيا، لكن المؤمن لا يستعملها في الدنيا في أكله وشربه، لأن الله حرمها عليه في الدنيا، وأكرمها بها في الآخرة.

وقال ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يُجَرَّجَر في بطنه نار جهنم»^(١).

فهذه أنية أهل الجنة، وطيبها، وجمالها.

• فما هي ثياب أهل الجنة؟

• وما جمالها ولينها؟

• وماذا يلبسون من حُلِيٍّ؟

هذا ما سأحدث عنه في الباب التالي..

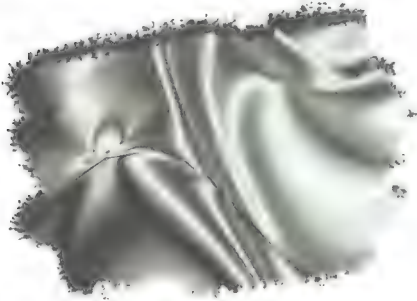
خبرة..

الإِناء الحسن
يزيد الشراب حسناً.

(١) متفق عليه.

لباسُ أهل الجنة وحليهم

اللباس زينة ودلال، وستر وجمال، وأجسام أهل الجنة وأنهارهم في غاية الحسن والجمال، فإذا لبسوا عليها ثياباً حسنة جميلة، ازدادوا حسناً وجمالاً..



هذه صورة لما نراه في الدنيا،
والأففى الجنة أعظم وأكمل..

• فما نوع هذا اللباس؟

• وما حاجتهم إليه؟

• وهل يتفاوتون فيه؟

مداخل:

بين الله تعالى أن ثياب أهل الجنة من أجمل وألين وأحسن الثياب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٣]

فأهل الجنة وهم في حدائق وارفّة الظلال، عظيمة الجمال، والأنهار تجري في أرجائها، والطيور تسرح في سمائها، وهم في هذا النعيم، يلبسون ثياباً من سندس وهو ألين وأحسن الحرير، وثياباً من قماش مُرَيَّنْ يستبرق وهو بريق ولمعان يزيّن هذه الثياب، وهم في كل ذلك يجلسون في الجنة على سُرر متقابلين متحايّين زيادة في الأُنس والمتعة، ونعيمهم هذا يزداد ويكتمل دائماً، لأنهم آمنوا من أن ينزل بهم موت أو مرض، وما أجمل وصف ربنا سبحانه وتعالى لما قال:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكنه: ٣١]

وقال تعالى: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٣].

نوع الثياب:

ثياب أهل الجنة من سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ وحرير.. وقد كان النبي ﷺ يعلّق قلبه، وقلوب أصحابه دائماً بالجنة، ونعيمها، وثيابها، فقد أُهْدِيَ إلى النبي ﷺ سَرَقَةٌ من حرير، فجعل الناس يتداولونها بينهم، وَيُغْجِبُونَ من حسنها ولينها، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَعْجِبُونَ مِنْهَا؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: والذي نفسي بيده لَمُنَادِيلٌ سَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا»^(١).

وسعد.. هو سعد بن معاذ رضي الله عنه.. استشهد بعد معركة الخندق..

ثيابهم لا تبلى:

ثياب أهل الجنة لا تتأثر بكثرة اللبس.. ولا وتقدم..

قال ﷺ: «من يدخل الجنة ينعَمُ لا يَبَاسٌ لا تَبْلَى ثيابه ولا يفنى شبابه»^(٢).

فُرُش الجنة:

إذا لبس أهل الجنة أجمل اللباس، وأكلوا أَلَذَّ الطَّعَامِ، وشربوا أحسن الشراب، مع أمنهم من هجوم الموت، أو طُروء المرض، وقد زانت وجوههم، ونعمت أجسادهم، مع خدم يخدمون، وحَشَمٌ يحشُمون، عندها يشتاقون لأرائك عليها يتكئون، وزرابي عليها يتوسّدون.

(١) رواه البخاري، ومعنى: سرقة من حرير: جُبَّةٌ من حرير أي رداء أو ثوب.

(٢) رواه مسلم.

وفرش الجنة في غاية الجمال، واللين، والراحة، واللطف، لا يملُّ مفترشها، ولا يسأم ملتحفها، وهي رفيعة عالية، وثيرة راقية.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه وصفها، وشوق إليها.. فقد قرأ النبي ﷺ قوله تعالى ﴿وَفُرشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ (النواقص: ١٣٤) فقال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»^(١).

ومن رقة هذه الفرش أن ربنا جل وعلا، أخبرنا عن لين ورقة باطنها، فما بالك برقة ولين ظاهرها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله ﷺ: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى فُرُشٍ بَطَانِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤)، قال: «أخيرتم بالبطائن، فكيف بالظواهر؟»^(٢).

والإستبرق هو: حرير وديباج رقيق، وأصل الكلمة فارسية معربة.

فإذا كانت هذه هي نعومة الباطن، فما بالك بنعومة الظاهر الذي يلمسه الجسد، وتراه العين.

جزاء..

من ترك اللباس المحرام في الدنيا..
كوفئ في الآخرة بلباس الجنة..

(١) رواه الترمذي، حسن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، صحيح.

أطفال المؤمنين في الجنة

الموتى من المؤمنين يتفاوتون في أعمارهم عند موتهم، فمنهم من يموت صغيراً، ومنهم من يموت شاباً، أو شيخاً كبيراً.

فأما من مات شاباً أو كبيراً.. فإنه يوم القيامة يحاسب على أعماله..

لكن الصغير الذي لم يبلغ الحلم

• كيف يكون حاله في الآخرة؟

• وهل يحاسب على أعماله؟

• أم يلحق بأبيه وأمه؟

مدخل:

رب العالمين هو أرحم الراحمين، رحمته تسبق عقوبته، وحلمه يغلب غضبه.. والعفو والغفران أحب إليه من العقوبة والحرمان..

أما أطفال المؤمنين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم فهم في الجنة أيضاً، يمتن الله تعالى عليهم بأن يلحقهم بأهلهم في الجنة، ليجتمع الأب بأولاده، فتقر عين الوالد بولده.. والأم بوليدها.. وترتاح نفوسهم، بفضل الله ورحمته.

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقَّانِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

قوله ﴿وَمَا أَلَنَّهُمْ﴾ أي لا يُنقص الله تعالى أجور الآباء، فيُنزل درجات الآباء إلى درجة الأبناء، كلا، بل يرفع الأبناء إلى منزلة آبائهم.

قرأ ابن عمر رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ [المائدة: ٣٨ - ٣٩] فقال: «هم أطفال المسلمين، لا يُزْتَهَنون بأعمالهم بل يُلْحَقهم ربهم بأهلهم» ^(١).



وقال عليه السلام: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنة. يقال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولون حتى يجيء أبوانا، حتى يجيء أبوانا، حتى يجيء أبوانا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم» ^(٢).

فما أرحم ربنا بنا! بل من فضل الله تعالى أنه حتى الجنين الذي سقط من بطن أمه، ينفع والديه يوم القيامة.. كما قال عليه السلام:

«ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخل الله والديهما الجنة بفضل رحمته. قالوا: واثنين، يا رسول الله؟ قال: واثنين. قالوا: وواحد يا رسول الله؟ قال: وواحد. ثم حدث أن السَّقَطَ ليجرَّ أمه بسرِّره إلى الجنة» ^(٣).

والسَّقَطُ هو الجنين الذي يسقط من بطن أمه ميتاً، قبل ولادته، فيسقط في الشهر الخامس مثلاً أو السادس أو بعدها.. فمن فضل الله تعالى ورحمته بالأم التي حزنت لسقوط جنينها أن يجرَّ أمه بسرِّره يسوقها إلى الجنة..

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ في مصنفه، صحيح.

(٢) رواه أحمد، صحيح، ومعنى لم يبلغوا الحنث: أي ماتوا قبل التكليف ولم يبلغوا.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، صحيح لغيره.

أين أطفال المؤمنين اليوم؟

مسألة



الجواب: هؤلاء الأطفال اليوم هم في كفالة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.. كما قال ﷺ: «ذَرَارِيَّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

رحمة..

من رحمة الله بوالدَيِ الطفل الميت..
أن الطفل يشفع لوالديه يوم القيامة.

(١) رواه أحمد، حسن.

أكثر أهل الجنة

أهل الجنة لهم صفات وأعمال دخلوا بسببها إلى الجنة، بعد رحمة الله تعالى وفضله عليهم، وقد ذكر النبي ﷺ نوعاً من الناس هم أكثر أهل الجنة..

• فَمَنْ هَؤُلَاءِ؟

• ولماذا كانوا أكثر أهل الجنة؟

مدخل:

أكثر من يدخل الجنة هم الضعفاء الذين لا يَأْبَهُ الناس لهم، ولكنهم عند الله عظماء، لِإِخْبَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَتَذَلُّلِهِمْ لَهُ، وقيامهم بحق العبودية لله.

قال ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟

كُلُّ ضَعِيفٍ، مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى

اللَّهِ لَأَبْرَهُ. أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟

كُلُّ عُتْلٍ، جَوَاطِ، مُسْتَكْبِرٍ»^(١).

وقال ﷺ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ

فَكَانَ عَامَّةً مَن دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ،

وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ

أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ»^(٢).

(١) متفق عليه، ومعنى والضعيف المتضعف: هورقيق القلب، لَيِّنَ النَّفْسِ، الْمُخْبِتَ لِلَّهِ الْمُنْكَسِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

الْعُتْلُ: الشَّدِيدُ الْجَائِعُ الْغَلِيظُ مِنَ النَّاسِ، وَالْجَوَاطِ: الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ الَّذِي يَجْمَعُ الْمَالُ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ وَيَمْنَعُ صَرْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْمُسْتَكْبِرُ: هُوَ الْقَطُّ الْغَلِيظُ الْقَاسِي الْمَتَجَبَّرُ.

(٢) رواه البخاري.

فأصحاب الجَدِّ وهم أصحاب الغنى والمال، محبوبسون: أي مؤخرون عن دخول الجنة حتى يكتمل دخول الضعفاء والمساكين قبلهم.

وحتى لا يُظنَّ أن كل أصحاب الغنى في النار، نبّه النبي ﷺ أن هؤلاء الأغنياء المؤمنين سيدخلون الجنة، لأن أهل النار قد أُمر بهم إلى النار.

وقال ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» ^(١).

أيهما أكثر في الجنة: الرجال أم النساء؟

مسألة



الجواب: تذكر الصحابة ذلك في حضرة أبي هريرة رضي الله عنه.. فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ:

«إن أول زُمْرَةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دُرِّيٍّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مخ سُوقَهُمَا من وراء اللحم، وما في الجنة أغزب» ^(٢).

فالحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، فعدد النساء في الجنة ضعف عدد الرجال، بل أكثر.

وسياأتي بيان أن نعيم النساء الصالحات إذا دخلن الجنة أعظم من نعيم الحور العين.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

كيف نجتمع بين ما ذكر هنا أن النساء هن أكثر أهل الجنة، وبين حديث « يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار »؟

إشكال



الجواب: أن عدد النساء في الدنيا أصلاً أكثر من عدد الرجال، بمعنى أن عدد خلق الله من النساء أكثر من عددهم من الرجال، وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان في الدنيا يكون لكل خمسين امرأة قيّم واحد أي رجل واحد.

وفي عصرنا اليوم بدأت نسب الولادات من البنات تزداد بشكل ملحوظ، حتى صارت نسبة الذكور في بعض البلدان تصل إلى خمس نساء مقابل رجل واحد، وبذلك تكون النساء أكثر من الرجال وجوداً في البشر، فإذا دخل نصف رجال الدنيا إلى الجنة، ونصف نساء الدنيا أيضاً، فإن عدد النساء سيكون أكثر، لأن النساء في الدنيا أكثر، وكذلك الحال في النار، فلو دخل النار ربع رجال الدنيا، وربع نساء الدنيا، فستكون النساء في النار عددهن أكثر، لأنهن أكثر في الدنيا.

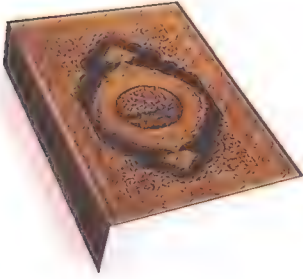
وعلى ذلك، لا يفهم من حديث إن النساء أكثر أهل النار، ذمّ جنس النساء، أو التنقّص منهن.

فقه..

ليس النجاح في الحياة هو جمع المال ..
فأصبح الجَدُّ محبوبون !!

كم في الجنة من أمة الإسلام؟

الجنة هي مأوى المؤمنين، من جميع الأمم، يشتركون في مُتْعَها، ويأْنسون بسرورها، وتختلف الأمم في كثرة أعدادها في الجنة.



- فَمَنْ أَكْثَرُ الْأُمَمِ فِي الْجَنَّةِ؟
- وَكَمْ قَدَرِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ فِيهَا؟

مداخل:

يدخل الجنة من أمتنا أمة نبينا محمد ﷺ جموع كثيرة، الله أعلم بعددهم. قال ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرَ مَعَهُ الْأُمَّةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرَ مَعَهُ النَّفْرَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرَ مَعَهُ الْمَشْرَةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرَ مَعَهُ الْخُمْسَةَ، وَالنَّبِيُّ يَمْرَ وَحْدَهُ، فَانْظُرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ: هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَانْظُرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ. قُلْتُ: وَلَمْ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتُبُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَسْطِيطُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١).

فهؤلاء لهم صفات، فهم:

لَا يَكْتُبُونَ: أي لَا يَسْتَعْمَلُونَ الْكِتَابَ بِالنَّارِ، لِعَلَّاجِ الْأَمْرَاضِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا عِلَاجًا مشهورًا عند العرب، فَيُخَمُّونَ حَدِيدَةً بِالنَّارِ ثُمَّ يَضَعُونَهَا عَلَى الْجِلْدِ يَكُونُوهَا بِهَا.

وَلَا يَسْتَرْقُونَ: أي لَا يَطْلُبُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الرَّقِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ، بَلْ يَرْقُونَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ يَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمُ الشِّفَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) رواه البخاري.

ولا يَتَطَيَّرُونَ: أي لا يتشاءمون.

فهؤلاء لثقتهم بربهم يتوكلون عليه، ويُنزلون حاجتهم وضعفهم به جل وعلا.

سبقك عكاشة:

لما ذكر النبي ﷺ هذه الأوصاف، ومدح السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، اشتاق الصحابة إلى أن يكونوا منهم، فقام إليه عكاشة بن مَخْصَن فقال: « ادع الله أن يجعلني منهم. فقال ﷺ: اللهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر، قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة »^(١).

ثمانون صفًا!

قال ﷺ مبينًا كثرة أمته في الجنة: « أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صفًا، أنتم ثمانون صفًا »^(٢).

وقال ﷺ لأصحابه يومًا: « والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبر الصحابة فرحًا واستبشارًا. فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبروا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبروا. فقال ﷺ ضاربًا المثل على كثرة أمته يوم القيامة مقارنة ببقية الأمم: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود »^(٣).

وأخبر ﷺ أنه أكثر الأنبياء أتباعًا مؤمنين مصدِّقين، فقال: « أنا أول شفيع في الجنة لم يُصدِّق نبي من الأنبياء ما صدَّقت. وإن من الأنبياء نبيًا ما يُصدِّقه من أُمته إلا رجل واحد »^(٤).

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ في مصنفه، صحيح.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

السبب في كثرة أمة نبينا محمد ﷺ:

فائدة



مدة مكث النبي ﷺ مع الناس داعياً لهم مدة أقصر مما مكّته الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، بل عدد الأمم السابقة أيضاً لا يقال إنه أقل من عدد أمتنا، فقد ذكر الله تعالى أن الأمم السابقة كانوا أكثر عدداً منا، كما قال تعالى: ﴿كَأَلَيْتَ مِنْ قَبْلِكَمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا﴾ [التوبة: ٦٩].

لكن السبب - والله أعلم - هو أن معجزة الرسول ﷺ الكبرى كانت قرآناً ووحياً يخاطب العقول، ويأسر القلوب، ويؤثر في النفوس، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة.

قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١).

سباق..

همة وجُزأة ومبادرة عُكاشة
أَكْسَبَتْهُ دَعْوَةُ شَائِسَتِ غَيْسِرَةَ

(١) متفق عليه.

خُدم أهل الجنة

أهل الجنة مع رِقَّة نعيمهم، ونعومة رِقَّتِهِمْ، وتنَعُّم أجسادهم، وترقُّفهم، لهم خُدم حِسان، تُسرُّ العين برؤيتهم، ويفرح الفؤاد ببقائهم.

- فمن يخدم أهل الجنة؟
- وما صفات هؤلاء الخُدم؟
- وكم عددهم؟

مداخل:



يمر بأهل الجنة ويطوف عليهم خُدام غلمان حِسان مُعدُّون لخدمتهم، في حسنهم وبهائهم كأنهم لؤلؤ ناصع البياض لم يخرج من أصدافه، لم تُصبه شمس ولا ريح.

قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

قوله ﴿وِلْدَانٌ﴾ أي غلمان يخدمونهم، وهم شباب، وجوههم نُضرة، كأنهم لحسن ألوانهم، ونُضرة وجوههم، وكثرة انتشارهم، كأنهم اللؤلؤ المنثور، وهم لا يَهْرَمُونَ ولا يَشْيَبُونَ، ولا تَتَبَدَّلُ أحوالهم.

قوله ﴿مُخَلَّدُونَ﴾: لا يَهْرَمُونَ ولا يتغيرون ولا يموتون.

وهؤلاء الخُدم مخلوقون في الجنة خُدَمًا لأهلها، أنشأهم الله تعالى.

كم عدد خدم الجنة؟

مسألة



الجواب: خدم أهل الجنة كثير، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه:

« ما من أهل الجنة أحدٌ إلا يسمى عليه ألف خادم، كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه »^(١).

نعيم..

سكان الجنة.. هم بين خدم يخدمون..
وأهل يكرمون.. وأزواج يعشقون..

(١) ذكره ابن المبارك في الزهد والرقائق، وأبو نعيم في صفة الجنة، صحيح.

النساء في الجنة

الجنة متعة كاملة للرجال والنساء، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

وقد وصفت الأحاديث جمال رجال أهل الجنة، لتكتمل متعة المؤمنين بأنفسهم وحسن مناظرهم، ولتكتمل متعة زوجاتهم في الجنة بهم.

وكذلك وصفت الأحاديث جمال النساء المؤمنات في الجنة، لتكتمل متعة المؤمنة بنفسها وجمالها، وتكتمل متعة زوجها في الجنة بها.



- فما هي صفات نساء الجنة؟
- وهل تتغير أشكال النساء المؤمنات فيها؟
- وأيهما أعلى درجة في الجنة المرأة المؤمنة من الدنيا أم الحور العين؟

مدخل:

وصف الله تعالى نساء الجنة من الحور العين وحسنهن وجمالهن الظاهر والباطن بأوصاف متنوعة، وما من وصف وُصف به الحوريات إلا والمرأة المؤمنة أجمل منه وأبهى.

إذ لا يساوي الله تعالى بين المؤمنة التي تعبت في الدنيا، وصَلَّتْ، وتعبدت، وابتعدت عن الحرام، وصامت النهار، وبكت في الأسحار.. لا يساوي الله بينها في الحسن والجمال والإكرام مع حورية خلقت للجنة، ولم تُكَلَّفْ بعبادة قبلها..

فكل وصف فيما يأتي لحورية فلتعلم المؤمنة أنها أعلى منه وأحلى..

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «يا رسول الله، أنساء الدنيا أفضل أم الحُور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة^(١). قالت: يا رسول الله، وبم ذاك؟ قال: بصلاتهن، وصيامهن لله ﷻ ألبس الله رِجْلَ وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صُفْر الحلي، مجامرهن الدرّ، وأمشاطهن الذهب، يُلْنُ: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا. ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا. ألا ونحن المُقيّمات فلا نَطْلَعن أبدا. ألا ونحن الرّاضيات فلا نسخط أبدا. طوبى لمن كنا له وكان لنا»^(٢).

ولا شك أن هذا النعيم والحسن والجمال يدفع المرأة المؤمنة في الدنيا للازدياد من العمل الصالح، والحرص على الخير والعبادة، والرغبة فيما عند الله تعالى.

وصفات النساء في الجنة غاية في الحسن والجمال والرقة والعفاف.. مع ملاحظة وتغنيج.. وهنا طرف مما ورد في صفاتهن:

(١) الظهارة: هي الثوب الظاهر الذي يراه الناس، ويلمسونه، ويكون غالباً غالي الثمن، جميل المنظر، والبطانة: هو الثوب الداخلي الذي يكون تحته، وهو في الغالب يكون من عامة الثياب، أقل ثمناً من الظهارة، فنساء الدنيا المؤمنات يُفَضَّلْنَ على الحور العين كما تفضل الظهارة في حسننها وبهائنها، على البطانة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حسن.

١ - نساء الجنة جميلات:

قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

والمؤمن في الجنة يتزوج زوجته الصالحة في الدنيا، فتكون جميلة العينين، حسنة الملامح، كاملة القوام، ناعمة الجسم.

والحُور: جمع حُوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة التي من شدة جمالها يحار الناظر من حسننها وبياضها وصفاء لونها.

أما قوله ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي واسعة العينين شديدة سواد حدقة العين، في شدة بياض بقية العين.



٢ - نساء الجنة في سن الشباب:

وهذا الذ وأمتع وأسرّ لهن، ولأزواجهن،

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ۖ فَعَلَّنَّهُنَّ ۚ ۝٣٥﴾

أَجْكَارًا ۚ ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۚ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۚ ۝٣٧﴾

[الواقعة: ٣٥ - ٣٨].

قوله تعالى ﴿أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي:

النساء الآدميات المؤمنات يخلقهن الله تعالى غير خلقهن الأول، ويُصْبِحْنَ أَبْكَارًا شَابَّاتٍ، ويشهد لذلك ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها:

« أن النبي ﷺ أتته امرأة عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال لها النبي ﷺ ما زحاً: إن الجنة لا تدخلها عجوز.

فذهبت العجوز حزينة، ظانّة أنها لن تدخل الجنة! وذهب النبي ﷺ فصلّى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة:

لقد لقيتُ من كلمتك مشقةً وشدةً. فقال ﷺ: **إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكاراً** ^(١).

يعني أنها لن تدخلها وهي عجوز بل ستعود شابةً في غاية النضارة والحسن والجمال، فلما أخبروا المرأة العجوز بذلك، فرحت واستبشرت.

٣- لا تحيض؛

وذلك لتكتمل متعة نساء الجنة وأزواجهن، كما قال تعالى: ﴿**لَهُمْ فِيهَا** **أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾ [النساء: ٥٧]، أي: **مُطَهَّرَاتٌ مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ**، والبول والغائط، والمُخَاطِ والبُصَاقِ، وكل قذر وأذى، وهن أيضاً مطهرات من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة، ومن الفُحْشِ والبذاءة.

٤- ترى زوجها أجمل الرجال؛

وهذا من تمام النعيم للزوجة وزوجها، فهي تملأ عينه حسناً كما أنه يملأ عينها حسناً. قال تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾ [الصافات: ٤٨].

ومعنى قاصرات: فهي تقصُر نظرها على زوجها، لا تلتفت إلى غيره، ولا ترغب إلا فيه، بل تراه الأجمل والأحسن من الرجال.

٥- جمال أجسامهن؛

مع نضارة الوجه وجماله، زاد الله تعالى نساء الجنة جمال الأجسام وتناسقها، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**﴾ (٣١) **حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا** (٣٢) **وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا** [النبا: ٣١-٣٣].

(١) ذكره أبو نُعَيْمٍ في صفة الجنة، والطبراني في المعجم الأوسط، حسن لغيره.

فهن كَواعِب، وكواعب جمع كاعِب، وهي المرأة مكتملة الحسن والجمال في مواضع جسدها، وهن أتراب أي متماثلات الأعمار.

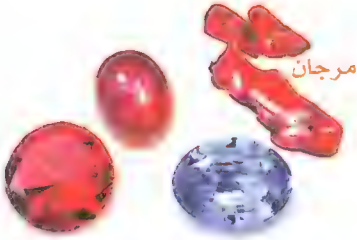
٦- حَسَنَةُ التَّبَعْلِ لزوجها؛

نساء الجنة ملاطفات لأزواجهن، لا غِلظة فيهن، كما قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٢٢٧]، والمرأة العَرُوب هي التي تَتَنَعَّم لزوجها، وتؤانسه.

٧- نساء أَبْكَار؛

كما في قوله: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْإِطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ١٥٦] أي: لم يطمأنهن ولم يجامهن إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ قبل أزواجهن.

٨- صافيات الجلد كاللؤلؤ؛



مرجان

كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾

[الرحمن: ٥٨].

أي في صفاء الياقوت في بياض المَرْجَان، لدرجة أن الناظر إليها يرى عَظْم ساقها من وراء جلدها.

قطع من الياقوت والمرجان

قال ﷺ: «أول زُمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض. لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مَخَّ ساقها من وراء لحمها من الحسن»^(١).

(١) متفق عليه.

٩- حسنات الأخلاق:

وصف الله تعالى نساء الجنة بأنهنَّ خَيْرَاتِ الصِّفَاتِ والأَخْلَاقِ، مع حُسْنِ وجوههن، فقال تعالى: ﴿فِيهنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن: ٧٠).

١٠- في وجوههن نور وصفاء:

وهذا من تمام جمالهن وحُسنهن، أن الناظر إليها يحسب من شدة بياضها، وصفاء جلدها، يرى في وجهها نوراً.

وقال ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت ما بينهما، وولمأت ما بينهما ريحا. ولنصيفُها خير من الدنيا وما فيها»^(١).
ونصيفُها هو خمارها الذي على رأسها.

وقال النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨): «يَنْظُرُ إلى وجهه في خدّها أقصى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنها يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مَخَّ ساقها من وراء ذلك»^(٢).

عدل..

المؤمنة النقية.. الصالحة النقية..
أفضل من الحورية.

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، حسن.

زوجة في الدنيا والآخرة!



زوجة المؤمن في الدنيا إذا كانت
صالحة، وكانت مُحبة لزوجها، وهو
مُحب لها..

• فهل تكون زوجته في الجنة؟

• وهل تتفاوت الدرجات؟

مدخل :

زوجة المؤمن في الدنيا، تكون زوجته في الجنة أيضاً، إلا أن الله تعالى يزيد
الزوج والزوجة في الآخرة جمالاً في الوجوه، وحسناً في الأخلاق.

بل من فضل الله ورحمته أنه يرفع درجة الزوجة إلى درجة زوجها، إن
كان أعلى منها في الجنة، ويرفع درجة الزوج إلى درجة زوجته، إن كانت
أرفع منه.

كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَنْعَمُ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

نعم عُقْبَى الدار:

وهي دخول جنات عدن، والإقامة فيها خالدين أبداً، لا يخرجون منها أبداً،
والمُتَّع تتجدد لهم في كل حين.

ويجمع الله بين المؤمنين في الجنة وبين أحبائهم من الآباء والأزواج والأبناء الصالحين، لتقر أعينهم بأهلهم؛ وتدخل عليهم الملائكة من كل باب يسلمون عليهم ويهنئونهم بفوزهم بدخول الجنة.

وتقول لهم الملائكة: **سلام عليكم**. أي: لكم الأمن الدائم، والسلامة من كل بليّة، فلقد صبرتم فانتفعتم بصبركم، واحتملتم المشاق والآلام ففُزتم، فما أحسن عاقبتكم، وما أعظم جزاءكم.

بل إن العلاقة بين الملائكة والمؤمنين علاقة قديمة، من أيام الدنيا، فقد أخبرنا الله تعالى أن الملائكة الذين يحملون العرش ومن حولهم، يدعون للمؤمنين، بالمغفرة ودخول الجنة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [زخرف: ١٧].

أهل الجنة مشغولون:

نعم، أهل الجنة مشغولون باللذات والمتع، باستمتاعهم بأزواجهم في الجنة، فهم في شغل بهم.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ ۖ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۖ﴾ [٦١] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٩ - ٧٠].

تُحْبَرُونَ: الحُبُور هو الفرح والسرور.

ذكرنا أن المرأة في الآخرة تكون في الجنة مع زوجها الذي كان معها في الدنيا، لكن: من كان لها زوجان في الدنيا، ودخلوا جميعاً إلى الجنة، فلمن تكون؟

إشكال



الجواب: سألت أم حبيبة، زوجة النبي ﷺ رسول الله ﷺ قالت:

«يا رسول الله، المرأة منا يكون لها في الدنيا زوجان، ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجها، لأيهما تكون، للأول، أو للأخير؟ فقال ﷺ: تَخْتَارُ أَحْسَنَهُمَا خَلَقَا كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَكُونُ زَوْجَهَا فِي الْجَنَّةِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أُمَّ حَبِيبَةَ، ذَهَبَ حَسَنُ الْخَلْقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَخَيْرِ الْآخِرَةِ»^(١).

وفاء..

تعاون الزوجين في الدنيا على الدين..
يجمعهما في الجنة آمنين

(١) أخرجه عبد بن حميد، حسن.

سوق الجنة

مُتَّع الجنة وأنواع سرورها كثيرة متنوعة، فمن طعام وشراب ولباس وأنس وسرور وحُبُور.. ولا يزالون في كل يوم يرون متعة جديدة، في حياة مديدة. ومن هذه المتع: سوق الجنة.



- فما سُوق الجنة؟
- وماذا يباع فيه؟
- وما أهميته وهم يستمتعون
- بما شاءوا؟

ملاحظة:

كلما تنوعت المتع عند المرء صارت عيشته أمتع وأحلى وألذ، لذلك يجعل الله تعالى في الجنة سوقاً، لأن بعض الناس يستمتع بالذهاب إلى السوق، ورؤية ما فيه.

جمال سوق الجنة:

سوق الجنة ليس مثل أسواق الدنيا، في متعته، وجماله، ونوع ما يُعرض فيه.

قال ﷺ: «ان في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهبّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(١).

(١) رواه مسلم.

فهذا سوق في الجنة يجتمع فيه أهل الجنة، كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق. وخصّ ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب، فكانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشمالية الشامية، فتهب عليهم هذه الريح، وتثير المسك الذي على أرض الجنة.

يشتاقون للتسوق؛

سوق الجنة فيه من المتعة والحبور ما يجعل أهل الجنة ينتظرونه ويترقّبونه.

لقي سعيد بن المسيب، أبا هريرة رضي الله عنه، فقال له أبو هريرة: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. قال سعيد: أو فيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن: أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله جل وعلا، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أديانهم وما فيهم دني على كُثبان المسك، والكافور^(١) ما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلسا.

قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تتمازون^(٢) في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمازون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتى إنه ليقول للرجل منهم: يا فلان، أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ يُذكره بعض غدراته في الدنيا^(٣)، فيقول: يا رب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بلغت منزلتك هذه.

(١) أخرجه عبد بن حميد، حسن.

(٢) تتمازون: تشكون.

(٣) يعني خاطبه الله تعالى وكلمه، ويُذكره ببعض غدراته في الدنيا: أي يذكره ببعض أخطائه وذنوبه التي عملها في الدنيا.

فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم^(١). فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط. ثم يقول جل وعلا: قوموا إلى ما أعددنا لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقا قد حَفَّتْ به الملائكة ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس نباع فيه شيء ولا يشتري. وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا.

فيقبل الرجل ذو المنزل المرتفعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه بأحسن منه^(٢). وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحَقُّنا أن نقلب بمثل ما انقلبنا^(٣).

علم..

علم ربنا أن شهوات الناس
ولذاتهم تتنوع.. فنوع لهم
متع الجنة..

(١) غشيتهم: غطتهم وأصابتهم.

(٢) يتمثل: يُصوِّر عليه ويُلبس.

(٣) رواه ابن جبان، حسن، وقوله: ننقلب: الانقلاب: الرجوع أو الإياب، أي يقول أهل الجنة: إنا لقينا الجبار ربنا سبحانه، فيحق لمن لقي الله تعالى أن يرجع بخير مما ذهب به.

إني كان لي قرين!

أهل الجنة متنوعون في لذاتهم، وأمانيتهم.. ولهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم، وتلذّ أبصارهم، ويخطر على قلوبهم..



- فهل يتذكرون الدنيا؟
- وما حال معارفهم من أهل النار؟
- وما أحاديثهم في ذلك؟

مدخل:

لأهل الجنة مجالس يتحدثون بما شاءوا، وربما تحدثوا من أمورهم التي كانت بينهم في الدنيا، ومواقف في أمانيتهم وسؤاله ربه.

وكذلك هم يتذكرون أهل النار، ويحمدون الله تعالى أن أنجاهم من عذابها.. ولهم في ذلك أخبار، ومن ذلك:

قصة القرين وقرينه:

أهل الجنة يتلاقون ويتزاورون فيما بينهم، ويتذكرون ما كان بينهم في الدنيا، ويتحدثون، ويتأسون، ويتساءلون عن أشخاص كانوا معهم في الدنيا.. ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت لهم في الدنيا، وهم على الأرائك متكئون، وبالمتّع متنعمون، حتى تصل بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن يتذكر أحد المؤمنين المنعمين رجلاً كان معه في الدنيا، كان ينكر اليوم الآخر، ويُقنّطه من لقاء الله تعالى، فحدث هذا المؤمن أصحابه المؤمنين عن

ذاك صاحب السيئ.. وقد وصف الله تعالى هذا الموقف بقوله جل وعلا:
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهَذَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَهَذَا الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٣].

عندها يعلمون أن هذا الرجل ليس معهم في الجنة، فيقترح بعض المؤمنين على بعض أن ينظروا في النار ليرَوْه.. كما قال ربنا سبحانه: ﴿قَالَ هَلْ أُشْرُكُ بِمُطْلِعِ الشَّمْسِ﴾ [الصافات: ٥٤].

حال قرينه !!

عندها ينظر هو وأصحابه إلى النار، فيراه يتقلب في دركاتهما، ويحترق بلظاها، ويصرخ من عذابها، ويستغيث ولا مُغيث.. حوله ثعابين من نار.. وحجارة من جمر حار.. قال الله: ﴿فَأَطْلَعَ قَرْنَاهُ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]..

نعم.. رآه في سواء الجحيم.. وقد اسودّ لونه.. وتقطع جلده.. وعظم عذابه.. وهذا جزاء من طغى وتولى.. وتجبر وأبى.. عندها يرقص قلب المؤمن فرحاً.. وتطير نفسه سروراً.. ويحمد ربه على أنه ما أطاع صاحبه الفاجر في الدنيا.. وما اتبعه على ضلاله.. ويبدأ المؤمن يلوم صاحبه السابق على ضلاله، ويحمد الله أن حمّاه من الضلال.. كما قال تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ ﴿٥١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُنْزِلَ هَذَا فليَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٥٦ - ٦١]

نعم.. لو أطاعه على كفره وتكذيبه باليوم الآخر لكان مُخْضَرًّا معه في سواء الجحيم..

فرصة..

الحياة فرصة لا تتكرر..
فاحذر من تضييعها بصحبة سيئة.

رؤية المؤمنين ربهم جل وعلا

رؤية الله تعالى في الآخرة.. هي الزيادة الحسنى، والنعمة العظمى.. والغاية الكبرى.. وكلّ لذة في الجنة تصغر إذا قُورنت بلذة النظر إلى وجه ربنا العظيم جل جلاله.. نسأل الله تعالى أن يمن علينا بلذة النظر إلى وجهه..



- فمتى ينظر المؤمنون إلى ربهم؟
- وما الأدلة على الرؤية؟
- وما لذتهم في ذلك؟

مداخل:

بيّن الله تعالى أن المؤمنين الطائعين، الأتقياء المقربين، ينظرون إليه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والحسنى هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه ربنا الكريم..

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يُّومِرُ نَازِرَةً ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فهي وجوه جميلة نازرة.. أي تملؤها النُّزارة والصفاء.. وهي إلى ربها نازرة..

وقال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا! ألم تدخلنا الجنة! وتنجينا من النار! فيكشف الحجاب^(١). فما أُعْطُوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ. ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]»^(٢).

(١) أي يكشف ربنا الحجاب عن وجهه الكريم العظيم، فينظر المؤمنون إليه.

(٢) رواه مسلم.

الصحابة يسألون عن رؤية الله:

الصحابة الكرام هم خيار المؤمنين، وقدوة الصالحين، وكان حب الله تعالى يملأ قلوبهم، ويتملك نفوسهم، وهم أكمل الأمة إيماناً، وأصفاها عقيدة، وأكثرها عبادة.

وقد سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ، قالوا: «يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: هل تَصَارُونَ في رؤية القمر ليلة البدر^(١). قالوا: لا، يا رسول الله. فقال: هل تَصَارُونَ في الشمس ليس دونها سحاب^(٢). قالوا: لا، يا رسول الله. قال فإنكم ترونه كذلك»^(٣).

أي ترونه جل وعلا رؤية صريحة واضحة، لا تتزاحمون لذلك ولا تتضاغظون.

أهل الجنة في نعيمهم وأنسهم ومناهم، والنظر لوجه الله تعالى أعظم نعيم الجنة، فمتى ينظرون إلى الله؟

مسألة



الجواب: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **ليونس: ٣٦** فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو! ألم يُثَقَّل موازيننا! ويبييض وجوهنا! ويدخلنا الجنة! ويخرجنا من النار! فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله ﷻ، فما شيء أعطوه هو أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»^(٤).

(١) أي: هل تعجزون أن يصيبكم ضرر ومشقة في رؤية القمر وهو بدر أي في منتصف الشهر الهجري، وقد اكتمل القمر فوقكم وصار في غاية الوضوح.

(٢) أي هل تعجزون أو تتضررون في رؤية الشمس واضحة في رابعة النهار؟

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، صحيح.

رضوان الله ورؤيته:

يجمع الله تعالى لأهل الجنة ما بين رضوانه عليهم، ونظرهم إليه ﷺ، قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك؟ فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى! وقد أعطيتنا ما لم نعد أحداً من خلقنا؟ فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني. فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(١).

المصاؤون أولى الناس برؤية الله تعالى:



كان رسولنا ﷺ يذكر أصحابه في كل موقف برؤيتهم لربنا تعالى في الآخرة، ويعلق قلوبهم بذلك، ويشوقهم إليه، ويبين لهم أن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر، استحق أن ينظر إلى وجه الله تعالى.

كما قال جرير رضي الله عنه: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إلى السماء ليلة البدر، فنظر إلى القمر، فقال: أما إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا»^(٢).

أي إن استطعتم أن لا يغلبكم الشيطان فيفوت عليكم صلاة الفجر وصلاة العصر، بنومكم عنها، وتضييعها، فافعلوا.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، ومعنى ليلة البدر: أي الليلة الرابعة عشرة من الشهر الهجري، التي يكون فيها القمر مكتملاً، بدرًا تاماً، والصلاتان المقصودتان هما الفجر والعصر.

رؤية الله أعظم نعيم الجنة:

وصف النبي ﷺ بناء الجنة من الذهب والفضة، وحُسنه وبهاءه، ثم بين أنهم مع هذا النعيم والأنس، يزدادون أنسًا وفرحًا بالنظر إلى وجه الله تعالى.

قال ﷺ: «جنتان من فضة، أنيتهما وما فيهما. وجنتان من ذهب، أنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(١).

نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لذة النظر إلى وجهه.. آمين.

أعلاهم منزلة يرى وجه ربنا بالغداة والعشي:

لما كان أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات، كان نعيم بعضهم أكثر من بعض، وفي ذلك قال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه وسُرُّه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم ينظر إلى ربه بالغداة والعشي»^(٢).

لذة..

والله لولا رؤية الرحمن في الجنات..
ما طابت لدي العِزَّان.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي والطبراني، صحيح، ومعنى سُرُّه: السُرُّ: جمع سَرير، وهو ما يُجلس عليه أو يضطجع عليه، وأرفعهم: أي أعلاهم منزلة، وأفضلهم مقامًا، هو الذي ينظر إلى وجه الله تعالى في الغداة والعشي، أي في أول اليوم وآخره.

أماي أهل الجنة

في الجنة ما تشتهيهِ النَّفْس وتَلَدَّ العين.. ولا يشتهي العبد في الجنة شيئاً إلا حصله، ولا يخطر على باله شيء إلا حضر بين يديه، وتتعدّد أمنيات أهل الجنة، وتتنوع متعهم، فمنهم:

رجل يحب الزرع:



الإنسان في الدنيا يتعب نفسه بالزراعة والحرث والعناية، ليعيش من ذلك ويطعم أولاده، فيتحمل التعب والحرَّ لأجل ذلك.

أما في الجنة، فهو في جنات ونهر، وزروع ومقام كريم، فلا يحتاج أن يزرع ويحرث..

لكن رجلاً في الجنة، يشتهي أن يزرع، فما هو خبره؟

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يوماً يُحدِّث أصحابه وفيهم رجل من أهل البادية.. فقال ﷺ: «إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع^(١). فقال له: ألسنت فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع. فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاؤه، فكان أمثال الجبال^(٢). فيقول الله: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَم، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شيء.

(١) هذا الرجل في الجنة رأى أرض الجنة طيبة، وتربتها جيدة، والماء يجري في أنحائها، فاستأذن ربه أن يزرع، كما كان يزرع في الدنيا.

(٢) أي أذن الله تعالى له بالزرع، فلما ألقى البذر، «بادر الطرف» أي صار نبات الزرع ونموه سريعاً جداً أسرع من حركة الرمش في العين، فلا يحتاج أن يترقب نموه كل يوم، بل بأقصى سرعة نبت واستوى وحصله في أقل مدة.

فلما سمع الأعرابي الجالس مع الصحابة هذا الخبر، قال: يا رسول الله، والله لا تجده إلا قَرَشِيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع^(١). فضحك النبي ﷺ^(٢).



بعضهم يتمنى الولد:

مع أن المؤمن في الجنة، قد ألحق الله تعالى به أولاده المؤمنين، فصارت متعته مع بنيهِ وزوجه أعظم المتعة، إلا أن المؤمن في الجنة قد يشفق أن يُولد له ولدا

فيتمنى الولد، فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل امرأته وتضع في ساعة واحدة، فلا آلام حمل، ولا انشغال بترقب الولادة، ولا ضرر ولا مشقة.

قال ﷺ: «إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حَمْلُهُ وُضْعُهُ وشبابه، كما يشتهي في ساعة»^(٣).

قدرة..

الجنة مَنعة تامة. يعطي ربنا
القدير عباده فيها ما يشتهون.

(١) يعني أن الأنصار والمهاجرين من سكان المدينة، عملهم أصلاً وتكسبهم هو من الزراعة، أما الأعراب في البادية والصحراء فعملهم في رعي الغنم والإبل.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن جبان، صحيح.

ذبح الموت!!

مما يزيد رغبة أهل الجنة بها، وتلذذهم بمُتعتها، أن الله تعالى جعلهم فيها خالدين، لا يموتون، ولا يبيدون، ولا يفتنون، بل ولا يمرضون، ولا يحزنون.



• فكيف يخلدون فيها؟

• وما حال الموت؟

مدخل:

مما ينغص النعيم على العبد، ويقلل استمتاعه به، تذكُّره بين لحظة وأخرى أن هذا النعيم زائل منه، ومنقطع عنه، وهذا حال نعيم الدنيا مهما عظم وطاب فهو زائل ذاهب..

أما نعيم الجنة فهو دائم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيْهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

خلود أهل الجنة فيها:

خلودهم فيها بعدم خروجهم منها، أو موتهم، كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيْهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا أَجْرٌ لَّعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].. نعم والله.. نعم أجر العاملين..

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوْنٍ﴾ [لهود: ١٠٨].

وقال ﷺ: «من يدخل الجنة يحيا فيها فلا يموت، وينعم فيها لا يناس. لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» ^(١)

وقال ﷺ: «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتسوا أبدا، فذلك قوله ﷺ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَخَيَّرَ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُّوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ^(٢) (الأعراف: ٤٣)»

ذبح الموت:

الموت يهجم على الصغير فيقطع عمره، ويهجم على التاجر فيحرمه من تجارته، ويهجم على المريض فيريحه من مرضه، الموت يهجم على الجميع، لا يفرق بين كبير وصغير، ولا بين غني وفقير.. فالموت باب وكل الناس داخله.. والموت ما ذكر في لذة إلا قللها، ولا ذكر في أنس إلا كدره.. أما في الجنة فلا موت!!



(١) أي لا تفسد ثيابه بطول لبسه لها، ولا ينتهي شبابه بمرور الأوقات عليه، بل ثيابه جديدة عالية، وشبابه باقٍ لا تلحقه كهولة ولا شيخوخة.
(٢) رواه مسلم.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل النار النار، وأدخل أهل الجنة الجنة، يُجاء بالموت كأنه كبش أملح. فينادي مُناد: يا أهل الجنة، تعرفون هذا؟ فيشرّئبون وينظرون. وكل قد راوه، فيقولون: نعم، هذا الموت. ثم ينادي: يا أهل النار، تعرفون هذا؟ فيشرّئبون وينظرون^(١). وكلهم قد راوه فيقولون: نعم، هذا الموت. فيؤخذ فيذبح. ثم ينادي: يا أهل الجنة، خلود ولا موت. ويا أهل النار، خلود ولا موت. فذلك قوله: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)».

فما أعظم التفاوت هناك بين فرح أهل الجنة وأنسهم.. ومتعتهم وفرحهم.. وبين حزن أهل النار وبكائهم.. وحسرتهم وعذابهم..

رؤية..

يرى أهل الجنة وأهل النار
بأعينهم الموت منبهرين..
ليزداد يقينهم بالخلود.

(١) يَشْرَئِبُّونَ: أي يرفعون رؤوسهم ويمدّون أعناقهم لينظروا.

(٢) رواه النسائي، صحيح.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين..
وبعد..

من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة إقبال القلب على الله تعالى منكسراً خاضعاً.. متقرباً خاشعاً.. فيورثه ذلك عبادة وحُباً لرب العالمين..

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩٠]

ومما يثبّت الإنسان على ذلك يقينه بالآخرة.. ومعرفته بأمورها وحقائقها..

لذلك ألّفت هذا الكتاب.. وقد حرصت فيه على الالتزام بما ورد في كتاب الله تعالى.. وما صح في سنة رسول الله ﷺ..

ومن أكثر ما أتعبنا أثناء العمل في الكتاب اختيار الصور والتّصاميم المناسبة، وذلك أن الكتاب يتحدث عن أمور غيبية، الجنة.. النار.. الصراط.. الميزان.. وهي أمور لم نرها ولا نستطيع أن نجزم لها بشكل معين أو صورة محدّدة..

وبالتالي حاولنا وضع الصور المناسبة، مع الالتزام بالضوابط الشرعية، وعدم الإخلال بجودة الكتاب ومستواه الإخراجي.. حتى خرج بالصورة التي تراها بين يديك..

فإن ترى عيباً فسدّ الخلا.. جلّ من لا عيب فيه وعلا..

وَأَتَمَسَ مِنْ إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الَّذِينَ أَشْرَفُ بِاطْلَاعِهِمْ
عَلَى هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَرَفَقُوا بِأَخِيهِمْ.. وَيُؤَافُونِي بِمَلاحِظَاتِهِمْ.. وَالْعِلْمَ رَحِمَ
بَيْنَ أَهْلِهِ..

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ.. وَأَنْ يَجْزِيَ كُلَّ أَخٍ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ مَلاحِظَةً.. أَوْ
نَقَلْتُ مِنْ كِتَابِهِ مَعْلُومَةً.. خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ.. آمِينَ..^(١)

كتبه /

د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرَبِيُّ

أستاذ العقيدة بجامعة الملك سعود

خطيب جامع البواردي

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الرياض ٩ ذو الحجة ١٤٣٢ هـ الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١ م

Arefe6@gmail.com



(١) لا أنسى كتاب « نعيم الجنة وعذاب النار » في القرآن والسنة » من تأليف الأخ الكريم علي بن نايف الشحود، فقد استفدت منه في موضوع الجنة والنار.

فهرس

- ١ قصة
- ٤ لماذا.. العالم الأخير؟
- ٦ لماذا الإيمان باليوم الآخر؟
- ١٠ القيامة
- ١٠ القيامة الصغرى
- ١١ القيامة الكبرى

١٣ القيامة الصغرى

- ١٥ مدخل
- ١٧ إنه الموت
- ١٩ مَشَاهِدِ الاَحْتِضَارِ
- ١٩ موت نبينا محمد ﷺ
- ٢٠ مرض موت النبي ﷺ
- ٢٢ صلاة الجماعة
- ٢٣ سكرات الموت على نبينا ﷺ
- ٢٤ وفاة عمر رضي الله عنه
- ٢٥ أَصَلَّى الناس؟
- ٢٦ ثناء ابن عباس على عمر رضي الله عنه
- ٢٧ نصيحة على فراش الموت

- أبو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٢٨
- عَامِرُ بْنُ الزَّيْثِرِ..... ٢٨
- عبد الرحمن بن الأسود..... ٢٩
- يزيد الرَّقَاشِي..... ٢٩
- مواعظهم في الاَحْتِضَار..... ٣٠
- هارون الرشيد..... ٣٠
- عبد الملك بن مروان..... ٣١
- أنواع أخرى من الاَحْتِضَار..... ٣٢
- شارب خمر..... ٣٣
- تارك الصلاة..... ٣٤
- الإيمان بالموت..... ٣٦
- ما الموت؟..... ٣٧
- من مَلَكَ الموت؟..... ٣٨
- لا يدري أحد أين مكان موته؟..... ٣٩
- تَذَكُّرُ الموت..... ٣٩
- الاستعداد للموت..... ٤١
- مدخل..... ٤١
- أعمال تنفع بعد الموت..... ٤٢
- كتابة الوصية..... ٤٢
- علاقة الموت بالروح..... ٤٣
- أحكام الميت..... ٤٤
- علامات الموت..... ٤٤
- حمل الجنازة للقبر..... ٤٥
- يتبع الميت ثلاثة..... ٤٦

الحياة البرزخية..... ٤٧

مدخل..... ٤٩

القبر..... ٥١

قصة..... ٥١

حال الإنسان في قبره..... ٥٣

حال المؤمن..... ٥٣

حال الكافر أو الفاسق..... ٥٥

بين الروح والجسد..... ٥٨

مدخل..... ٥٨

أرواح الأنبياء..... ٥٩

أرواح الشهداء..... ٦٠

تفصيل أحوال الشهداء..... ٦٠

أما أرواح المؤمنين غير الشهداء..... ٦٤

الشهداء..... ٦٥

أدلة عذاب القبر ونعيمه..... ٦٧

مدخل..... ٦٧

أدلة عذاب القبر ونعيمه..... ٦٧

لن يكون نعيم القبر؟..... ٦٩

على من يكون عذاب القبر؟..... ٦٩

أحوال الناس في الحياة البرزخية..... ٧٤

مدخل..... ٧٤

أسباب عذاب القبر..... ٨٠

مدخل..... ٨٠

الشرك والكفر..... ٨٠

عدم التنزه من البول..... ٨١

النَّهْيَةُ ٨٢

الغُلُول ٨٣

الفِطْرُ في رمضان عَمَدًا بلا عُذْر ٨٣

النجاة من عذاب القبر ٨٥

مدخل ٨٥

الصلاة ٨٥

والزكاة ٨٦

والصوم ٨٦

وفِعْلُ الخَيْرَات ٨٦

والصدقة والصِّلَة ٨٦

والمعروف ٨٧

والإحسان إلى الناس ٨٧

الاستعاذة بالله من عذاب القبر ٨٨

الناجون من عذاب القبر ٨٩

١ - الشهيد ٨٩

٢ - المُرابِط في سبيل الله تعالى ٨٩

٣ - من مات بداء البَطن ٩٠

٤ - قِراءة سورة المُلك كل ليلة ٩٠

مخلوقات لا تَفْنَى ٩٢

مدخل ٩٢

عَجْبُ الدَّيْب ٩٢

الأرواح ٩٣

الجنة والنار ٩٣

العَرْش ٩٤

الكُرسي ٩٤

الحُور العِين ٩٤

اللَّوْح ٩٤

القَلَم ٩٥

٩٦	سبع مسائل عن القبر.....
٩٦	مدخل.....
٩٦	المسألة الأولى.....
٩٧	المسألة الثانية.....
٩٧	المسألة الثالثة.....
٩٨	المسألة الرابعة.....
٩٩	المسألة الخامسة.....
١٠٠	المسألة السادسة.....
١٠٠	المسألة الأخيرة.....

اليوم الآخر..... ١٠٣

١٠٥	مدخل.....
١٠٧	منزلة الإيمان بالآخرة.....
١٠٧	مدخل.....
١٠٧	معنى الإيمان باليوم الآخر.....
١٠٩	صفات اليوم الآخر.....
١٠٩	مدخل.....
١٠٩	يومٌ حق لا شك في وقوعه.....
١١٠	يوم عسيرٌ على الكفار.....
١١٠	يومٌ تُوفى فيه كل نفس ما كسبت.....
١١٠	يومٌ محدد عند الله بأجل.....
١١١	يومٌ قريب.....
١١١	يومٌ يأتي بغتة - فجأة.....
١١١	يومٌ عظيم.....
١١٢	تُذنى الشمس من العباد.....
١١٢	يوم لا يتكلم أحد إلا بإذن الله ﷻ.....
١١٣	يوم الملك لله ﷻ وحده.....
١١٣	يوم ندم المعرضين.....

١١٤	متى تقوم الساعة؟
١١٤	مدخل
١١٦	طول ذلك اليوم
١١٧	أسماء اليوم الآخر
١١٧	مدخل
١١٨	من أسمائه

١٢٣ النفخ في الصور

١٢٥	مدخل
١٢٥	النافخ في الصور
١٢٦	الأدلة على النفخ في الصور
١٢٧	عدد مرات النفخ في الصور
١٢٧	النفخة الأولى
١٢٧	النفخة الثانية
١٢٨	مقدار الوقت ما بين النفختين
١٢٩	أي يوم ينفخ في الصور؟
١٢٩	أول من يسمع النفخة الأولى (نفخة الصَّعْق)
١٣٠	رحمة الله بالمؤمنين

١٣٣ البعث والنشور

١٣٥	مدخل
١٣٥	الأدلة على وقوع البعث
١٣٦	أدلة واقعية على إمكان البعث
١٣٦	إنزال المطر على الأرض الميتة فتحيا بإذن الله
١٣٧	الاستدلال ببدء الخلق على إعادته
١٣٧	إحياء بعض الأموات في الدنيا
١٣٨	كمال قدرته سبحانه بإخراج الشيء من ضده
١٣٩	قدرته تعالى على خلق السموات والأرض
١٣٩	حال غير المقبورين

- ١٤٠ كيفية البعث
- ١٤٢ الأجساد تنبت كما ينبت النبات
- ١٤٤ أول من تنشق عنه الأرض
- ١٤٥ حكم من أنكر البعث

١٤٧ أهوال قيام الساعة

- ١٤٩ حال السموات والأرض يوم القيامة
- ١٤٩ فأما السموات
- ١٥٠ وأما الأرض
- ١٥١ نُسف الجبال
- ١٥٢ تفجير البحار وتسجيرها
- ١٥٣ دوران السماء وانفطارها
- ١٥٤ لون السماء يومئذ
- ١٥٤ تكوير الشمس
- ١٥٥ القمر
- ١٥٦ النجوم والكواكب

١٥٩ الحشر

- ١٦١ مدخل
- ١٦٢ الأدلة على الحشر
- ١٦٢ صفة أرض الحشر
- ١٦٣ مكان أرض الحشر
- ١٦٤ مقدار يوم الحشر
- ١٦٥ أنواع الحشر
- ١٦٥ النوع الأول: حشر الأحياء
- ١٦٧ النوع الثاني: حشر الموتى
- ١٦٨ صفة حشر الخلائق
- ١٧١ لواء النبي ﷺ في أرض الحشر

- ١٧٢ حال الناس في المحشر
- ١٧٤ شدة فزع الناس
- ١٧٥ حال المؤمنين في ذلك اليوم
- ١٧٦ هيئة حشر الكفار
- ١٧٧ أول من يُكسى يوم القيامة
- ١٧٧ أول من يُدعى يوم القيامة
- ١٧٨ أعمال تخفف شدة المحشر
- ١٧٨ المتحابون في الله تعالى
- ١٧٩ التاجر الذي يُنظر المُعسر أو يضع عنه
- ١٧٩ الذي يُيسر على المعسر
- ١٨٠ الذي يسعى بحاجة أخيه
- ١٨١ العادلون
- ١٨٢ الكاظمون الغيظ
- ١٨٢ المؤذنون
- ١٨٣ الذين يشيرون في الإسلام
- ١٨٤ المتوضئون
- ١٨٥ أهل القرآن
- ١٨٦ المحسنون
- ١٨٦ ناصر الضعفاء
- ١٨٧ حال العصاة في يوم القيامة
- ١٨٧ مانعو الزكاة
- ١٨٩ المتكبرون
- ١٩٠ ذنوب لا يكلم الله أصحابها
- ١٩٠ الأخبار والرهبان والعلماء
- ١٩١ المُسبِل
- ١٩١ المُنفِق سُلُطته بالخلف الكاذب
- ١٩١ المَنَّان
- ١٩٢ الباخل بالماء
- ١٩٢ ناقض البيعة
- ١٩٣ الشيخ الزاني
- ١٩٣ المَلِك الكذاب
- ١٩٤ الفقير المتكبر

١٩٥ ذنوب لا ينظر الله إلى أصحابها
١٩٥ المسبل إزاره خيلاء
١٩٦ العاقق لوالديه
١٩٦ المرأة المتشبهة بالرجال
١٩٧ الدِّيُوث
١٩٧ من أتى امرأة في دُبُرِها
١٩٨ ذنوب يُلْجَم أصحابها بِلِجام
١٩٨ أقوام يَلْقَوْنَ الله وهو عليهم غَضبان
١٩٨ الأثرياء المنعَّمون
١٩٩ حال الغادر يوم القيامة
٢٠١ الغالّ من الغنيمة
٢٠٤ غاصب الأرض
٢٠٤ الذي يسأل وله ما يُغْنِيه
٢٠٥ الذي لا يحافظ على الصلاة
٢٠٦ المُغْتَاب والنَّمَام
٢٠٦ ذو الوجهين
٢٠٧ المصوِّرون

٢٠٩ نَشْرُ الصُّحُف

٢١١ مدخل
٢١١ قسم يُعطى كتابه بيمينه
٢١٢ قسم يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره

٢١٣ العرض والحساب

٢١٥ مدخل
٢١٥ معنى الحساب
٢١٦ أنواع الحساب في الآخرة
٢٢٠ قواعد محاسبة العباد
٢٢١ القاعدة الأولى: العدل التام الذي لا يشوبه ظلم
٢٢٢ القاعدة الثانية: لا يؤخذ أحد بجريرة غيره
٢٢٣ القاعدة الثالثة: اطلاع العباد على ما قدّموه من أعمال

القاعدة الرابعة: مضاعفة الحسنات دون السيئات.....	٢٢٤
القاعدة الخامسة: إقامة الشهود.....	٢٢٥
الأمور التي يُسأل عنها العباد.....	٢٢٧
أولاً: أعظم الذنوب الشُّرك.....	٢٢٧
ثانياً: يُسأل العبد عمّا عمله في دنياه.....	٢٢٨
ثالثاً: يُسأل عن النعيم الذي تمتّع به.....	٢٢٩
رابعاً: يُسأل عن السمع والبصر والفؤاد.....	٢٢٩
أول من يُحاسَب من الأمم.....	٢٣٠
أول ما يُقضى فيه بين الناس.....	٢٣١
حال العباد يوم الفصل والقضاء.....	٢٣٢
أنواع أداء الحقوق يوم القيامة.....	٢٣٤
حقوق الله تعالى.....	٢٣٤
حقوق العباد.....	٢٣٥
حقوق البهائم.....	٢٣٩
الشهود في محكمة القيامة.....	٢٤٠
نبينا محمد ﷺ وأُمَّته يشهدون على الأمم.....	٢٤٠
نبينا محمد ﷺ يشهد على أمته.....	٢٤١
كل رسول يشهد على أمته.....	٢٤٢
الملائكة الحافظون.....	٢٤٣
شهادة الإنسان وإقراره على نفسه.....	٢٤٣
شهادة الأرض.....	٢٤٣
شهادة أعضاء العبد.....	٢٤٤
شهادة الأحجار والأشجار.....	٢٤٦

الميزان ٢٤٧

مدخل.....	٢٤٩
الأدلة على إثبات الميزان.....	٢٤٩
شكل الميزان.....	٢٥٠
ميزان دقيق.....	٢٥٠
ما الذي يوضع في الميزان؟.....	٢٥١
وزن الأعمال.....	٢٥١

- ٢٥١ وزن صحائف الأعمال
- ٢٥٣ وقد يُوزن العامل نفسه
- ٢٥٤ مصير العبد بحسب وزن أعماله
- ٢٥٥ أعمال الكفار
- ٢٦١ أثقل شيء في الميزان!!
- ٢٦٢ حُسْنُ الخُلُق
- ٢٦٢ ذِكرُ الله
- ٢٦٤ الوقف في سبيل الله

٢٦٧ الحَوْض

- ٢٦٩ مدخل
- ٢٧٠ منبر النبي ﷺ على حوضه
- ٢٧٠ موضع الحوض، وترتيبه في الآخرة
- ٢٧٠ نهر الكَوْنَر وعلاقته بالحوض
- ٢٧١ صفات الحوض
- ٢٧٢ حوض واسع
- ٢٧٤ الحوض مُرَبَّع
- ٢٧٤ عدد أباريقه
- ٢٧٥ مصدر ماء الحوض
- ٢٧٥ صفة ماء الحوض
- ٢٧٥ شربة واحدة تروي الظمأ
- ٢٧٦ أول الناس وروداً عليه
- ٢٧٦ تقديم أهل اليَمَن
- ٢٧٧ الواردون على الحوض
- ٢٧٩ حوض نبينا ﷺ لأمته فقط

٢٨١ الشِّفَاعَة

- ٢٨٣ مدخل
- ٢٨٣ تعريف الشفاعة

٢٨٤	شروط الشفاعة.....
٢٨٥	أهمية الشفاعة.....
٢٨٦	لكل نبي دعوة مستجابة.....
٢٨٦	أنواع الشفاعة.....
٢٨٧	أولاً: شفاعة مقبولة.....
٢٨٧	ثانياً: الشفاعة المرفوضة.....
٢٨٨	الشفعاء يوم القيامة.....
٢٨٩	الأنبياء.....
٣٠٢	الملائكة والمؤمنون.....
٣٠٣	الشهداء.....
٣٠٣	رجال صالحون.....
٣٠٤	القرآن.....
٣٠٥	موت الأولاد صغاراً.....
٣٠٦	دعاء الأولاد.....
٣٠٦	الصيام.....
٣٠٧	شفاعة المصلين على الميت.....
٣٠٨	الطريق لنيل شفاعته ﷺ.....
٣٠٨	الذكر بعد الأذان.....
٣٠٨	كثرة الصلاة على النبي ﷺ.....
٣٠٩	كثرة صلاة النافلة.....
٣٠٩	قضاء حوائج المسلمين.....
٣١٠	التأخي في الله.....
٣١٠	كثرة اللعن تمنع الشفاعة.....
٣١١	أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ.....

٣١٣ كل أُمَّة تَتَّبِعْ إِلَهَهَا

٣١٩ كيفية حشر الكافرين إلى النار

٣٢١	الصورة الأولى.....
٣٢١	الصورة الثانية.....
٣٢٢	الصورة الثالثة.....

٣٢٢ الصورة الرابعة
٣٢٢ الصورة الخامسة
٣٢٣ الصورة السادسة
٣٢٣ الصورة السابعة

٣٢٥ الصَّراط

٣٢٧ مدخل
٣٢٧ صفات الصراط
٣٢٨ موقع الصراط
٣٢٨ المشركون لا يمرون على الصراط!
٣٢٩ المنافقون والصراط!
٣٣٠ مقدار نور المؤمن
٣٣١ دعاء المؤمنين عند الصراط
٣٣١ أصناف العابرين على الصراط
٣٣٢ مقدار سرعة العابر على الصراط
٣٣٣ أول من يُجيز الصراط
٣٣٤ النبي ﷺ على الصراط يدعو لأُمته
٣٣٤ الرَّجَم والأمانة على جانبي الصراط

٣٣٧ قِصاص المؤمنين بعد الصَّراط

٣٣٩ مدخل
٣٣٩ كيفية القِصاص بينهم
٣٤٠ إرضاء الخصمَيْن

٣٤١ حال أهل الفِئرة

٣٤٣ مدخل
٣٤٣ حال من لم تَبْلُغه الدعوة

النار ٣٤٥

- ٣٤٧ مدخل
- ٣٤٧ الاستعاذة من النار
- ٣٤٨ الترهيب من النار
- ٣٤٩ أسماء النار
- ٣٤٩ مدخل
- ٣٤٩ جَهَنَّمَ
- ٣٥٠ لَظَى
- ٣٥٠ الحُطْمَة
- ٣٥٠ السَّعِير
- ٣٥١ الهاوِية
- ٣٥١ الجحيم
- ٣٥٢ سَقَر
- ٣٥٣ الأعمال المُنجية من النار
- ٣٥٣ مدخل
- ٣٥٣ الشهادتان بإخلاص
- ٣٥٤ محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ
- ٣٥٥ الصدقة
- ٣٥٥ صيام التطّوع
- ٣٥٦ الحفاظ على صلاة الجماعة
- ٣٥٧ صلاة الفجر والعصر في جماعة
- ٣٥٧ أذكار الصباح والمساء
- ٣٥٧ الاستِجارة من النار
- ٣٥٨ صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها
- ٣٥٩ اغْتِرَار القَدَمَيْن في سبيل الله
- ٣٥٩ البكاء من خشية الله، والجهاد في سبيله
- ٣٦٠ عِتْق الرّقاب
- ٣٦٠ أداء أركان الإسلام
- ٣٦١ الذّب عن عرض المسلم
- ٣٦١ مرض الحَمَى
- ٣٦٢ حُسْن الخُلُق
- ٣٦٢ قَوْل العدل، وإعطاء الفضل
- ٣٦٣ الصبر عند موت الولد

٣٦٣	الصبر على تربية البنات
٣٦٤	أعمال متنوعة تنجي من النار
٣٦٥	مجالس الذكر
٣٦٧	خَزَنَةُ النار
٣٦٧	مدخل
٣٦٧	عدد خَزَنَةِ النار
٣٦٨	وظائف خَزَنَةِ النار
٣٦٩	كبير خَزَنَةِ النار
٣٧٠	أبواب النار
٣٧٠	مدخل
٣٧٠	عدد أبواب النار
٣٧١	أبوابها بعضها فوق بعض
٣٧١	أبوابها مغلقة
٣٧٢	كل باب لأهل عمل
٣٧٣	وقود النار
٣٧٣	مدخل
٣٧٣	وقودها
٣٧٦	في شِدَّة حرها وزَمَهريرها
٣٧٦	مدخل
٣٧٦	أصحاب الشَّمال
٣٧٧	ظِلُّ النار
٣٧٧	دائمة الاشتعال
٣٧٨	شِدَّة الحر من فَيَّح جهنم
٣٨٠	كَبَر النار وبُعْد قعرها
٣٨٠	مدخل
٣٨١	بُعْدُ قَعْرِها
٣٨١	دَرَكَات النار
٣٨٣	تَفَاوُت أهل النار في العذاب
٣٨٣	مدخل
٣٨٤	عُصَاة المسلمين يتفاوتون
٣٨٤	الكفار أنواع ومراتب
٣٨٤	أَهْوَن أهل النار عذابا
٣٨٥	نَدَم أهل النار

٣٨٦ شراب أهل النار
٣٨٦ مدخل
٣٨٦ الحميم
٣٨٦ الغساق
٣٨٧ الصديد
٣٨٧ ماء كالمهل
٣٨٧ أنواع أخرى من الشراب
٣٨٨ يشربه مكرهاً عليه
٣٨٨ شارب الخمر يشرب الصديد
٣٩٠ في طعام أهل النار
٣٩٠ مدخل
٣٩٠ الصريع
٣٩١ غسولين
٣٩١ الرقوم
٣٩٢ بشاعة الرقوم
٣٩٤ لباس أهل النار وفُرُشهم
٣٩٤ مدخل
٣٩٤ يتفاوتون في قدر الثياب
٣٩٥ فراش أهل النار وغطاؤهم
٣٩٧ في أشكال أهل النار وقُبُحهم
٣٩٧ مدخل
٣٩٧ أشكالهم في النار
٣٩٨ ألوانهم
٣٩٩ أصناف أخرى من العذاب
٣٩٩ مدخل
٣٩٩ الضرب بمطارق حديد
٤٠٠ كلما نَضِجَتْ جلودهم بُدِّلَتْ لغيرها
٤٠٠ تقبيدهم وسحبهم
٤٠١ السَّحْب في النار
٤٠١ الصَّهْر بالماء الحار
٤٠٢ اللَّفْح بحرارة النار
٤٠٢ يصعد لأعلى النار ويهوي
٤٠٣ تَسْوِيد الوجوه
٤٠٣ إحاطة النار بالكفار

٤٠٣	سور من نار.....
٤٠٤	اطلاع النار على الأفئدة.....
٤٠٤	حسرتهم وندمهم.....
٤٠٥	جَرّ الأمعاء في النار.....
٤٠٦	قَرْنُ العبود بعابده.....
٤٠٦	صُراخهم ودعاؤهم.....
٤٠٧	اعترافهم.....
٤٠٧	استعطافهم لَحَزَنَةِ جهنم.....
٤٠٧	يطلبون الموت.....
٤٠٨	يُلْقَى بِمَكَانٍ ضَيِّقٍ بلا حركة.....
٤٠٨	بكاؤهم وشَّهيقهم.....
٤٠٩	النساء أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار!!.....
٤٠٩	مدخل.....
٤١٢	تخاضم أهل النار.....
٤١٢	مدخل.....
٤١٢	تلاعُن العصاة في الآخرة.....
٤١٣	السادة والكُبراء.....
٤١٤	أول من تُسَقَّر بهم النار.....
٤١٤	مدخل.....
٤١٧	ذنوب متوَعَّد أصحابها بالنار.....
٤١٧	مدخل.....
٤١٧	الجائرون في الحكم.....
٤١٨	الكذب على رسول الله ﷺ.....
٤١٨	القاتل بغير حق.....
٤١٩	أَكَلَةُ الرِّبَا.....
٤١٩	أَكَلَةُ أموال الناس بالباطل.....
٤٢٠	الرُّكُونُ إِلَى الظَّالِمِينَ.....
٤٢٠	تعذيب الحيوان.....
٤٢١	الكاسيات العاريات، والذين يضربون الناس.....
٤٢١	الانتحار.....
٤٢٢	عدم الإخلاص في طلب العلم.....
٤٢٢	الشُّرْبُ بِأَنِيَةِ الذهب والفضة.....
٤٢٣	الكِبْر.....

٤٢٤	آخر الناس نجاة من النار.....
٤٢٤	مدخل.....
٤٢٦	أقوام يدخلون النار ثم يخرجون.....
٤٢٦	المُحَلَّدون في النار.....
٤٢٧	نداءات بين أهل الجنة وأهل النار.....
٤٢٧	مدخل.....
٤٢٧	النداء الأول.....
٤٢٨	النداء الثاني.....
٤٢٩	النداء الثالث.....
٤٢٩	النداء الرابع.....
٤٣١	مصير إبليس يوم القيامة.....
٤٣١	مدخل.....
٤٣٢	بداية قصة الشيطان.....
٤٣٣	عداوتنا للشيطان.....
٤٣٣	الحكمة من خلق الشيطان.....
٤٣٤	رحمة الله بالعباد.....
٤٣٤	خطوات الشيطان.....
٤٣٥	عَرْش إبليس!!.....
٤٣٦	حِزْب الشيطان.....
٤٣٧	خُطْبَة الشيطان.....

٤٣٩ الجَنَّة

٤٤١	أسماء الجنة.....
٤٤٢	مدخل.....
٤٤٣	التشويق إلى الجنة.....
٤٤٤	تَنَجَّافى جنوبهم.....
٤٤٤	أفلح المؤمنون.....
٤٤٦	من طَرَّق الجنة.....
٤٤٦	مدخل.....
٤٤٦	١- الجهاد في سبيل الله.....
٤٤٧	٢- الصبر على المصائب، والرضا بقضاء الله.....
٤٤٨	٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
٤٤٨	٤- وغير ذلك من تكاليف الإسلام.....

٤٤٩	أول من يدخلون الجنة.....
٤٤٩	مدخل.....
٤٥٠	أول الأم دخولاً الجنة أمتنا.....
٤٥٠	أول داخلي الجنة من أمتنا أبو بكر <small>رضي الله عنه</small>
٤٥١	وفقراء المهاجرين أسبق الناس للجنة.....
٤٥٢	صفات أول داخلي الجنة.....
٤٥٣	أول ثلاثة يدخلون الجنة.....
٤٥٤	آخر من يدخل الجنة.....
٤٥٤	مدخل.....
٤٥٤	قصة آخرهم دخولاً الجنة.....
٤٥٦	أعلاهم منزلة.....
٤٥٧	سادة رجال أهل الجنة.....
٤٥٧	مدخل.....
٤٥٧	سيداً كُھول أهل الجنة.....
٤٥٨	سيدا شباب أهل الجنة.....
٤٥٩	العشرة المبشرون بالجنة.....
٤٦٠	سيدات نساء أهل الجنة.....
٤٦٠	مدخل.....
٤٦٠	أم المؤمنين خديجة.....
٤٦١	أم المؤمنين عائشة.....
٤٦١	فاطمة.....
٤٦٢	مريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم.....
٤٦٤	صفة دخول أهل الجنة الجنة.....
٤٦٤	مدخل.....
٤٦٤	اتساع أبوابها.....
٤٦٥	صفة دخولهم من الباب.....
٤٦٦	أبواب الجنة.....
٤٦٧	يبتهم عند دخولهم.....
٤٦٨	شباب لا يهرمون.....
٤٦٨	طولهم.....
٤٦٩	في درجات الجنة.....
٤٦٩	مدخل.....
٤٧٠	في الجنة مائة درجة.....
٤٧١	في الجنة جنان كثيرة.....

٤٧٢	خَزَنَةُ الْجَنَّةِ
٤٧٢	مدخل
٤٧٣	أَعْدَادُهُمْ
٤٧٣	وِظَائِفُهُمْ
٤٧٤	بِنَاءُ الْجَنَّةِ وَتَرَابِهَا
٤٧٤	مدخل
٤٧٤	بِنَاءُ الْجَنَّةِ
٤٧٦	غُرَفُ الْجَنَّةِ وَخِيَامُهَا
٤٧٦	مدخل
٤٧٧	صِفَاتُ سُكَّانِ غُرَفِ الْجَنَّةِ
٤٧٨	خِيَامُ الْجَنَّةِ
٤٧٩	سُرُرُ الْجَنَّةِ وَأَرَائِكُهَا
٤٨١	رَائِحَةُ الْجَنَّةِ
٤٨١	مدخل
٤٨١	أَقْوَامٌ لَا يَشْتُمُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ
٤٨٦	فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ وَثْمَارِهَا
٤٨٨	أَكَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ
٤٨٨	مدخل
٤٨٨	فَاكِهِةُ الْجَنَّةِ
٤٨٩	يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ
٤٩٠	أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٤٩١	الطَّعَامُ مُذَلَّلٌ لَهُمْ
٤٩١	الْأَسْمُ وَاحِدٌ وَالطَّعْمُ مُتَنَوِّعٌ
٤٩٢	طَعَامُهُمْ دَائِمٌ
٤٩٣	شَرَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٤٩٣	مدخل
٤٩٤	يُقَفِّجُونَهَا تَفْجِيرًا
٤٩٤	مَزِيجُ شَرَابِ الْجَنَّةِ
٤٩٤	شَرَابُهُمْ طَاهِرٌ
٤٩٥	عُيُونُ الْجَنَّةِ
٤٩٧	أَنْهَارُ الْجَنَّةِ
٤٩٧	مدخل
٤٩٧	مَاءٌ مَسْكُوبٌ

- ٤٩٨.....أنواع الأنهار
- ٤٩٩.....من أين تَنفَجَّر الأنهار
- ٥٠٠.....في الدنيا أربعة أنهار من الجنة
- ٥٠٢.....وأعظم أنهار الجنة الكَوثر
- ٥٠٢.....وصف نهر الكوثر
- ٥٠٣.....حافَّتاه قباب اللؤلؤ المَجُوف
- ٥٠٤.....يجري على الدَّر والياقوت
- ٥٠٤.....في الكوثر طيور أغناقها كأعناق الجُرر
- ٥٠٦.....آنية الجنة
- ٥٠٦.....مدخل
- ٥٠٦.....آنية الجنة تطوف عليهم
- ٥٠٧.....أنواع آنية الشراب
- ٥٠٧.....نوع الآنية
- ٥٠٩.....لباس أهل الجنة وحليهم
- ٥٠٩.....مدخل
- ٥١٠.....نوع الثياب
- ٥١٠.....ثيابهم لا تبلى
- ٥١٠.....فُرش الجنة
- ٥١٢.....أطفال المؤمنين في الجنة
- ٥١٢.....مدخل
- ٥١٥.....أكثر أهل الجنة
- ٥١٥.....مدخل
- ٥١٨.....كم في الجنة من أمة الإسلام؟
- ٥١٨.....مدخل
- ٥١٩.....سبقك عَكاشة
- ٥١٩.....ثمانون صَفًّا!
- ٥٢١.....خَدَم أهل الجنة
- ٥٢١.....مدخل
- ٥٢٣.....النساء في الجنة
- ٥٢٣.....مدخل
- ٥٢٥.....١- نساء الجنة جميلات
- ٥٢٥.....٢- نساء الجنة في سن الشباب
- ٥٢٦.....٣- لا حَيْض
- ٥٢٦.....٤- ترى زوجها أجمل الرجال

- ٥- جمال أجسامهن ٥٢٦
- ٦- حَسَنَةُ التَّبَعْلِ لزوجها ٥٢٧
- ٧- نساء أبكار ٥٢٧
- ٨- صافيات الجلد كاللؤلؤ ٥٢٧
- ٩- حسنات الأخلاق ٥٢٨
- ١٠- في وجوههن نور وصفاء ٥٢٨
- زوجة في الدنيا والآخرة! ٥٢٩
- مدخل ٥٢٩
- نعم عُقبى الدار ٥٢٩
- أهل الجنة مشغولون ٥٣٠
- سوق الجنة ٥٣٢
- مدخل ٥٣٢
- جمال سوق الجنة ٥٣٢
- يشتااقون للتسوق ٥٣٣
- إنني كان لي قَرِين! ٥٣٥
- مدخل ٥٣٥
- قصة القَرِين وقربه ٥٣٥
- حال قَرِينه!! ٥٣٦
- رؤية المؤمنين ربهم جل وعلا ٥٣٧
- مدخل ٥٣٧
- الصحابة يسألون عن رؤية الله ٥٣٨
- رضوان الله ورؤيته ٥٣٩
- المصلّون أولى الناس برؤية الله تعالى ٥٣٩
- رؤية الله أعظم نعيم الجنة ٥٤٠
- أعلاهم منزلة يرى وجه ربنا بالغداة والعشي ٥٤٠
- أما ني أهل الجنة ٥٤١
- رجل يحب الزرع ٥٤١
- بعضهم يتمنى الولد ٥٤٢
- ذبح الموت!! ٥٤٣
- مدخل ٥٤٣
- خلود أهل الجنة فيها ٥٤٣
- ذبح الموت ٥٤٤
- الخاتمة ٥٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ